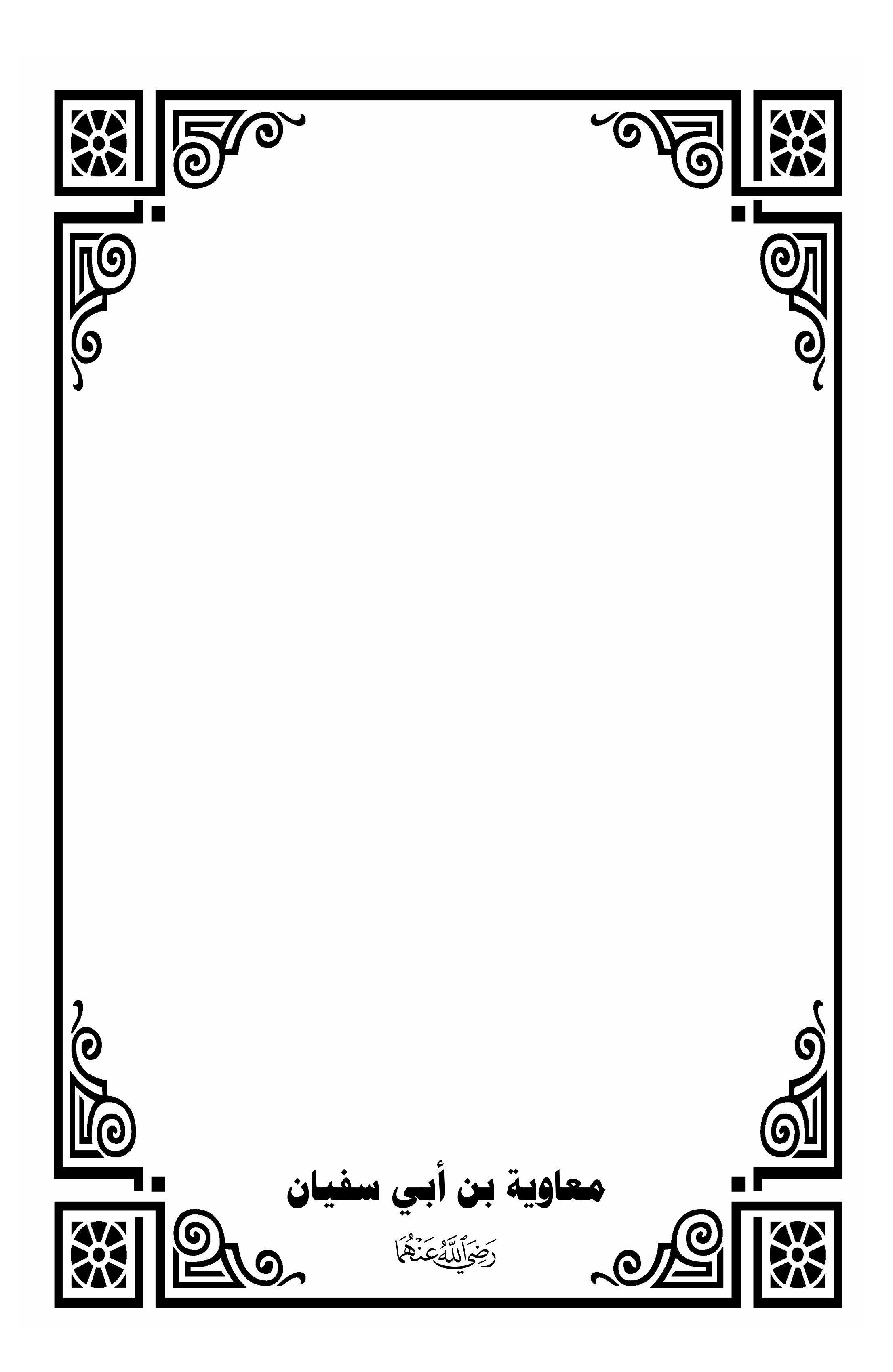
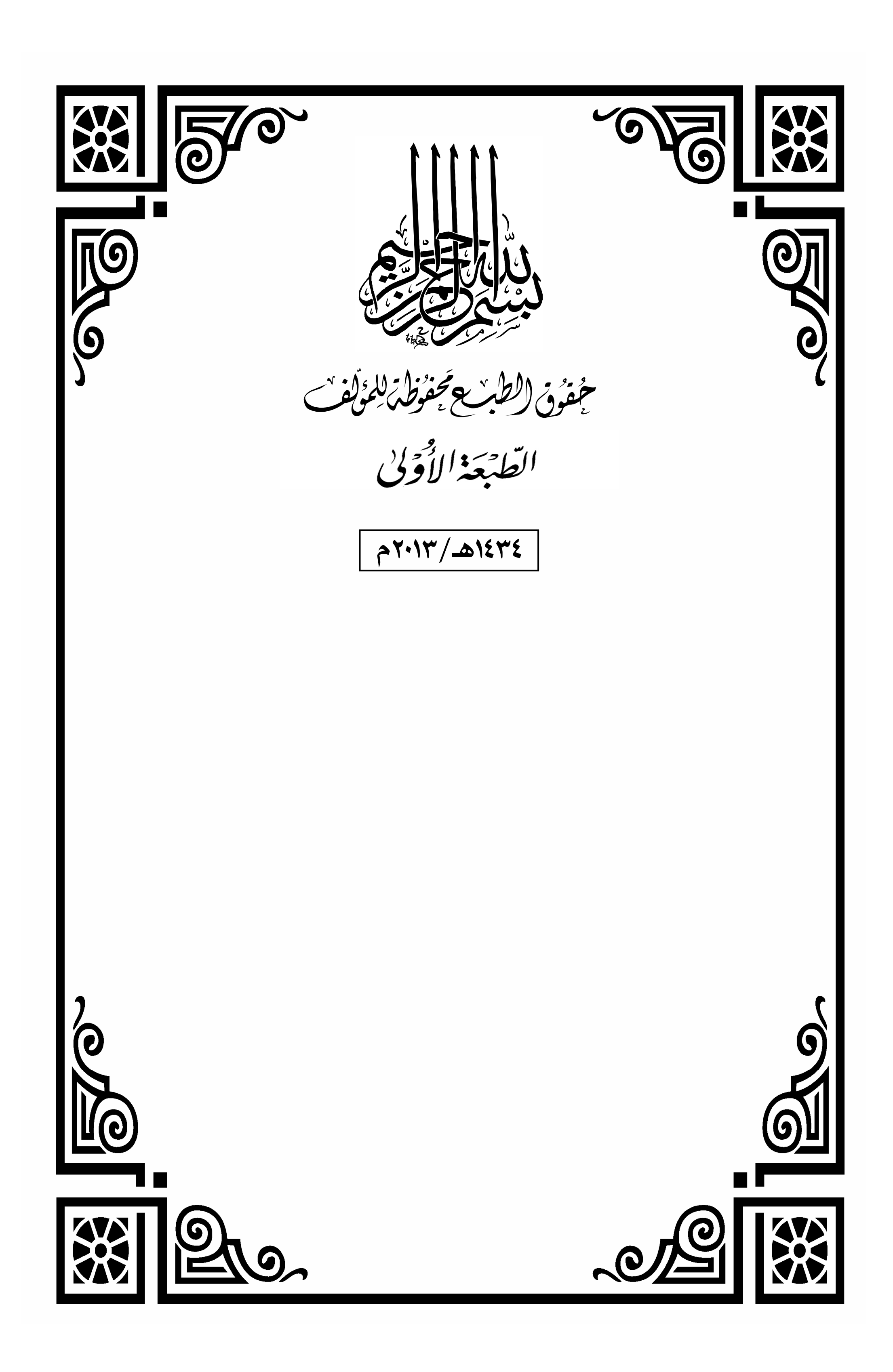


مشروع طباعة الكتب السلفية (١٥)
معاوية
بن أبي سفيان رضي الله عنهما
تأليف
د/ حمد بن إبراهيم العثمان
قسم التفسير والحديث كلية الشريعة جامعة الكويت



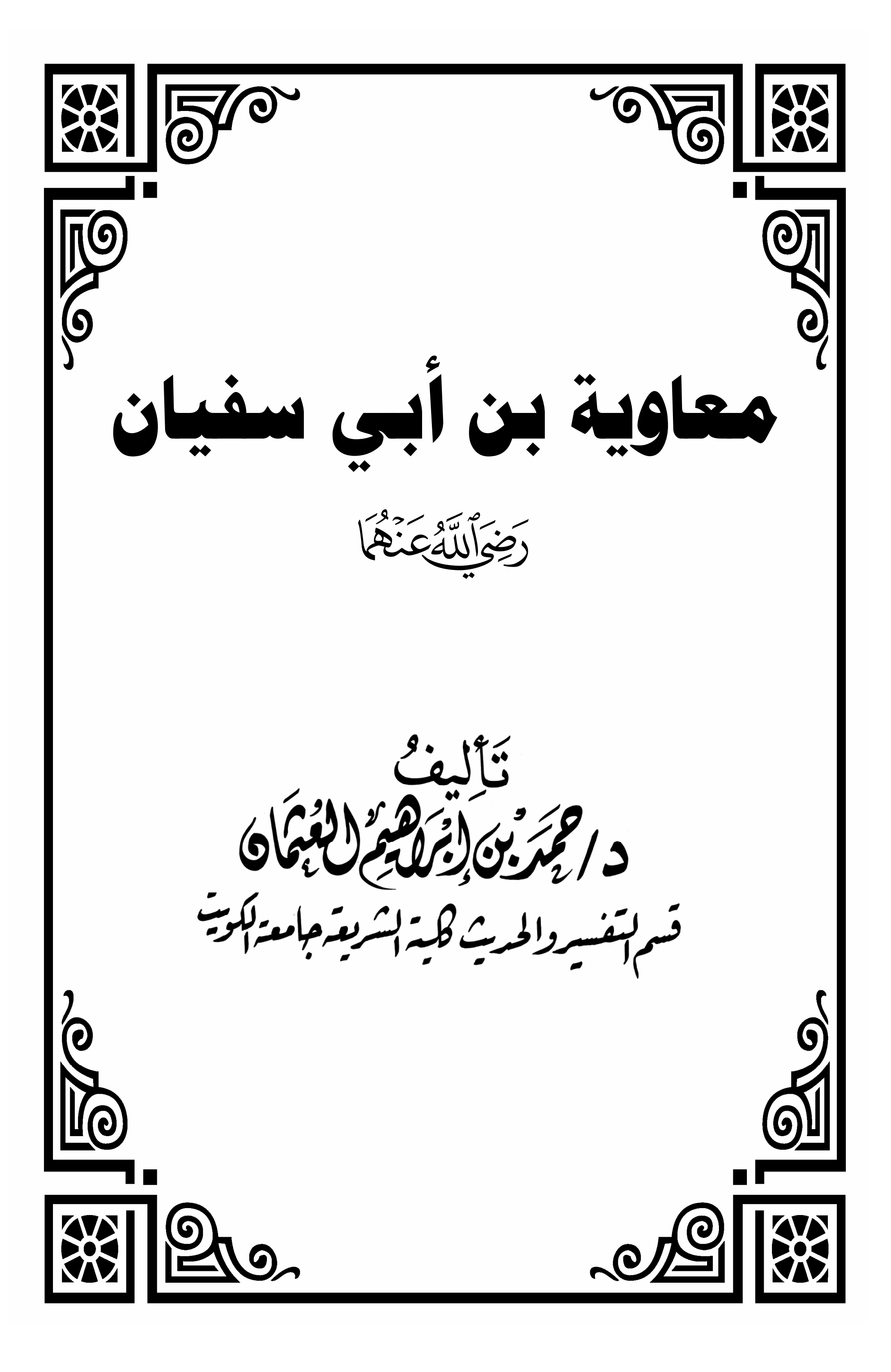
معاوية بن أبي سفيان

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا



الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م



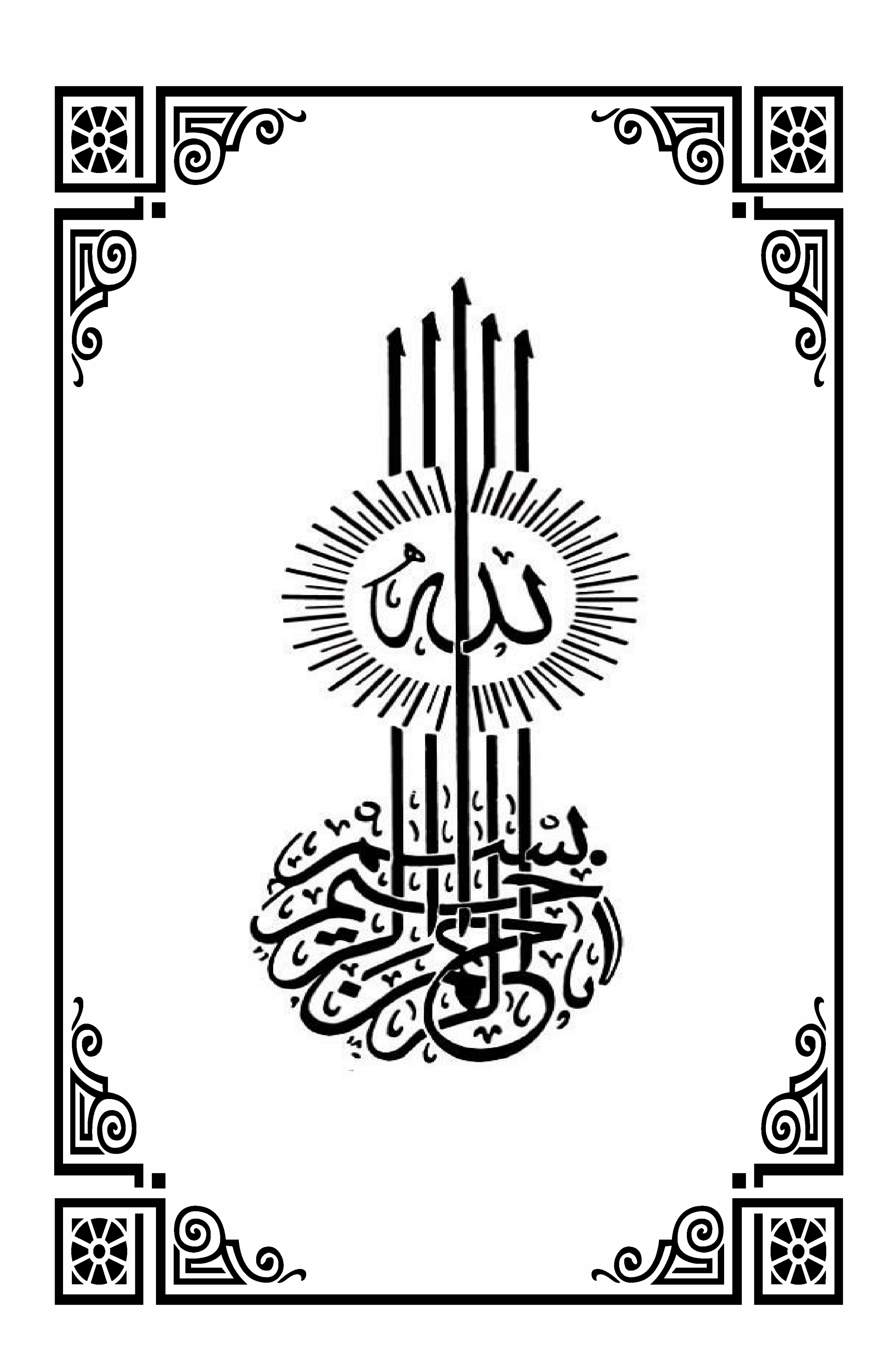
معاوية بن أبي سفيان

رضي الله عنهما

تأليف

د/ حمد بن إبراهيم العثمان

قسم التفسير والحديث كلية الشريعة جامعة الكويت


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من خيار الصحابة، وهو صهر رسول الله ﷺ، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي، أثنىٰ عليه النبي ﷺ في خلقه ودينه، وبشّر النبي ﷺ بولايته، وما يجريه الله علىٰ يديه من الفتوح، وشهد له النبي ﷺ بعينه أنه من أهل الجنة.

وأبو سفيان، والده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حسن إسلامه، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، فقد جعله علىٰ إمارة نجران، وتوفي النبي ﷺ وهو نائبه علىٰ نجران، والنبي ﷺ لا يُولي إلا القوي الأمين.

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة، وأذكياء الدنيا، ذكاؤه فاق الفرس والروم كما شهد له بذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجهاده وفتحه للأمصار ليس له نظير في أيام عز الإسلام، إلا ما كان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكانت ولايته من خراسان إلىٰ بلاد إفريقية، ومن قبرص إلىٰ اليمن.

دلائل الكتاب والسنة والإجماع علىٰ خلافته معلومة، كان أميرًا علىٰ

الشام عشرين عامًا، وخليفةً للمسلمين مثل ذلك، اجتمعت كلمة المسلمين عليه بعد الصلح الذي وقع بينه وبين الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واستوثقت له الممالك شرقًا وغربًا، وكانت خلافته خلافة ملك ورحمة، وأمن وأمان.

سياسة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبهرت خصومه ومخالفيه قبل محبيه، فكان من أحلم الناس وأصبرهم علىٰ من يؤذيه، وأعظم الناس تأليفًا لمن يعاديه، حتىٰ صارت سياسته مثلًا سائرًا في الناس «شعرة معاوية».

ومن خير ما كان من سياسة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دفعه بالأخف فالأخف، وحرصه علىٰ حقن دماء المسلمين، ولم يكن ابتدأ قتال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وغُلب هو وعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ القتال لقضاء الله الكوني الذي جرىٰ به القلم، وأهل السنة يكفّون عمّا شجر بين الصحابة، ولا يذكرونهم إلا بالجميل، ويحملون أمورهم علىٰ أحسن الوجوه.

وإذا نُسبت أيام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ من بعده فما كان خيرًا منه، وعدله كان يُشبّه بالمهدي المنتظر.

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تناوله بالسب والثلب شرار الخلق الرافضة، وهؤلاء لم يحسنوا القول في خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ؛ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلا يُستغرب ذلك منهم؛ لخبث قلوبهم وفساد دينهم .

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثنىٰ عليه سادات آل البيت خيرًا ، ومنهم علي بن أبي طالب وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ففرقُ ما بين عقيدة الرافضة وآل البيت معلوم.

وتناول المتعالمون كسيد قطب الطعن في عثمان، ومعاوية، وعمرو بن

العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقوله فيهم «قبيح» كما قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سيد قطب يتكلم فيهم وما بلغ مدّهم ولا نصيفهم، وباعثه الغرور والجهل والتعالم والظلم والاعتساف.

والتعرض لجناب الصحابة علامة الخذلان - كما قال السلف -.

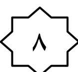
فمن أجل هذا كتبت هذه الرسالة في بيان فضائل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والرد علىٰ من تناوله بالسب والثلب جهلًا وظلمًا، وحب الصحابة إيمان، وبغضهم كفر ونفاق.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

حمد بن إبراهيم العثمان





النبي ﷺ أثنى على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلقه ودينه

لما طُلقت فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال لها رسول الله ﷺ: **«هل ذكرك أحد؟** قالت: نعم، معاوية، وأبو الجهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فقال رسول الله ﷺ: **أما أبو الجهم فشديد الخُلق، وأما معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فصعلوك لا مال له، ولكن أُنكحك أسامة»**[١].

فالنبي ﷺ في مقام النصيحة لفاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الزواج، ولم يعب علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دين ولا خلق، وغاية ما ذكره به أنه فقير، وهذا لا يعيبه؛ فإن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فهذا الحديث من أصح ما يذكر في فضائل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتزكيته في دينه وخلقه.



(١) رواه مسلم، كتاب: الطلاق، باب: المطلقة البائن لا نفقة لها (ص ٦٣٩، رقم ٣٦٩٧).

مصاهرة النبي ﷺ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مصاهرة النبي ﷺ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالزواج من أخته أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ شرف لأم حبيبة، ومعاوية، ولأبي سفيان، وأهل بيتهم، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومقاصد هذه المصاهرة ظاهرة لأهل الإيمان، ومن جملة حِكَمها تألف سادات قريش وأتباعهم علىٰ الإسلام، وبرهن النبي ﷺ علىٰ هذا المقصد العظيم في أكثر من حديث وموقف، من ذلك قوله ﷺ «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**» واستفاد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هذه المصاهرة أشياء عظيمة، من أهمها تلقي العلم من مشكاة النبوة من معينه الصافي مباشرة، من خلال أخته زوج النبي ﷺ.

عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سأل أخته أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامعها فيه؟ قالت: نعم إذا لم ير فيه أثرًا»[(١)].

قال الميموني للإمام أحمد بن حنبل: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «كل صهر، وكل نسب منقطع، إلا صهري ونسبي»؟

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٢٥)، وأبو داود، كتاب: الطهارة، باب: الصلاة في الثوب الذي يصيب أهله فيه (ص ٦٥ – رقم ٣٦٦)، والنسائي، كتاب: الطهارة، باب: المني يصيب الثوب (ص ٣٩ – رقم ٢٩٥)، وصححه ابن خزيمة (١/ ٣٨٠ – رقم ٧٧٦)، وصححه كذلك ابن حبان (٤/ ٣٦، ٣٧– ٢٣٢٥).

قال: نعم.

قلت: هذه كلها لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال: نعم[١].

وقال أبو علي الحسين بن خليل العنزي: كنت جالسًا مع قوم من الكتّاب، فتناولوا معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقُمت مغضبًا، فلمّا كان في الليلة، رأيت النبي ﷺ في منامي، فقال لي: تعرف منزلة أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مني؟

قلت: نعم يا رسول الله.

فقال لي: من أغضبها في أخيها، فقد أغضبني[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي ﷺ يقال لها: «أم المؤمنين»: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب الهارونية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهذا أمر معلوم للأمة علمًا عامًّا».

وقال شيخ الإسلام متممًا[٤]: «والذين أطلقوا علىٰ الواحد من أولئك أنه

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٣٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٣٢).

(٣) منهاج السنة (٤/ ٣٦٨، ٣٦٩).

(٤) منهاج السنة (٤/ ٣٧٠، ٣٧١).

خال المؤمنين لم ينازعوا في هذه الأحكام، ولكن قصدوا بذلك الإطلاق أن لأحدهم مصاهرة مع النبي ﷺ، واشتهر ذكرهم لذلك عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما اشتهر أنه كاتب الوحي وقد كتب الوحي غيره، وأنه رديف رسول الله ﷺ، وقد أردف غيره.

فهم لا يذكرون ما يذكرون من ذلك لاختصاصه به، **بل يذكرون ما له من الاتصال بالنبي ﷺ**».

ومعرفة مصاهرة النبي ﷺ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توجب لكل مسلم رعاية حق هذه المصاهرة، وهذه المعاني دلّ عليها الشرع والعرف؛ فإن النبي ﷺ زوّج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأراد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتزوج ابنة أبي جهل، فغضب النبي ﷺ، وقال: «**لا تجتمع والله بنت رسول الله، وبنت عدو الله**».

وفي غزوة بني المصطلق من خزاعة أعتق النبي ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّد قومه، فقال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأةً كانت أعظم بركة علىٰ قومها منها.

فواجب المسلم رعاية قدر وحرمة مصاهرة النبي ﷺ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيعتقه إلا من ذكره بالجميل.

قال عمر بن بزيع: سمعت علي بن عبد الله بن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عن أبيه وجده وأنا أريد أن أسب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال لي: مهلًا، لا تسبه فإنه

صهر رسول الله ﷺ[١].

وقال هارون بن عبد الله للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جاءني كتاب من الرقة أن قومًا قالوا: لا نقول معاوية خال المؤمنين. فغضب، وقال: ما اعتراضهم في هذا الموضع؟! يُجْفَوْنَ حتىٰ يتوبوا[٢].

وقال أبو الحارث أحمد بن محمد الصائغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجهنا رقعة إلىٰ أبي عبد الله: ما تقول - رحمك الله - فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصبًا؟!!

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبيّن أمرهم للناس».

وقال الميموني أنه سأل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقول: معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خال المؤمنين؟ وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خال المؤمنين؟

قال: نعم، معاوية أخو أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ ورحمها، وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أخو حفصة زوج النبي ﷺ ورحمها. قلت: أقول: خال المؤمنين؟ قال: نعم[٤].



(١) السنة للخلال (١/ ٤٣٣، رقم ٦٥٦).

(٢) السنة للخلال (١/ ٤٣٤، رقم ٦٥٨).

(٣) السنة للخلال (١/ ٤٣٤، رقم ٦٥٩).

(٤) السنة للخلال (١/ ٤٣٣، رقم ٦٥٧).

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة بلا ريب، دلّ على ذلك فقهه، وشهادة علماء الصحابة ومن بعدهم له بذلك.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوثق عملي في نفسي حب أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحبي أصحاب محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ جميعًا»، وكان يترحم على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول: كان من العلماء من أصحاب محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

وفي صحيح البخاري مسندًا عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يوم عاشوراء - عام حجَّ - على المنبر يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم، ومن شاء فليفطر**»[٢].

فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام واعظًا وناصحًا في المدينة دار العلم حيث وفرة علماء الصحابة، قام موجهًا ومرشدًا من ظن أن صوم عاشوراء فرض على الاستمرار، ولم ينسخ بصيام رمضان، فمعنى قوله ﷺ: «لم يكتب الله عليكم

(١) السنة للخلال (١/ ٤٣٨، رقم ٦٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: صوم يوم عاشوراء (ص٣٢١، رقم ٢٠٠٢).

صيامه» أي: فرضًا علىٰ الدوام، وبقي استحباب صيامه؛ تخييرًا؛ لذلك قال: «فمن شاء فليصم، ومن شاء فليفطر».

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قال الداودي رَحِمَهُ اللَّهُ: قول معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أين علماؤكم؟»، يدل أنه سمع شيئًا أنكره، إما أن سمع قول من لا يرىٰ بصومه فضلًا، أو سمع قول من يقول: إنه فرض، فذكر ما روي فيه».

وقال حميد بن عبد الرحمن بن عوف: سمعت معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام حجَّ، وهو علىٰ المنبر، وتناول قُصَّة[٢] من شعر كانت في يد حرسيٍّ[٣]، يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهىٰ عن مثل هذه، ويقول: «**إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتَّخذ هذه نساؤهم**»[٤].

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «قوله: «يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟»، هذا السؤال للإنكار عليهم، بإنكار هذا المنكر وغفلتهم عن تغييره، وفي حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا اعتناء الخلفاء وسائر ولاة الأمور بإنكار المنكر، وإشاعة إزالته، وتوبيخ من أهمل إنكاره ممن توجه ذلك عليه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٦]: «فإن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روىٰ

(١) شرح صحيح البخاري (٤ / ١٤٤).

(٢) هي شعر مقدم الرأس المقبل علىٰ الجبهة، وقيل: شعر الناصية.

(٣) الحرسي كالشرطي، وهو غلام الأمير.

(٤) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب: وصل الشعر (ص١٠٤٠ - رقم ٥٩٣٢)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (ص٩٥٠ - رقم ٥٥٧٨).

(٥) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص(١٣٤٠).

(٦) منهاج السنة (٤/ ٣٧٧).

الحديث، وتكلّم في الفقه، وقد روىٰ أهل الحديث حديثه في الصحاح والمساند وغيرها، وذكر بعض العلماء بعض فتاويه».

وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنكر ما يظهر من البدع، ويرد الناس إلىٰ السنة، قال أبو عامر الهوزني عبد الله بن لُحَيّ. حججنا مع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلمّا قدمنا مكة أُخبر بقاصٍّ يقصُّ علىٰ أهل مكة مولًىٰ لبني مخزوم، فأرسل إليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أُمِرْتَ بهذا القصص؟

قال: لا. قال: ما حملك علىٰ أن تقصَّ بغير إذن؟

قال: ننشر علمًا علمناه الله. فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو كنتُ تقدّمتُ إليك قبل مرَّتي هذه لقطعتُ منك. ثم قام حتىٰ صلىٰ الظهر بمكة، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الكتاب افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين مِلّة** - يعني الأهواء -، **وكُلُّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**».

وقال: «إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارىٰ بهم تلك الأهواء كما يتجارىٰ الكَلَبُ بصاحبه، فلا يبقىٰ منه عِرْقٌ ولا مفصل إلا دخله»[(١)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود من طريقه في سننه كتاب: السنة، باب: شرح السنة (ص ٦٥٠، رقم ٤٥٩٧)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٧٦)، ومن طريقه الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني في «فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد» ص(٥٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٣ - رقم ٦٥)، وحسّن إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٣٨)، وابن حجر كما في تخريج الكاف الشاف (٢/ ٧٩، ٨٠)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٣٣).

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «روىٰ عنه - معاوية - من الصحابة طائفة، وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق».

وقال العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «روىٰ عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير واحد من أعيان الصحابة والتَّابعين، كعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسعيد بن المسيب، وأبي صالح السَّمَّان، وأبي إدريس الخولاني، وأبي سلمة بن عبد الرَّحمن، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله، ومحمد بن سيرين، وخلق كثير».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «وقد روىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأخته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان، وروىٰ عنه من الصحابة ابن عباس، وجرير البجلي، ومعاوية بن خديج، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن الزبير، والنعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم.

ومن كبار التابعين: مروان بن الحكم، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وقيس بن أبي حازم، وسعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني.

وممَّن بعدهم: عيسىٰ بن طلحة، ومحمد بن جبير بن مطعم، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو مجلز، وجبير بن نفير، وحُمران مولىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد الله بن محيريز، وعلقمة بن وقاص، وعمير بن هانيء، وهمام بن مُنبِّه،

---

(١) الاستيعاب، ص(٦٧٨).

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (٢/ ٥٤١، ٥٤٢).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١٠/ ٢٣٢).

وأبو العريان النخعي، ومطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير، وآخرون».

ومن أوضح الأدلة على أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ترجيح الأئمة الفقهاء وكبار العلماء بفقه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سأل ابن هانيء النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام أحمد بن حنبل عن: رجل صلى ركعتين في السفر الفريضة، ثم أوتر بركعة، لم يكن قبلها صلاة متقدمة؟ فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أرجو أن لا يكون به بأس، قد فعله سعد، وابن عباس، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وقال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وممن روينا عنه الوتر ركعة: عثمان، وسعد، وزيد ابن ثابت، وابن عباس، ومعاوية، وأبو موسى، وابن الزبير، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وفعله معاذٌ القاري، ومعه رجال من أصحاب رسول الله ﷺ لا ينكر ذلك منهم أحد، وبه قال ابن المسيب، وعطاء، ومالك، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، غير أن مالكًا، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق رأوا أن يصلي ركعتين، ثم يُسلم، ثم يوتر بركعة».

ومن المسائل التي رجّح فيها الفقهاء بفقه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلاق السكران، قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل - رحمهما الله -: سألت أبي عن طلاق السكران.

قال: فيه اختلاف، روى ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبان بن عثمان عن

(١) المسائل (١/ ٨٣، ٨٤).

(٢) فتح الباري لابن رجب (٩/ ١٠٦).

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ليس لمجنون ولا سكران طلاق، وهو أرفع شيء فيه.

وقال رجاء بن حيوة: إن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه أجازه[1].

وفتاوىٰ العلماء في المناسك أيضًا نجدها مخرّجة علىٰ مرويات معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن هانئ النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أبا عبد الله الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: قال عطاء: إذا جئت متمتعًا، أو قارنًا فخذ من شعرك فقط، **كما قال معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقصّرت عن النبي ﷺ بمشقص، تجاوز ذلك، كما فعل النبي ﷺ[2].

وقال ابن هانئ النيسابوري أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: سألت أبا عبد الله عن المرأة إذا أرادت أن تقصر من شعرها، تقص منه كله، أو من بعضه؟

قال: تقصر منه كله. وذكر حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قصرت عن النبي ﷺ بمشقص، قال: يحل بقدر ما قصّر[3].

وسادات آل البيت كانوا يعرفون لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقهه، وينقادون لبيانه للسنة، قال عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: إن العباس بن عبد الله بن العباس أنكح عبد الرحمن بن الحكم ابنته، وأنكحه عبد الرحمن ابنته، وقد كانا جعلاه صَدَاقًا، فكتب معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو خليفة - إلىٰ مروان، فأمره

---

(١) المسائل رواية عبد الله (ص ٣٦١، رقم ١٣٣١).

(٢) مسائل الإمام أحمد، رواية ابن هانئ النيسابوري (١/ ١٥٥، رقم ٧٧٤).

(٣) مسائل الإمام أحمد، رواية ابن هانئ النيسابوري (١/ ١٥٥، رقم ٧٧٥).

بالتفريق بينهما، وقال في كتابه: هذا الشِّغَار، وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عنه[١].

علىٰ كل حال، لا ريب أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة، وفقهه مشهور، ومذهبه معلوم، وأقواله تُذكر مع سائر أقوال الصحابة، والمسائل الفقهية التي يُذكر فيها مذهبه معلومة، كمسألة فسخ الحج إلىٰ التمتع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «إن الذين كرهوا ذلك إنما كرهوا فسخ الحج إلىٰ التمتع، فإن الناس يقدمون من الآفاق؛ فيحرمون بالحج، فمن جوّز الفسخ؛ جوّز لهم المتعة، ومن منع من ذلك؛ منعهم منه.

والفسخ فيه ثلاثة أقوال معروفة:

قيل: هو واجب، كقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأتباعه، وأهل الظاهر والشيعة.

وقيل: هو محرم، كقول معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن اتبعهما كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي.

وقيل: هو جائز مستحب، وهو مذهب فقهاء الحديث، أحمد وغيره، والأمر به معروف عن غير واحد من الصحابة والتابعين؛ ولهذا كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يأمران بالمتعة».

ومن المسائل الفقهية التي عُرف بها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توريث المسلم من الكافر، لا العكس؛ لعلو الإسلام علىٰ سائر الملل، قال الحافظ ابن كثير

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٩٤)، وأبو داود، كتاب: النكاح، باب: في الشغار (ص ٣٠٠، رقم ٢٠٧٥) بإسناد صحيح.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٦/ ٤٩، ٥٠).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «**وقد حُكي هذا المذهب عن معاوية بن أبي سفيان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ورواه يحيىٰ بن يَعْمَرَ القاضي وطائفة من السلف، وإليه ذهب إسحاقُ بن راهَوَيْه، وخالفهم الجمهور - ومنهم الأئمة الأربعة وأصحابهم - محتجين بما ثبت في «الصحيحين» عن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلمُ الكافر**»».

وما زال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قائمًا ببيان سنة رسول الله ﷺ وهداية الناس إليها، فعن أبي التياح قال: سمعت حُمرانَ بن أبان يُحدّث عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: إنكم لتُصَلُّون صلاةً لقد صحبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يُصلِّيها، ولقد نهىٰ عنها. يعني الرَّكعتين بعد العصر[(٢)].

وقال السائب: صلَّيت الجمعة مع معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المقصورة، فلمَّا سلَّمَ الإمام قُمتُ في مقامي، فصلَّيتُ، فلمَّا دخل؛ أرسل إليَّ، فقال: لا تَعُدْ لما فعلت، إذا صلَّيْتَ الجمعة، فلا تَصِلْهَا بصلاة حتىٰ تكلَّم أو تَخْرُج؛ فإن رسول الله ﷺ أمرنا بذلك: أن لا نُوصل صلاةً بصلاةٍ حتىٰ نتكلَّم أو نَخْرُج[(٣)].



(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: لا تُتحرَّىٰ الصلاةُ قبل غروب الشمس (ص ٩٧، رقم ٥٨٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: الصلاة بعد الجمعة (ص ٣٥٣، رقم ٢٠٤٢).

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مغفور له

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في عموم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وخصوص معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]: «إنهم ذكروا في الجاهلية، ثم أسلموا؛ فمحا الإسلام ما كان قبله».

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «قال قوم من المبتدعة أبو سفيان أبو معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قاتل النبي ﷺ، وأمّه هند أكلت كبد حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية قاتل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويزيد قتل الحسين[٣].

والجواب عن ذلك: أنّ قتال أبي سفيان إنّما كان قبل إسلامه، وإسلامه قد هدم ما كان قبله، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال النبي ﷺ: «**الإسلام يجبّ ما قبله**».

قال أهل التفسير: نزل قوله تعالىٰ: ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑦﴾ [الممتحنة: ٧] في أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أمره الله أن يتزوج ابنته، وأن يجعل ابنه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كاتب الوحي، وقال تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

---

(١) التاريخ الأوسط (١/ ١٦٣).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٢٨).

(٣) يزيد لم يقتل الحسين ولا أمر بذلك، والذي قتله شمر بن جوشن بأمر عبيد الله بن زياد.

فأما هند أمّ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فإنها جاءت إلىٰ النبي ﷺ، فأسلمت وبايعت، ونزل قوله تعالىٰ: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، فاستغفر لها النبي ﷺ، فلم يضرّها ما فعلت قبل ذلك.

وشهد أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي ﷺ الطائف، وفُقئت عينه في سبيل الله، وفقئت عينه الأخرىٰ يوم اليرموك، وكان ينادي: يا نصر الله اقترب».

فمؤاخذة المسلم بما أزلفه بالجاهلية ليس من الإسلام، فإن الله قد غفر لمن أسلم بعد الكفر والشرك، والعبرة بالخواتيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «العبد المؤمن إذا تاب وبدّل الله سيئاته حسنات، انقلب ما كان يضره من السيئات بسبب توبته حسنات ينفعه الله بها، فلم تبق الذنوب بعد التوبة مضرة له، بل كانت توبته منها من أنفع الأمور له، والاعتبار بكمال النهاية، لا بنقص البداية».

ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مغفور له بعينه، فإنه أول من غزا القسطنطينية من خلفاء المسلمين، وكان ابنه يزيد أميرًا لذلك الجيش، وتحت إمرته أبو أيوب الأنصاري والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد قال النبي ﷺ: «**أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له**»، رواه البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في الجنة بعينه بنص الوحي**، قال تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٥٥).

ﭐلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد الآية**[١]: «شاهد لكل من حضر مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك من أصحابه بالجنة، فيكونون مضمومين إلىٰ العشرة المشهود لهم بها، وكل من شهد غزوة تبوك من أصحاب رسول الله ﷺ فهو معه في الجنة علىٰ ما كان فيه شهادة هذه الآية له، وهي حق».

قال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال بعض علماء السلف: ونشهد أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أهل الجنة».

والذي يدل علىٰ أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الجنة ما ورد فيه من النص الخاص الصحيح الصريح بذلك، فقد روىٰ البخاري في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علىٰ أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تحت عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فدخل عليها رسول الله ﷺ؛ فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: وما يُضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر**[٣] **ملوكًا علىٰ الأسرَّة**»، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله ﷺ، فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فصُرعت عن

---

(١) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٥٦٧، ٥٦٨).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٦٥).

(٣) **ثبج البحر**: ظهره، التوضيح بشرح الجامع الصحيح (١٧/ ٣٣٩).

دابتها حين خرجت من البحر؛ فهلكت[(١)].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «هذا الحديث من أعلام النبوة، وذلك أنه أخبر فيه بضروب من الغيب قبل وقوعها، فمنها: جهاد أمته في البحر، وضحكه دليل علىٰ أن الله يفتح لهم ويغنمهم، ومنها الإخبار بصفة أحوالهم في جهادهم، وهو قوله: «**يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا علىٰ الأسرَّة**»، ومنها قوله لأم حرام: «**أنت من الأولين**»، فكان كذلك، غزت مع زوجها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أول غزوة كانت إلىٰ الروم في البحر مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه هلكت، وهذا كله لا يُعلم إلا بوحي من الله تعالىٰ علىٰ ما أوحي إليه به في نومه، وفيه أن رؤيا الأنبياء وحي، وفيه ضحك المبشِّر إذا بَشر بما يسره كما فعل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال المهلب: وفيه فضل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن الله قد بشَّر به نبيَّه ﷺ في النوم؛ لأنه أول من غزا في البحر، وجعل من غزا تحت رايته من الأولين.

وذكر أهل السير أن هذه الغزاة كانت في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الزبير بن بكار رَحِمَهُ اللَّهُ: ركب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البحر غازيًا بالمسلمين في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ قبرص، ومعه أم حرام زوجة عبادة رضي الله عنها وعنه، فركبت بغلتها حين خرجت من السفينة، فصُرعت؛ فماتت.

وقال ابن الكلبي: كانت هذه الغزاة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ثمان وعشرين».

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء (ص ٤٦٢، رقم ٢٧٨٨).

(٢) شرح صحيح البخاري (٥/ ١٠، ١١).

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم أهل الجنة بلا ريب، قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال النبي ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من أمتي**»، فإذا لم يكن أصحاب النبي ﷺ، فمن يكون؟!».

ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شنآنه بما كان منه في الجاهلية لا يضره، وأما لو أردنا أن نأخذه بالتهمة بما كان منه في الإسلام كما يفعل الروافض؛ فإن التهمة في بعض مواقف آل البيت أشد وأعظم، قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لم يزل العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مشفقًا على النبي ﷺ، مُحبًّا له، صابرًا على الأذى، ولما يُسلِمْ بعد، بحيث إنه ليلة العقبة عرف، وقام مع ابن أخيه في الليل، وتوثَّق له من السبعين، ثم خرجَ إلى بدر مع قومه مكرهًا، فأُسر، فأبدى لهم أنه كان قد أسلم، ثم رجع مكة، فما أدري لماذا أقام بها؟!

ثم لا ذِكرَ له يوم أحد ولا يوم الخندق، ولا خرج مع أبي سفيان، ولا قالت له قريش في ذلك شيئًا - فيما علمت -، ثم جاء إلى النبي ﷺ مهاجرًا قُبيل فتح مكة، فلم يتحرَّر لنا قدومه.

وقد كان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أراد أن يأخذ له دارًا بالثمن، ليُدْخلها في مسجد النبي ﷺ، فامتنع حتى تحاكما إلى أبيِّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والقصة مشهورة، ثم بذلها بلا ثمن».

وليس غرضنا من ذكر مقالات العلماء هذه انتقاص أحد من آل البيت

(١) المسائل رواية عبد الله ص(٤٤١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٦).

السابقين، فأهل السنة والجماعة يحبون الصحابة وآل البيت المتقدمين ويتولونهم، وإنما غرضنا بيان أن الرافضة مطففون جائرون ظالمون؛ يكيلون للصحابة بغير المكيال الذي يكيلون به لآل البيت، بخلاف أهل السنة فإن كيلهم واحد.

ونظير ذلك طعن الرافضة في كثرة أحاديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بدعوىٰ أنه تأخر إسلامه إلىٰ فتح خيبر، وهو قد أدركته بركة دعاء النبي ﷺ في الحفظ، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أولىٰ بالطعن، فإنه مات النبي ﷺ وهو غلام قد ناهز الاحتلام، ونحن لا نطعن في ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بل نحبُّه كما نحبُّ أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومعاوية وأبوه من سادات قريش، لا يعيبهم ما كان منهم في الجاهلية، لايعيبهم بذلك إلا الرافضة ونحوهم ممن تخلق بأخلاقهم، بل إن سيئاتهم انقلبت حسنات بإسلامهم وتوبتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقد أخبر النبي ﷺ عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين أسلموا بعد الجاهلية بما يزيل الضغائن من القلوب نحوهم، فقال ﷺ: «**خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**». متفق عليه.

وتعيير معاوية وأبيه بالجاهلية هو نزعة فرعونية؛ فإن فرعون عيّر موسىٰ

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقتل القبطي قبل البعثة، ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١﴾ [الشعراء: ١٨-٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وقد استعمل النبي ﷺ (أبا سفيان) بن حرب - أبا معاوية - علىٰ نجران نائبًا له، **وتوفي النبي** ﷺ، **وأبو سفيان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عامله علىٰ نجران**.

وكان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحسن إسلامًا من أبيه باتفاق أهل العلم، كما أن أخاه «يزيد بن أبي سفيان»، كان أفضل منه ومن أبيه؛ ولهذا استعمله أبو بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ قتال النصارىٰ حين فتح الشام، وكان هو أحد الأمراء الذين استعملهم أبو بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ووصاه بوصية معروفة نقلها أهل العلم، واعتمدوا عليها، وذكرها مالك في الموطأ وغيره، ومشىٰ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ركابه مشيعًا له، فقال له: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال: لستَ بنازل ولستُ براكب، احتسب خطاي هذه في سبيل الله».

علىٰ كل حال لو قلنا بالطعن في معاوية وأبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما كان منهما في الجاهلية ما بقي لنا دين، فإن عامة الصحابة أسلموا بعد كفر وشرك وجاهلية، وفي حال الخصومات يزل اللسان ويقدح بما ليس بقادح، فابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أعلم الصحابة بالقرآن، لمّا لم يختره أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لجمع القرآن، واختارا زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بدرت من ابن

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٥٤ - ٤٥٥).

مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ألفاظ في حق زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا تليق، والخصومات تُقحم الإنسان في ألفاظ لا يعتقدها، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا معشر المسلمين، أأعزل عن نسخ كتابة المصحف، ويتولاه رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر؟!!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يُعرف عنه قبل الإسلام أذًى للنبي ﷺ لا بيد ولا بلسان، فإذا كان من هو أعظم معاداة للنبي ﷺ من معاوية قد حسن إسلامه، وصار ممن يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فما المانع أن يكون معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كذلك؟

وكان من أحسن الناس سيرةً في ولايته، وهو ممن حسن إسلامه، ولولا محاربته لعليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتولِّيه الملك، لم يذكره أحد إلا بخير، كما لم يُذكر أمثاله إلا بخير.

وهؤلاء مسلمة الفتح - معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ونحوه - قد شهدوا مع النبي ﷺ عدة غزوات، كغزاة حُنين والطائف وتبوك، فله من الإيمان بالله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله ما لأمثاله».

ولا يحل لأحد الطعن في معاوية من أجل أبيه، فإن أبا سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أسلم قبل دخول النبي ﷺ مكة بمر الظهران، وأعلن النبي ﷺ إسلام أبي سفيان لكل أهل مكة، وتألفهم بإسلامه؛ لأنه سيدهم فقال: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**». وجاهد مع النبي ﷺ في باقي غزواته، ولزم النبي ﷺ

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٢٩).

يوم حنين مع العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمّا تفرق الناس عنه، وجعله النبي ﷺ أميرًا علىٰ نجران، ومات النبي ﷺ وهو نائبه عليها.

هذا كلامنا في أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أسلم عام الفتح، والسابقون الأولون ومسلمة الفتح كذلك كلهم وعدهم الله الحسنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، ومع هذا لو كان في قرابة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كان كافرًا؛ لم يجز الطعن عليه من أجل ذلك، كما يفعل الرافضة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الطعن بهذا طعن في عامة أهل الإيمان، وهل يحل لأحد أن يطعن في عليّ بأن عمه أبا لهب كان شديد العداوة للنبي ﷺ؟ أو يطعن في العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن أخاه كان معاديًا للنبي ﷺ؟ أو يعيّر عليًّا بكفر أبي طالب؟ أو يعيّر بذلك العباس؟ وهل مثل ذلك إلا من كلام من ليس من المسلمين؟!».

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أسلموا بعد كفر وشرك، وحكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل النبي ﷺ عن عتاقةٍ وصلةٍ وبرٍّ فعله في الشرك هل يُثاب عليه؟ فقال له النبي ﷺ: «**أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير**»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «إن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل،

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٣٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب من تصدّق في الشرك ثم أسلم (ص٢٣٢ - رقم ١٤٣٦)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان حكم الكافر إذا أسلم بعده (ص ٦٥ - رقم ٣٢٣).

(٣) الوابل الصيّب، ص(٢٣، ٢٤).

ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهر المغلوب، ويكون الحكم له، حتىٰ كأن المغلوب لم يكن، فإذا غلبت علىٰ العبد الحسنات؛ دفعت حسناته الكثيرة سيئاته، ومتىٰ تاب من السيئة؛ ترتَّب علىٰ توبته منها حسنات كثيرة قد تربو وتزيد علىٰ الحسنة التي حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة، وصحَّت، ونشأت من صميم القلب، أحرقت ما مرّت عليه من السيئات، حتىٰ كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سادات قريش، وقريش اصطفاها الله، كما قال النبي ﷺ: «**إن الله اصطفىٰ كنانة من بني إسماعيل، واصطفىٰ من بني كنانة قريشًا، واصطفىٰ من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل: أيّ الناس أكرم؟ فقال: «**أتقاهم لله**». قيل: ليس عن هذا نسألك. قال: «**يوسف نبي الله بن يعقوب نبيّ الله ابن إسحاق نبيّ الله ابن إبراهيم خليل الله**».

قيل: ليس عن هذا نسألك. قال: «**أفعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».

بيّن لهم أولًا: أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وإن لم يكن ابن نبي ولا أبا نبي، فإبراهيم ﷺ أكرم علىٰ الله من يوسف، وإن كان أبوه آزر، وهذا أبوه يعقوب، وكذلك نوح أكرم علىٰ الله من إسرائيل، وإن كان هذا أولاده أنبياء،

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ (ص١٠٠٨ - رقم ٥٩٣٨).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٢١٥-٢١٦).

وهذا أولاده ليسوا بأنبياء.

فلما ذكروا أنه ليس مقصودهم إلا الأنساب، قال لهم: فأكرم أهل الأنساب من انتسب إلىٰ الأنبياء، وليس في ولد آدم مثل يوسف، فإنه نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي.

فلما أشاروا إلىٰ أنه ليس مقصودهم إلا ما يتعلق بهم، قال: «**أفعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**». بيَّن أن الأنساب كالمعادن، فإن الرجل يتولّد منه، كما يتولد من المعدن الذهب والفضة.

ولا ريب أن الأرض التي تُنبت الذهب أفضل من الأرض التي تنبت الفضة.

فهكذا من عُرف أنه يلد الأفاضل، كان أولاده أفضل ممن عُرف أنه يلد المفضول.

لكن هذا سبب ومظنّة، وليس هو لازمًا، فربما تعطلت أرض الذهب، وربما قلّ نبتها، فحينئذٍ تكون أرض الفضة أحبّ إلىٰ الإنسان من أرض معطّلة، والفضة الكثيرة أحبّ إليهم من ذهب قليل لا يماثلها في القدر.

فلهذا كان أهل الأنساب الفاضلة يُظنّ بهم الخير، ويُكرمون لأجل ذلك، فإذا تحقق من أحدهم خلاف ذلك؛ كانت الحقيقة مقدّمة علىٰ المظنّة.

وأما ما عند الله، فلا يثبت علىٰ المظانّ ولا علىٰ الدلائل، إنما يثبت علىٰ ما يعمله هو من الأعمال الصالحة، فلا يحتاج إلىٰ دليل، ولا يجتزيء بالمظنة؛ فلهذا كان أكرم الخلق عنده أتقاهم».

وأما القتال بين علي ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقد كان عن تأويل، وصحبته

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ وجهاده وإقامته للحدود مكفرات للذنوب، وخصم معاوية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خصم كريم.

قال أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي: جاء رجل إلىٰ عمي أبي زرعة، فقال: يا أبا زرعة، أنا أبغض معاوية!!

قال: لم؟

قال: لأنه قاتل عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقال له عمي: إن ربَّ معاوية ربٌّ رحيم، وخصم معاوية خصْمٌ كريم، فأيش دخولك أنت بينهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين[1].

وهنا لا بد من التذكير بمحاجة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهي أبلغ موعظة لمن تدبّرها.

فقد أتىٰ المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخلا به، وطلب منه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يخبره بجميع ما ينقمه عليه، فذكر له المسور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جميع ما ينقمه عليه، فقال: ومع هذا يا مسور ألك سيئات؟

قال: نعم.

قال: أترجو أن يغفرها الله؟

قال: نعم.

قال: فما يجعلك أرجىٰ لرحمة الله مني؟ وإني مع ذلك والله ما خُيّرت بين الله

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لابن منظور (٢٥/ ٣٩).

وبين غيره إلا اخترت الله علىٰ غيره، والله لما أليه من الجهاد، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أفضل من عملك، وأنا علىٰ دين يقبل من أهله الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات، فما جعلك أرجىٰ لرحمة الله مني؟

قال المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فخصمني[١].

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت للحسن - البصري - رَحِمَهُ اللَّهُ: يا أبا سعيد، إن هاهنا ناسًا يشهدون علىٰ معاوية أنه من أهل النار!!

قال: لعنهم الله! وما يدريهم من في النار؟![٢]

وقال إبراهيم بن ميسرة: بلغني أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ما جلد سوطًا في خلافته إلا رجلًا شتم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنده[٣].



(١) منهاج السنة (٤/ ٣٨٥-٣٨٦)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٠-١٥١).

(٢، ٣) الاستيعاب، ص(٦٧٩).

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كاتب رسول الله ﷺ

قال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **للنبي** ﷺ: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تجعله كاتبًا بين يديك». قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**نعم**». قال: وتؤمرني حتىٰ أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: «**نعم**»[(١)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: كنت ألعبُ مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف بابٍ، قال: فجاء، فحطأني حَطأَةً، وقال: «**اذهب، وادع لي معاوية**». قال: فجئت، فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: «**اذهب فادع لي معاوية**»، فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: «**لا أشبع الله بطنه**»[(٢)].

ورواه أحمد: ثنا عفان، ثنا أبو عوانة، قال أنا أبو حمزة، قال: سمعت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: بمعناه، قال: «**اذهب، فادع لي معاوية**»، وكان كاتبه[(٣)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي سفيان بن حرب (ص ١١٠٠ - رقم ٦٤٠٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلًا لذلك (ص ١١٣٦ - رقم ٦٦٢٨).

(٣) المسند (١/ ٢٩١)، إسناده صحيح، وصححه الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص(٣٠٩).

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «واستكتب - النبي ﷺ - معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أمينًا علىٰ وحيه».

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن معاوية** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢]: «كان من الكتبة الحسبة الفصحة، أسلم قبيل الفتح، وقيل: عام القضية، وهو ابن ثمان عشرة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «استكتبه النبي ﷺ لخبرته وأمانته».

قال محمد بن عبد الله بن عمّار الموصلي وغيره[٤]: سئل المُعافىٰ بن عمران: أيُّما أفضل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أم عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ فغضب، وقال للسائل: تجعل رجلًا من الصحابة مثل رجل من التابعين؟**!**

معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صاحبه وصِهْرُه وكاتبه وأمينه علىٰ وحي الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**دَعُوا لي أصحابي وأصهاري، فمن سَبَّهم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استكتبه رسول الله ﷺ، وقال: «**اللهم علمه الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب**»».

---

(١) العواصم من القواصم، ص(٣٤١).

(٢) معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٩٦).

(٣) منهاج السنة (٤/ ٤٣٩).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٤٥٠).

(٥) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٦٤).

وقال أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «ونترحم علىٰ أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أخي أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ، خال المؤمنين أجمعين، وكاتب الوحي، ونذكر فضائله».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «والمقصود أن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كتَّاب الوحي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ».

ولما وفد مسروق بن وائل الحضرمي علىٰ رسول الله ﷺ في وفد حضرموت فأسلم، قال للنبي ﷺ: أحبُّ أن تبعث معي رجالًا إلىٰ قومي يدعونهم إلىٰ الإسلام، فأمر معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكتب: «من محمد رسول الله ﷺ إلىٰ الأقيال[3] من حضرموت»، فذكر الكتاب، وبعث النبي ﷺ إليهم بزياد بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[4].



---

(١) الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة، ص (٢٩٩ - ٣٠٠).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٤٦).

(٣) الأقيال جمع قَيْل، وهو الملك علىٰ قومه.

(٤) الإصابة (٥/ ٣٣٩)، (١٠/ ١٣٨).



جهاد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

من أعظم فضائل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جهاده وفتوحه للأمصار، وحفظه لثغور المسلمين.

ومن أعظم وأفضل جهاد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما كان من جهاده مع رسول الله ﷺ، فهو أفضل أنواع الجهاد مطلقًا، وأكثرها ثوابًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «شهد مع رسول الله ﷺ: حنينًا، والطائف، وتبوك، وحجّ معه حجة الوداع».

وحسبك من فضل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا أقول جهاده، وحفظه للثغور، وإرهابه للعدو خصوصًا الروم؛ أن ينالوا من أراضي المسلمين لمّا وقع النزاع بين المسلمين أنفسهم، فهذا فضله معلوم. ومن أعظم فضائله أنه أحيا الجهاد بالسنان، وأعاد الفتوح بعد تعطلها في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واجتمع لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جهاده موجبتان: دخول الجنة والخلود فيها وذلك بنص النبي ﷺ في فتحه لقبرص، وتكفير ذنوبه وذلك في غزو القسطنطينية.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في حوادث سنة خمسين من الهجرة[2]: «وفيها

(١) منهاج السنة (٧/ ٤٠).

(٢) تاريخ الإسلام عهد معاوية، ص(٢١- ٢٢).

غزوة القسطنطينية، كان أمير الجيش إليها يزيد بن معاوية، وكان معه وجوه الناس، وممّن كان معه أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال سعيد بن عبد العزيز: لما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن للناس غازية ولا صائفة، حتىٰ اجتمعوا علىٰ معاوية سنة أربعين، فأغزىٰ الصوائف وشتّاهم بأرض الروم، ثم غزاهم ابنه يزيد في جماعة من الصحابة في البرّ والبحر، حتىٰ أجازهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية علىٰ بابها، ثم قفل راجعًا».

ومن الفتوح التي حصلت في عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتح جزيرة رودس، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في حوادث سنة ٥٣ هـ[١]: «وفيها فُتحت رودس، وهي جزيرة في البحر، فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي؛ فنزلها المسلمون، وزرعوا، واتخذوا بها الأموال والمواشي، وكان لهم ناطور[٢] يحذرهم ممَّن يريدهم من البحر بكيد، وكانوا أشد شيء علىٰ الروم، يعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم، وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدر لهم العطاء».

وما زال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ غزو القسطنطينية ونواحيها، وفي سنة أربع وخمسين من الهجرة فتح جزيرة أرْواد، قال عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «فيها فتح المسلمون ومقدّمهم جُنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد قريب القسطنطينية؛ فأقاموا بها سبع سنين، وكان معهم مجاهد بن جبر».

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٥/ ٢٥٥).

(٢) **الناطور**: العين والرقيب.

(٣) الكامل في التاريخ (ص٤٩٠).

وفتح معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سِقِلِّيَةَ وكان أول من غزاها، أرسل إليهم معاوية بن حُدَيْج رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١].

وغزو قبرص هو الذي بشّر به النبي ﷺ أمته، وهو الذي وقع علىٰ يد معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**عجبت من قوم من أمتي، يركبون البحر كالملوك علىٰ الأسرَّة**». قالت أم حرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها، فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر؛ فهلكت»[٢].

قال المهلب[٣]: «فيه فضل معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأن الله قد بشَّر به نبيَّه في النوم؛ لأنه أول من غزا في البحر، وجعل من غزا تحت رايته من الأولين».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[٤]: «جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب، وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفتحها «معاوية بن أبي سفيان» رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ أثناء المائة الرابعة».

وفتح قبرص مشهور، شهده خيار الصحابة عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وزوجه، وكذلك الصحابي الجليل أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان موقفه فيها مشهورًا، سطر فيها كلمات ما زال المسلمون يتوارثونها، فيها عظة للمسلمين

---

(١) فتوح البلدان (ص٢٧٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: ركوب البحر (ص ٤٧٨ - رقم ٢٨٩٤).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١١).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٥١).

قبل الكافرين.

قال جبير بن نضير: لما فُتحت مدائن قُبرص، وقع الناس في السبي، يقتسمونه، ويفرقون بينهم، ويبكي بعضهم إلىٰ بعض، فبكىٰ أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم تنحّىٰ فجلس، واحتبىٰ بحمائل سيفه، فقيل: أتبكي في يومٍ أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذلّ فيه الكفر وأهله؟!

فضرب علىٰ منكبه، ثم قال: ويحك! **ما أهون الخلق علىٰ الله إذا تركوا أمره**، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة علىٰ الناس لهم الملك إذ تركوا أمر الله؛ فصاروا إلىٰ ما ترىٰ[1].

وكان لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك اليد الطولىٰ في فتح الأردن، قال أبو بشر المؤذِّن: إن أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجَّه عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ سواحل الأردن، فكثر به الروم، وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية، فكتب إلىٰ أبي عبيدة يستمدّه، فوجَّه أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يزيد بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسار يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلىٰ مقدّمته معاوية أخوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففتح يزيد وعمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفتحها له، وكان لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك بلاءٌ حسن وأثر جميل[2].

وقام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفتح صيدا وبيروت وسواحل لبنان، قال سعيد بن عبد العزيز: أخبرني الوضين أنّ يزيد أتىٰ بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعِرْقة وجُبيل وبيروت، وهي سواحل، وعلىٰ مقدمته أخوه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففتحها

(١) السير لأبي إسحاق الفزاري (ص ١٤٢ - رقم ١٠٨)، وإسناده صحيح.

(٢) فتوح البلدان، ص(١٣٩).

فتحًا يسيرًا، وجلّا كثيرًا من أهلها، وتولّىٰ فتح عِرْقة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نفسه في ولاية يزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم إن الروم غلبوا علىٰ بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أو أول خلافة عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقصد لهم معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتىٰ فتحها، ثم رمّها، وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع[1].

وغزا الهند المهلَّبُ بن أبي صفرة في أيام معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنة أربع وأربعين، فأتىٰ بنَّة وألاهور، وهما بين الملتان وكابل. فلقيه العدو؛ فقاتله ومن معه[2].

وما زال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ غزو الهند وحفظ هذا الثغر، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «قال أبو اليقظان: لمّا قُتل عبد الله بن سوار، كتب معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ زياد: انظر رجلًا يصلح لثغر الهند، فوجِّهه. فوجه زيادٌ سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي. وقال خليفة بن خياط: ولّىٰ زيادٌ سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، غزو الهند بعد قتل راشد بن عمرو الجريري، وذلك سنة خمسين».

وفي سنة ست وخمسين من الهجرة غزا معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنائبه سعيد بن عثمان بن عفان سمرقند، قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ[4]: «إن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

(١) فتوح البلدان، ص(١٥٠).

(٢) فتوح البلدان، ص(٥٣١).

(٣) الاستيعاب، ص(٣٣٩).

(٤) تاريخ الإسلام عهد معاوية، ص(١٦٠).

ولّىٰ علىٰ البصرة عبيد الله بن زياد، فعزله في هذه السنة عن خراسان، وأمّر عليها سعيد بن عثمان بن عفان، فغزا سعيد ومعه المهلّب بن أبي صُفرة الأزدي، وطلحة الطلحات، وأوس بن ثعلبة سمرقند، وخرج إليه الصُّغْد؛ فقاتلوه، فألجأهم إلىٰ مدينتهم، فصالحوه، وأعطوه رهائن».

وفي سنة سبع وخمسين من الهجرة غزا معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ البربر، قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «وفيها وجَّه معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حسّان بن النعمان الغسّاني إلىٰ إفريقية، فصالحه من يليه من البربر، وضرب عليهم الخراج».

وفي سنة سبع وأربعين من الهجرة غزا نواب معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الترك، قال العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الجزري المعروف بابن الأثير رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «كان المهلب مع الحكم بن عمرو بخراسان، وغزا معه بعض جبال الترك؛ فغنموا، وأخذ الترك عليهم الشعاب والطّرُق، فعيي الحكمُ بالأمر، فولّىٰ المهلّبَ الحرب، فلم يزل يحتال أسر عظيمًا من عظماء الترك، فقال له: إمّا أن تخرجنا من هذا الضيق، أو لأقتلنّك.

فقال له: أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق، وسيّر الأثقال نحوه؛ فإنهم سيجتمعون فيه، ويخلّون ما سواه من الطرق، فبادرهم إلىٰ طريق آخر؛ فما يدركونكم حتىٰ تخرجوا منه. ففعل ذلك، فسلم الناس بما معهم من الغنائم».

وهذا الغزو لتركيا تتميم لما بدأه معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في عهد عثمان بن عفان

(١) تاريخ الإسلام عهد معاوية، ص(١٦٢).

(٢) الكامل في التاريخ، ص(٤٧٩).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري رَحِمَهُٱللَّهُ في حوادث سنة خمس وعشرين من الهجرة[١]: «وفيها غزا معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الروم؛ فبلغ عمّورية، فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطرسوس خالية، فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة، حتىٰ انصرف من غزاته، ثم أغزىٰ بعد ذلك يزيد بن الحُرّ العبسي الصائفة، وأمره ففعل مثل ذلك، ولما خرج هدم الحصون إلىٰ أنطاكية».

وقام معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كذلك بفتح بعض نواحي فلسطين، وكانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أرض فلسطين، وعلىٰ الناس عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم إن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فتح غزّة في خلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس علىٰ أن أعطاهم الأمان علىٰ أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وعلىٰ أنّ الجزية علىٰ رقابهم، والخراج علىٰ أرضهم، ثم فتح مدينة لُدّ وأرضها، ثم فتح يُبْنىٰ وعمواس وبيت جِبْرين، واتخذ بها ضيعةً تدعىٰ عَجْلان - باسم مولىٰ له -، وفتح يافا، ويقال: فتحها معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفتح عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رفح علىٰ مثل ذلك[٢].

ولم تكن يافا الوحيدة من نواحي فلسطين التي فتحها معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بل إن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أمره أن يستكمل فتح كل ما بقي من فتح فلسطين، مما كان بدأه عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقد كتب عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ

(١) الكامل في التاريخ، ص(٣٧٢).

(٢) فتوح البلدان، ص(١٦٤).

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين، ففتح عسقلان صلحًا بعد كيد، ويقال: إن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان فتحها، ثم نقض أهلها وأمدّهم الروم، ففتحها معاوية وأسكنها الروابط، ووكل بها الحفظة[1].

ومن الفتوح العظيمة التي قام بها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتح قيسارية، فقد قصدها المسلمون، وحاصروها، وكان أول من حاصرها عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحوصرت سبع سنين، حتىٰ فتحها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة تسع عشرة من الهجرة، ولمّا بلغ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتحها كبّر وكبّر المسلمون.

ولما فتح معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قسرًا، وجد بها من المرتزقة سبع مئة ألف، ومن السامرة ثلاثين ألفًا، ومن اليهود مائتي ألف، ووجد بها ثلاثمائة سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة علىٰ سورها مئة ألف[2].

قال ياقوت الحموي رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «قَيْسارِيّةُ: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء، ثم ياء مشددة: بَلد علىٰ ساحل بحر الشام تُعَدّ في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام.

وقيسارية أيضًا: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم».

ومن الفتوح التي أجراها الله علىٰ يد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتح أرمينيا، فإن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا جَمع لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام كلها، أمره أن يغزو

---

(١) فتوح البلدان، ص(١٦٩).

(٢) فتوح البلدان، ص(١٦٧).

(٣) معجم البلدان (٤/ ٤٢١).

شمشاط، وهي أرمينية، فوجّه إليها حبيب بن مسلمة الفِهري، وصفوان بن مُعَطَّل السُّلَمي، ففتحاها بعد أيام من نزولهما عليها، علىٰ مثل صلح الرُّها.

وأقام صفوان بها، وبها توفي في آخر خلافة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويقال: بل غزاها معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نفسه، وهذان معه، فولّاها صفوان، فأوطنها، وتوفي بها[١].

وكذلك فتح معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ملطية، وكان ذلك لمَّا ولي الشام كلها، فوجَّه إليها حبيب بن مسلمة، ففتحها عنوة، ورتّب فيها رابطةً من المسلمين مع عاملها، وقدِمها معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يريد دخول الروم، فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما، فكانت طريق الصوائف[٢].

ولما بلغ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فتح أرمينية ولّىٰ عليها حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وفتح كابل من الفتوح المهمة التي ظفر بها الخليفة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإنه لمّا ولي الخلافة استعمل ابن عامر علىٰ البصرة، وولّىٰ عبد الرحمن بن سمرة سجستان، فأتاها وعلىٰ شرطته عبّاد بن الحُصَين الحَبَطي، ومعه من الأشراف: عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعبد الله بن خازم السلمي، وقطري بن الفجاءة، والمهلب بن أبي صفرة، فكان يغزو البلد قد كفر أهله، فيفتحه عنوة أو يصالح أهله، حتىٰ بلغ كابل، فلما صار إليها نزل بها، فحاصر أهلها أشهرًا، وكان يقاتلهم، ويرميهم بالمنجنيق، حتىٰ ثلمت ثلمة عظيمة، فبات عليها عبّاد بن

(١) فتوح البلدان، ص(٢١٧).

(٢) فتوح البلدان، ص(٢٢١).

الحصين ليلةً يُطاعن المشركين، حتىٰ أصبح، فلم يقدروا علىٰ سدّها.

وقاتل ابن خازم معه عليها، فلما أصبح الكفرة، خرجوا يقاتلوا المسلمين، فضرب ابن خازم فيلًا كان معهم؛ فسقط علىٰ الباب الذي خرجوا منه؛ فلم يقدروا علىٰ غلقه؛ فدخلها المسلمون عنوة[1].

ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتح إفريقية، وأدخلها في الإسلام، قال ياقوت الحموي رَحِمَهُ اللَّهُ عن القيروان[2]: «هي مدينة مُصّرت في الإسلام، في أيام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من حديث تمصيرها ما ذكره جماعة كثيرة من أهل السير، قالوا: عزل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معاوية بن حُدَيج الكندي عن إفريقية، واقتصر به علىٰ ولاية مصر، وولىٰ إفريقية عُقبة بن نافع، وكان مولده أيام النبي ﷺ.

وكان مقيمًا بنواحي برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص له، فجمع إليه من أسلم من البربر، وضمهم إلىٰ الجيش الوارد من قبل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان جيش معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشرة آلاف، وسار إلىٰ إفريقية، ونازل مدنها؛ فافتتحها عنوة، ووضع السيف في أهلها، وأسلم علىٰ يده خلق من البربر، وفشا فيهم دين الله، حتىٰ اتَّصل ببلاد السودان، فجمع عقبة حينئذٍ أصحابه، وقال: إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم، إذا عضّهم السيف أسلموا، وإذا رجع المسلمون عنهم، عادوا إلىٰ عادتهم ودينهم، ولست أرىٰ نزول المسلمين بين أظهرهم رأيًا، وقد

---

(١) فتوح البلدان، ص(٤٨٨).

(٢) معجم البلدان (٤/ ٤٢٠ - ٤٢١).

رأيت أن أبني هاهنا مدينة يسكنها المسلمون. فاستصوبوا رأيه؛ فجاءوا إلىٰ موضع القيروان، وهي في طرف البرّ، وهي أجمة عظيمة لا يشقها الحيّات من تشابك أشجارها، وقال: إنما اخترتُ هذا الموضع؛ لبُعده من البحر؛ لئلا تطرُقها مراكب الروم؛ فتهلكها، وهي في وسط البلاد. ثم أمر أصحابه بالبناء، فقالوا: هذه غياض كثيرة السباع والهوام؛ فنخاف علىٰ أنفسنا هنا. وكان عقبة مستجاب الدعوة، فجمع من كان في عسكره من الصحابة، وكانوا ثمانية عشر، ونادىٰ: أيتها الحشرات والسباع، نحن أصحاب رسول الله ﷺ، فارحلوا عنّا، فإنّا نازلون، فمن وجدناه بعدُ قتلناه. فنظر الناس يومئذٍ إلىٰ أمر هائل، كان السبع يحمل أشباله، والذئب يحمل أجراءه، والحيّة تحمل أولادها، وهم خارجون أسرابًا أسرابًا، فحمل ذلك كثيرًا من البربر علىٰ الإسلام، ثم اختطّ دارًا للإمارة، واختطّ الناس حوله، وأقاموا بعد ذلك أربعين عامًا، لا يرون فيها حيّة ولا عقربًا».

فهذا الجهاد العظيم، والتمكين للإسلام، ودخول الناس في الإسلام، وعتق رقابهم من النار هو من أفضل أعمال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي الموجبة بإذن الله لدخوله الجنة، ونجاته من النار. فإن الله يرحم من عباده الرحماء، فإنه كما أعتق رقاب الكفار من النار؛ بدخولهم في الإسلام فإن الله سيُعتق رقبته من النار، قال تعالىٰ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «**فإنه – معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **– كان في ولايته من خراسان إلىٰ بلاد إفريقية بالمغرب، ومن قبرص إلىٰ اليمن**».

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٣٦).

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولّى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام

تولية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لها دلالات مهمة، أولها: أنه أحق بها؛ لما هو معلوم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فراسته في الرجال، وعدم محاباته في الولايات؛ فإنه لما أوصىٰ بالخلافة لمن بعده، حجبها عن ابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكانت تولية عمر لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الشام تهيئة للولاية الكبرىٰ، فالشام أرض الملاحم.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «عن أبي إسماعيل محمد بن عبد الله البصري، قال: جزع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ يزيد - بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- جزعًا شديدًا، وكتب إلىٰ معاوية بولايته علىٰ الشام، فأقام أربع سنين، ومات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقره عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليها في اثنتي عشرة سنة إلىٰ أن مات، ثم كانت الفتنة، فحارب معاوية عليًّا خمس سنين.

قال أبو عمر: صوابه أربع سنين. وقال غيره: ورد البريد بموت يزيد علىٰ عمر وأبو سفيان عنده، فلما قرأ الكتاب بموت يزيد قال لأبي سفيان: أحسن الله عزاءك في يزيد ورحمه. ثم قال أبو سفيان: من وليت مكانه يا أمير

---

(١) الاستيعاب، ص(٦٧٧).

المؤمنين؟ قال: أخاه معاوية. قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين».

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «حسبك بمن يؤمِّره عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على إقليم - وهو ثغر -؛ فيضبطه، ويقوم به أتمَّ قيام، ويُرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألَّم مرةً منه، وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه. وله هناتٌ وأمور».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لما مات يزيد بن أبي سفيان في خلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، استعمل أخاه معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من أعظم الناس فراسة، وأخبرهم بالرجال، وأقومهم بالحق، وأعلمهم به، حتىٰ قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كنا نتحدث أن السكينة تنطق علىٰ لسان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقال النبي ﷺ: «**إن الله ضرب الحق علىٰ لسان عمر وقلبه**»، وقال: «**لو لم أبعث فيكم، لبعث فيكم عمر**».

وقال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ما سمعت عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول في الشيء: إني لأراه كذا وكذا. إلا كان كما رآه، وقد قال له النبي ﷺ: «**ما رآك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك**»».

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٦٤ - ٦٥).

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «وأما معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولاه وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل إنما ولاه أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه ولىٰ أخاه يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستخلفه يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لتعلقه بولاية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأقره، فانظروا إلىٰ هذه السلسلة، ما أوثق عراها! وأقدر سردها! ولن يأتي مثلها بعدها أبدًا».



(١) العواصم من القواصم، ص(٢٨٦).

دلائل النبوة في خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

تنوعت الأدلة في الدلالة علىٰ خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من القرآن والسنة والإجماع.

وسادات آل البيت وعلماؤهم كابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كانوا يستدلون بالقرآن علىٰ ولاية معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ السلطنة، وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مظلومًا، وكان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يطالب عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يسلمه قتلته؛ حتىٰ يقتص منهم؛ لأنه أموي، وكان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يستمهله في الأمر؛ حتىٰ يتمكن ويفعل ذلك. ويطلب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يسلمه الشام، فيأبىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذلك؛ حتىٰ يسلمه القتلة، وأبىٰ أن يبايع عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو وأهل الشام، ثم مع المطاولة تمكّن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصار الأمر إليه كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا واستنبط من هذه الآية الكريمة، وهذا من الأمر العجيب».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٧٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «إن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد أجمع الناس عليه بعد موت عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصار أميرًا علىٰ جميع المسلمين».

وعن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال: «بينما أنا نائم، رأيت عمود الكتاب احتُمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعُمد به إلىٰ الشام، وإن الإيمان – حين تقع الفتنة – بالشام»**[٢].

قال الحافظ البيهقي رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «إسناد صحيح».

ومن دلائل النبوة في خلافة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حديث جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال النبي ﷺ: «**يكون بعدي اثنا عشر أميرًا** – أو قال: **خليفة** –».

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ: «قد جاء»[٤].

ومما يصلح في الشواهد والمتابعات في دلائل النبوة علىٰ خلافة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قول النبي ﷺ له: «**يا معاوية، إن وُلِّيت أمرًا، فاتق الله واعدل**»[٥].

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٠٧ – ٤٠٨).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٩٩).

(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٤٧).

(٤) السنة للخلال (١/ ٤٣١ – ٤٣٢ – رقم ٦٥٢)، وبوّب عليه الخلال: «ذكر أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان وخلافته رضوان الله عليه».

(٥) رواه أحمد (٤/ ١٠١)، قال الحافظ البيهقي رَحِمَهُٱللَّهُ: «إن لهذا الحديث شواهد»، دلائل النبوة (٦/ ٤٤٦).

وقال الهيثمي رَحِمَهُٱللَّهُ: «رواه أحمد واللفظ له، وهو مرسل».

ورواه أبو يعلىٰ فوصله، فقال فيه: عن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ...، والباقي بنحوه، =

ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدخل في عموم قول النبي ﷺ: «**لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلىٰ اثني عشر خليفة**» دخولًا أوليًّا، ويتناوله عموم النصوص بلا ريب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلىٰ اثني عشر خليفة، كلهم من قريش**». ولفظ البخاري: «**اثني عشر أميرًا**». وفي لفظ: «**لا يزال أمر الناس ماضيًا، ولهم اثنا عشر رجلًا**»، وفي لفظ: «**لا يزال الإسلام عزيزًا إلىٰ اثني عشر خليفة، كلهم من قريش**».

وهكذا كان، فكان الخلفاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، ثم تولّىٰ من اجتمع الناس عليه، وصار له عزّ ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من النقص ما هو باقٍ إلىٰ الآن، فإن بني أمية تولّوا علىٰ جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم عزيزة، والخليفة يُدعىٰ باسمه: عبد الملك، وسليمان، لا يعرفون عضد الدولة، ولا عزّ الدين، وبهاء الدين، وفلان الدين، وكان أحدهم هو الذي يصلّي بالناس الصلوات الخمس، وفي المسجد يعقد الرايات، ويؤمّر الأمراء، وإنما يسكن داره، لا يسكنون الحصون، ولا يحتجبون عن الرعية.

وكان من أسباب ذلك أنهم كانوا في صدر الإسلام في القرون المفضّلة: قرن

=

ورواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال في الأوسط: فاقبل، - - -، ورجال أحمد وأبي يعلىٰ رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٥ - ٣٥٦).

(١) منهاج السنة (٨/ ٢٣٨).

الصحابة، والتابعين، وتابعيهم».

والحديث في خلفاء بني أمية مطابق للواقع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «كانت جيوشهم: جيشًا بالأندلس يفتحه، وجيشًا ببلاد الترك يقاتل القان الكبير، وجيشًا ببلاد العبيد، وجيشًا بأرض الروم، وكان الإسلام في زيادة وقوة، عزيزًا في جميع الأرض.

وهذا تصديق ما أخبر به النبي ﷺ، حيث قال: «**لا يزال هذا الدين عزيزًا ما تولّىٰ اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش**»».

قال فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله -[(٢)]: «إن وصف الخليفة استمر بعدهم - يعني الخلفاء الراشدين الأربعة - في ولاة بني أمية، لكنّه مع تغير الاسم إلىٰ أمير المؤمنين، وهذا ابتدأ من عهد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لما قيل له: أنت خليفة خليفة رسول الله ﷺ، فقال: «أنتم المؤمنون، وأنا أميركم». وإلا فهم خلفاء، يصح أن يقال: الخليفة عمر، الخليفة عثمان، والخليفة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهكذا... لكنه اقتُصر علىٰ أمير المؤمنين عمر، وأمير المؤمنين عثمان، وأمير المؤمنين علي، ثم بعدهم أمير المؤمنين معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ...، إلىٰ آخره.

وهؤلاء خلفاء؛ لقول النبي ﷺ: «**لا يزال هذا الدِّينُ عزيزًا منيعًا إلىٰ اثني عشر خليفة**»، وهذا يدل علىٰ دخول ملوك بني أمية - مع اتصافهم بالملك - في اسم الخليفة؛ لأن لفظ الخليفة ليس فيه مزيد فضل، ولكن معناه أنه الذي يخلف من قبله، وقد يكون يخلف بحسن، وقد يكون يخلف بغير ذلك، لكن قال ﷺ: «**لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلىٰ اثني عشر خليفة**». هذا يدل أيضًا

(١) منهاج السنة (٨/ ٢٤٠ - ٢٤١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٧٠).

علىٰ أن ما بعد الاثني عشر خليفة يصح أن يسموا خلفاء، لكن لم يختصوا بالاسم، أو اختصوا بألقاب أخرىٰ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والاستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل علىٰ أن هذا الاسم يتناول كل من خلف غيره، سواء استخلفه أو لم يستخلفه، كقوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٠]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [الأعراف: ٦٩]».

وقال[٢]: «فغالب هذه المواضع ليكون الثاني خليفة عن الأول، وإن كان الأول لم يستخلفه، وسُمِّي الخليفة خليفة؛ لأنه يخلف من قبله، والله تعالىٰ جعله يخلفه، كما جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، ليس المراد أنه خليفة عن الله، كما ظنه بعض الناس، كما قد بسطناه في موضع آخر.

والناس يسمُّون ولاة أمور المسلمين الخلفاء، وقال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **متممًا**[٣]: «وكذلك خلفاء بني أمية وبني العباس، كثير منهم لم يستخلفه من قَبْلَه، فعُلم أن الاسم عام فيمن خَلَفَ غيره.

(١) منهاج السنة (٥/ ٥٢٤).

(٢) منهاج السنة (٥/ ٥٢٥).

(٣) منهاج السنة (٥/ ٥٢٥ - ٥٢٦).

وفي الحديث إن صح: «**وددت أني**» أو قال: «**رحمة الله علىٰ خلفائي**»، قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: «**الذين يُحْيون سنتي، ويعلّمونها الناس**»».

وهذا إن صح من قول النبي ﷺ فهو حجة في المسألة، وإن لم يكن من قوله، فهو يدل علىٰ أن الذي وضعه كان من عادتهم استعمال لفظ «الخليفة» فيمن خَلَفَ غيره، وإن لم يستخلفه، فإذا قام مقامه، وسدَّ مسدَّه في بعض الأمور؛ فهو خليفة عنه في ذلك الأمر».

ومعنىٰ الخليفة، إن أريد به المعنىٰ اللغوي، فلا شك أنه يصدق علىٰ من خلف محمدًا ﷺ في أمته ولايةً، أما إن أريد به المعنىٰ الشرعي، فهذا حظ الولاة منه، بقدر قيامهم بشريعة رب العالمين.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يعني أن الخلافة - حق الخلافة - إنما هي للذين صدّقوا هذا الاسم بأعمالهم، وتمسكوا بسنة رسول الله ﷺ من بعده، فإذا خالفوا السنة، وبدّلوا السيرة؛ فهم حينئذ ملوك».

ونبّه البغوي كذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ معنىٰ الخليفة، وأنه مأخوذ من الاستخلاف، وهو العهد من السلطان لنائبه بالولاية من بعده، حيث قال[2] «واتفقت الأمة من أهل السنة والجماعة علىٰ أن الاستخلاف سُنَّة، وطاعة الخليفة واجبة، إلا الخوارج، والمارقة الذي شقُّوا العصا، وخلعوا ربقة الطاعة».

---

(١) شرح الطيبي علىٰ المشكاة (١٠/ ٥٨).

(٢) شرح السنة (١٠/ ٨٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يقال: الخلافة واجبة، وإنما يجوز الخروج عنها بقدر الحاجة. أو أن يقال: يجوز قبولها من الملك بما ييسر فعل المقصود بالولاية ولا يعسره، إذ ما يبعد المقصود بدونه لا بد من إجازته، وأما ملك فإيجابه أو استحبابه محل اجتهاد.

وهنا طرفان «**أحدهما**»: من يوجب ذلك في كل حال وزمان، وعلىٰ كل أحد، ويذم من خرج عن ذلك مطلقًا أو لحاجة، كما هو حال أهل البدع من الخوارج، والمعتزلة، وطوائف من المتسننة والمتزهدة.

«**والثاني**»: من يبيح الملك مطلقًا، من غير تقيد بسنة الخلفاء، كما هو فعل الظلمة، والإباحية، وأفراد المرجئة، وهذا تفصيل جيد، وسيأتي تمامه.

و«**تحقيق الأمر**» **أن يقال**: انتقال الأمر عن خلافة النبوة إلىٰ الملك إما أن يكون لعجز العباد عن خلافة النبوة، أو اجتهاد سائغ، أو مع القدرة علىٰ ذلك علمًا وعملًا، فإن كان مع العجز علمًا أو عملًا، كان ذو الملك معذورًا في ذلك.

وإن كانت خلافة النبوة واجبة مع القدرة، كما تسقط الواجبات مع العجز، كحال النجاشي لما أسلم، وعجز عن إظهار ذلك في قومه، بل حال يوسف الصدّيق تشبه ذلك من بعض الوجوه، لكن الملك كان جائزًا لبعض الأنبياء كداود، وسليمان، ويوسف - عليهم السلام -».

وقد تكلم ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معنىٰ قول النبي** ﷺ: «**الخلافة ثلاثون سنة**»، مضمومًا مع قوله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا يزال هذا الدين عزيزًا ما ولي اثنا عشر**

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٢٤- ٢٥).

خليفة»، فقال[1]: «معنىٰ الخبر عندنا أن من بعد الثلاثين سنة يجوز أن يقال لهم خلفاء أيضًا، علىٰ سبيل الاضطرار وإن كانوا ملوكًا علىٰ الحقيقة، وآخر الاثني عشر من الخلفاء كان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، فلما ذكر المصطفىٰ ﷺ الخلافة ثلاثين سنة، وكان آخر الاثني عشر عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وكان من الخلفاء الراشدين المهديين؛ أُطلق علىٰ من بينه وبين الأربع الأول اسم الخلفاء، ذاك أن المصطفىٰ ﷺ قبضه الله إلىٰ جنته يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة، واستُخلف أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الثلاثاء ثاني وفاته ﷺ، وتوفي أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة الاثنين لسبع عشرة ليلة مضين من جمادىٰ الآخرة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يومًا، ثم استخلف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الثاني من موت أبي بكر الصدّيق، ثم قُتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت خلافته عشرة سنين وستة أشهر وأربع ليال، ثم استخلف عثمان بن عفان - رضوان الله عليه - ثم قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، ثم استخلف علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - وقُتل، وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يومًا، فلما قُتل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه - وذلك يوم السابع عشر من رمضان سنة أربعين - بايع أهل الكوفة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالكوفة، وبايع أهل الشام معاوية ابن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإيلياء، ثم سار معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد الكوفة، وسار إليه الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فالتقوا بناحية الأنبار فاصطلحوا علىٰ كتاب

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٨/ ٢٢٧، ٢٢٨).

بينهم بشروط فيه، وسلّم الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الأمر إلىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وذلك يوم الاثنين لخمس ليالٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين، وتُسمىٰ هذه السنة سنة الجماعة، ثم تُوفي معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وأربعة أشهر إلا ليال، وكانت له يوم مات ثمان وسبعون سنة، ثم ولي يزيد بن معاوية ابنه يوم الخميس في اليوم الذي مات فيه أبوه، وتُوفي بحوارين - قرية من قرىٰ دمشق - لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا أيامًا، ثم بُويع ابنه معاوية بن يزيد يوم النصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، ومات يوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، وكانت إمارته أربعين ليلة، ومات وهو ابن إحدىٰ وعشرين سنة، ثم بايع أهل الشام مروان بن الحكم، وبايع أهل الحجاز عبد الله بن الزبير، فاستوىٰ الأمر لمروان يوم الأربعاء لثلاث ليالٍ خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين، ومات مروان بن الحكم في شهر رمضان بدمشق سنة خمس وستين وله ثلاث وستون سنة، وكانت إمارته عشرة أشهر إلا ليال، ثم بايع أهل الشام عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه أبوه، ومات عبد الملك بدمشق في شوال سنة ست وثمانين وله اثنان وستون سنة، ثم بايع أهل الشام الوليد ابنه يوم تُوفي عبد الملك، ثم توفي الوليد بدمشق في النصف من جمادىٰ الآخرة سنة ست وتسعين، وكان له يوم مات ثمانٍ وأربعون سنة، وكانت إمارته تسع سنين وثمانية أشهر، ثم بويع سليمان بن عبد الملك أخوه لأمه وأبيه، وتوفي سليمان يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر بدابق سنة

تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة، وكانت إمارته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال، ثم بايع الناس عمر بن عبد العزيز في اليوم الذي مات فيه سليمان، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدير سمعان من أرض حمص يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدىٰ ومائة وله يوم مات إحدىٰ وأربعون سنة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمس ليال، وهو آخر الخلفاء الاثني عشر الذين خاطب النبي ﷺ أمته بهم».

وبعد استعراض كلام ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الولاة بعد النبي ﷺ، ننظر فيما يكون عليه آخر الأمة قبل قيام الساعة؛ فقد قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كما فتح الله في أولنا، فأرجو أن يختمه بنا»[(١)].

وهذا الموقوف علىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من قوله؛ السنة دلّت عليه، حيث يكون المهدي في آخر الزمان، وهو من ذرية الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولي أمر المسلمين، ويأتم به المسيح عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ومعلوم أنه بعد وفاة النبي ﷺ صارت الخلافة في أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم آلت إلىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم صارت الخلافة في بني أمية، ثم في بني العباس[(٢)]، ثم صارت في غيرهم دهرًا طويلًا وقرونًا كثيرة، ويختم الله

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٧)، وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا إسناد جيد، وهو موقوف علىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من كلامه».

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرشيد كان فيه من تعظيم العلم والجهاد والدين ما كانت به دولته من خيار دول بني العباس، وكأنها كانت تمام سعادتهم، فلم ينتظم بعدها الأمر لهم». منهاج السنة (٨/ ٢٤٠).

الخلافة بالمهدي من ذرية الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما ترك الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا طاعة لله وانقيادًا لقول رسول الله ﷺ؛ أبدله الله خيرًا مما ترك، فجعل المهدي من ذريته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في المهدي[1]: «من ولَد الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملؤها قسطًا وعدلًا، وأكثر الأحاديث علىٰ هذا تدل.

وفي كونه من ولد الحسن سرٌّ لطيف، وهو أن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ترك الخلافة لله، فجعل الله في ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمنة للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده: أنه من ترك لأجله شيئًا أعطاه الله أو أعطىٰ ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه حرص عليها».

ومن لطائف الأمور التي تناسب هذا المقام أن تعلم أن أحد السفراء في الصلح بين معاوية والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال له رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها**»[2].

وهنا لا بد من التنبيه إلىٰ الحكمة في صرف الله الخلافة عن الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولا أعدل ولا أصدق من الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتكلم

---

(١) المنار المنيف، ص(١٥١).

(٢) رواه البخاري، كتاب: كفارات الأيمان، باب: الكفارة قبل الحنث وبعده (ص١١٦٠ - رقم ٦٧٢٢)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة (ص٨١٨ - رقم ٤٧١٥).

بهذا، وهو الذي امتدحه النبي ﷺ في تنازله لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]: «إني والله ما أرىٰ أن يجمع الله فينا – أهل البيت – النُّبوة والخلافة».

والمهدي غلا فيه طرفان، طرف يُكذِّب بالأحاديث الواردة فيه، وهؤلاء سلكوا هذا السبيل لمّا رأوا انحراف بعض المسلمين في هذه العقيدة حملهم علىٰ استباحة الكعبة كما وقع في سنة ١٤٠٠ هـ، والبدعة لا تُرد ببدعة.

وقد وقع نظير ذلك في السابق، فأظهرت الأشاعرة ادعاء المهدية لعالمهم محمد بن تومرت في حدود سنة ٥١٤ هـ «١١٢٠م»، وادّعىٰ هذا الأشعري أنه علوي حسني، وعظمت الفتنة به لظاهر الصلاح الذي تظاهر به، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي توصل به للرئاسة والحكم.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ **عن ابن تومرت**[(٢)]: «دعاهم إلىٰ الأمر بالمعروف، واستمالهم، وأخذ يشوق إلىٰ المهدي، ويروي أحاديث فيه، فلمّا توثق منهم قال: أنا هو».

وحصل لابن تومرت وأتباعه الأشاعرة مرادهم وملكوا المغرب، وسموا أنفسهم بـ«الموحدين»، قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «وأراقوا الدماء إراقة الخوارج».

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٤٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٥٢).

ومات ابن تومرت ولم ينزل المسيح عيسىٰ ابن مريم، وتبيّن للجميع كذب الأشاعرة في ادعاء المهدية.

والمهدي المنتظر سيُظهره الله، وليس لنا أن نصطنع الأجواء اصطناعًا نزعم بسببه أن هذه الحوادث هي إرهاصات خروجه، قال حفص بن غياث لسفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبد الله، إن الناس قد أكثروا في المهدي، فما تقول فيه؟

فقال: «إن مرَّ علىٰ بابك فلا تكن منه في شيء حتىٰ يجتمع الناس عليه»[1].

وهناك طرف آخر غال يُعطّل الدين والدنيا انتظارًا للمهدي، وهؤلاء هم الرافضة، فلا يجاهدون ولا يصلون إلا خلف معصوم.

والواجب إقامة العدل وعمارة الأرض بالطرق المباحة، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله علىٰ الوجوب».

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن قامت علىٰ أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها**»[3].

---

(١) الحلية (٧/ ٣١).

(٢) أحكام القرآن (٣/ ١٠٥٩).

(٣) رواه أحمد (٣/ ١٨٤)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٤٢ - رقم ١٤٧٩)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (رقم ٩).

وكذلك الدين لا يُعطّل انتظارًا للمهدي، فالدين محفوظ بحفظ الله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والسنة محفوظة، قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[(١)].

فلا يجوز تعطيل الشريعة انتظارًا للمهدي؛ هذا إفساد لأديان الناس، كما لا يجوز لأحد أن يدّعي أنه ممثل ونائب عن المهدي ومنه يتلقىٰ الشريعة؛ فهذا رجم بالغيب، فالشريعة ظاهرة غير مستترة.

قال العلامة محمد السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وحجج الله لا تقوم بخفي مستور لا يقع العالم له علىٰ خبر مشهور، ولا ينتفعون به في علم مأثور، فلا جاهل منه يتعلم، ولا ضال يهتدي به ويتفهم، ولا يأمن به خائف، ولا يتعزز به ذليل قلبه واجف.

فأي حجة لله قامت بمن لا يُرىٰ له شخص، ولا تُسمع منه كلمة، ولا يُعلم له مكان، ولا سيما علىٰ أصول القائلين به.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (رقم ٤٦٠٧)، والترمذي وقال فيه: حسن صحيح. وصححه الحاكم في المستدرك وقال:

لا أعلم له علة. وصححه ابن حجر في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب (١/ ١٣٧)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠٩)، وحسنه ابن القيم في إعلام الموقعين، ص(٨٥٦)، وصححه الشاطبي في الاعتصام (٢/ ١١٤).

وصححه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني وأبو العباس الدُغولي كما نقل عنهم الحافظ العلائي في إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، ص(٤٩).

(٢) القول العلي لشرح أثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصيته لكميل بن زياد، ص(٣١٠).

فإن الذي دعاهم إلىٰ ذلك أنهم قالوا: لا بد منه في اللطف بالمكلفين، وانقطاع حجتهم عن الله!

فيا لله العجب! أي لطف حصل بهذا المعدوم، لا المعصوم؟!

وأي حجة أثبت للخلق علىٰ ربهم بأصلكم الباطل؟!

فإن هذا المعدوم إذا لم يكن لهم سبيل قط إلىٰ لقائه والاقتداء به، فهل في تكليف ما لا يُطاق أبلغ من هذا؟!

وهل في العذر والحجة أبلغ من هذا؟!».

علىٰ كل حال رُزيت الأمة بفتن عظيمة؛ بسبب التكسب من آل البيت كادعاء المهدية، وكان سادات آل البيت يرفضون التكسب بهم، أو ادعاء ما ليس فيهم، قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يزعمون أني المهدي، وإني إلىٰ أجلي أدنىٰ مني إلىٰ ما يدعون».



(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧).

ولاية إجماع وجماعة

ولاية معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دلّ علىٰ صحتها والبشارة بها النبي ﷺ في قوله في حفيده الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «ولما تسلَّم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البلاد، ودخل الكوفة، وخطب بها، **واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق**، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب، وقد كان عزم علىٰ الشِّقاق، وحصل علىٰ بيعة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامئذٍ الإجماع والاتِّفاق؛ ترحَّل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومعه أخوه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبقية إخوتهم، وابنُ عمِّهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلىٰ أرض المدينة النبوية علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وجعل كلَّما مرَّ بحيٍّ من شيعتهم يبكِّتونه علىٰ ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في ذلك بارٌّ راشد ممدوح، وليس يَجِدُ في صدره حرجًا ولا تلوُّمًا ولا ندمًا، بل هو راضٍ بذلك، مستبشر به، وإن كان هذا قد ساء خلقًا من ذويه وأهله وشيعته، ولا سيما بعد

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الصلح، باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد**»، (ص٤٤١ - رقم ٢٧٠٤).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٤١).

ذلك بمُدَدٍ، وهَلُمَّ جرًّا إلىٰ يومنا هذا.

والحق في ذلك اتِّباع السُّنَّة، ومدحه فيما حقَن به دماء الأمة، كما مدحه علىٰ ذلك رسول الله ﷺ، كما تقدَّم في الحديث الصحيح، ولله الحمد والمنة».

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قيل لنافع: ما بال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بايع معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم يبايع عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟!

فقال: كان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يعطي يدًا في فرقة، ولا يمنعها من جماعة، **ولم يبايع معاوية** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **حتىٰ اجتمعوا عليه.**

قال أبو عمر: كان أميرًا بالشام نحو عشرين سنة، وخليفة مثل ذلك، كان من خلافة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أميرًا نحو أربعة أعوام، وخلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كلها اثنتي عشرة سنة، وبايع له أهل الشام خاصة بالخلافة سنة ثمان أو تسع وثلاثين، **واجتمع الناس عليه حين بايع له الحسن بن علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وجماعة ممن معه».

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فسلم الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الأمر إلىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصالحه، وبايعه علىٰ السمع والطاعة علىٰ إقامة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ثم دخلا الكوفة، فأخذ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ البيعة لنفسه علىٰ أهل العراقين، **فكانت تلك السنة سنة الجماعة؛ لاجتماع الناس، واتفاقهم،** وانقطاع الحرب، وبايع معاويةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كلُّ من كان معتزلًا عنه، وبايعه سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وتباشر

(١) الاستيعاب، ص(٦٧٧).

(٢) شرح صحيح البخاري (٨/ ٩٧).

الناس بذلك، وأجاز معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بثلاثمائة ألف وألف ثوب، وثلاثين عبدًا، ومائة جمل، وانصرف الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلىٰ المدينة، وولىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الكوفة المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وولىٰ البصرة عبد الله بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وانصرف إلىٰ دمشق، واتخذها دار مملكته».

قال الحافظ أبو المحاسن ابن المبرد يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٠٩ هـ) في سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة[١]: «لما مات النبي ﷺ، كان ممن بايع أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم ينازعه في الخلافة، ولا طلب منه الإمرة قط، فلما مات أبو بكر الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان ممن بايع لعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم ينازعه، ولم يطلب منه إمرة قط، بل أقام معهما يغزو مع من ولّياه.

فلما مات عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجعل الأمر شورىٰ في النّفر السّتة لم ينازعهم، ولم يدخل معهم في ذلك.

فلما اتّفق الناس علىٰ عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كان ممن بايع له، ولم ينازعه في الأمر، ولم يطلب منه إمرةً قط، بل كان يمتنع من ذلك.

فلما قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان ممن بايع لعليٍّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم يُردْها، ولو أرادها حال قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لحصلت له، فإنَّ الخوارج لما قتلوا عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، داروا علىٰ جميع أصحاب النبي ﷺ يعرضون عليهم هذا الأمر، فلم يجبهم أحد، وقد امتنع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أيضًا من ذلك ثلاثًا،

(١) محض الشَّيد في مناقب سعيد بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ص(٢٤٠ - ٢٤٢).

وأغلق عليه بابه.

فلما لم يجبهم أحد من أصحاب النبي ﷺ، ألزموا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بها.

فلما استقرَّ الأمر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان تحت طاعته، ولم يطلب منه إمرة قط، ولم يرده على ولاية.

فلما قُتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **كان ممن بايع لمعاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولو أراد الإمرة، لأطاعه عليها أكثر النَّاس؛ لفضله، ونبله على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكنه لم يطلبها، وأقام تحت يد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لم يطلب منه إمرةً قطُّ، ولا أراد ولاية، بل اعتزلهم، وأقام بأرضه بالعقيق.

ولما أرسل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطلب من الناس أن يبايعوا لولده يزيد، بايع له، ثم مات قبل خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

هكذا كان سلوك خيار الأمة مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال أبو عبد الله ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٧ هـ)[1]: «ويشهد للعشرة بالجنة بلا شك ولا استثناء، وهم أصحاب حراء، النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، فهؤلاء لا يتقدمهم أحد في الفضل والخير».

ومن السابقين الأولين والعشرة المبشرين بالجنة الذين أدركوا ولاية معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من أول من أسلم،

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ص(٢٨٨ - ٢٩٠).

وهو الذي فتح المدائن، وأقر لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالخلافة.

قال عبد الرزاق عن ابن جريج: حدثني زكريا بن عمرو أن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفد علىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأقام عنده شهر رمضان، يقصر الصلاة ويُفْطر. وقال غيره: فبايعه، وما سأله سعد شيئًا إلا أعطاه إياه[١].

وفئة الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كانت قوتها وكثرتها من جهة قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإنه كان أميرًا علىٰ أذربيجان منذ أيام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتحت يده أربعون ألف مقاتل قد بايعوا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ الموت، فلمَّا قُتل عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ألحَّ قيس بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في النَّفير؛ لقتال أهل الشام، فعزل الحسن قيسًا عن إمرة أذربيجان، وولَّىٰ عبيد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ولم يكن في نية الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يقاتل أحدًا».

ولما سار الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجيشه إلىٰ الشام، ونزل عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ووقع الصلح الذي أخبر وبشّر به النبي ﷺ؛ كره قيس بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في أول الأمر الصلح، ولمّا ذهب عنه الغضب دخل في الجماعة، وبايع لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «بعث الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ أمير

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٨٥).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣١).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٣٣).

المقدمة قيس بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن يسمع ويطيع لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فأبىٰ قيس من قبول ذلك، وخرج عن طاعتهما جميعًا، واعتزل بمن أطاعه، **ثم راجع الأمر**؛ فبايع معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد أيام قريبة».

وأهل المدينة كان في نفوس بعضهم كراهية لولاية معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لكنهم ما فارقوا الجماعة، ولا ريب أن أهواء الناس يجب أن تكون تبعًا لقول النبي ﷺ الذي امتدح الصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

عن عبد الله بن محمد بن عقيل أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قدم المدينة، فلقيه أبو قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: تلقَّاني الناس كُلُّهم غيركم يا معشر الأنصار، فما منعكم؟ قالوا: لم يكن لنا دواب. قال: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عقرناها في طلب أبيك يوم بدر، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة**». قال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر. قال: «**فاصبروا**»[(١)].

فهنا فلج معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالحجة؛ لأنه استدل بحديث رسول الله ﷺ، وأبو قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عيّر معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بجاهلية أبيه، وليس ذلك بضاره شيئًا بعد إسلامه، ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة، وذو بيان وحجة في المناظرة، وأبو قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ له سابقته وجهاده مع رسول الله ﷺ، ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ له صحبته وجهاده مع رسول الله ﷺ، وفتحه الأمصار في خلافته، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٠٤)، وإسناده لا بأس به.

قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: لما قدم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المدينة عام الجماعة، تلقَّته قريش، فقالوا: الحمدُ لله الذي أعزَّ نصرك، وأعلىٰ أمرك. فسكت حتىٰ دخل المدينة، وعلا المنبر، فحمد الله، وقال: أمَّا بعدُ، فإني والله وليت أمركم حين وَليتُه وأنا أعلم أنكم لا تُسرُّون بولايتي، ولا تُحِبُّونها، وإني لعالم بما في نفوسكم، ولكن خالَستكم بسيفي هذا مخالسة، ولقد أردت نفسي علىٰ عمل أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلم أجدها تقوم بذلك، ووجدتها عن عمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشد نفورًا، وحاولتها علىٰ مثل سُنَيَّات عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأبتْ عليَّ، وأين مثل هؤلاء؟! هيهات أن يُدرك فضلهم، غير أني سلكت طريقًا لي فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكلٍّ فيه مواكلة حسنة ومشاربة جميلة ما استقامت السيرة، فإن لم تجدوني خيركم، فأنا خير لكم، والله، لا أحمل السيفَ علىٰ من لا سيف معه، ومهما تقدَّم مما قد علمتموه، فقد جعلته دُبُر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فارضوا ببعضه، فإنها ليست بقابئة قُوبُها[2]، وإن السَّيْل إن جاء تترىٰ - وإن قلَّ - أغنىٰ، وإياكم والفتنة، فلا تهمُّوا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتكدِّر النعمة، وتورث الاستئصال، وأستغفر الله لي ولكم. ثم نزل.

والأنصار ما فارقوا الجماعة، ولا نزعوا يد الطاعة، وإنما كانوا كارهين لإمرة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان: دخل قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٨).
(٢) بمفارقتكم، النهاية في غريب الحديث (٤/ ١١٨).

في رهط من الأنصار علىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: يا معشر الأنصار، بما تطلبون ما قِبَلي؟ فوالله لقد كنتم قليلًا معي، كثيرًا عليَّ، وأفللتم حدِّي يوم صفِّين، حتىٰ رأيت المنايا تلظَّىٰ في أسنتكم، وهجوتموني، حتىٰ إذا أقام الله ما حاولتم ميله، قلتم: ارع فينا وصية رسول الله ﷺ. هيهات يأبىٰ الحقين العِذْرة[١]. فقال قيس: نطلب ما قِبَلك بالإسلام الكافي به الله ما سواه، لا بما تَمُتُّ به إليك الأحزاب، فأما عداوتنا لك، فلو شئت، كَفَفْتَها عنك، وأما الهجاء فقول يزول باطله، ويثبت حقُّه، وأما استقامة الأمر عليك، فعلىٰ كُرْهٍ منا، وأما فلُّنا حَدَّك، فإنا كنا مع رجل نرىٰ طاعته لله، وأما وصيةُ رسول الله ﷺ بنا، فمن أبِهَ[٢]، رعاها، وأما قولك: يأبىٰ الحقينُ العِذْرة. فليس دون الله يد تحجزك، فشأنك. فقال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: سوءةً، ارفعوا حوائجكم»[٣].

والحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا الذي انتهىٰ أمره إلىٰ الصلح مع معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يسوؤه تحريش الحجازيين ضد معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي يُحدِّث عن أبيه قال: «قلت للحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إن الناس يزعمون أنك تُريد الخلافة. فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يُسالمون من سالمت، ويُحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أثيرها بأتياس أهل الحجاز؟!»[٤].

---

(١) مثل يضرب للذي يعتذر ولا عذر له.

(٢) آمن.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١١ - ١١٢).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «ولما أجمع الحسن علىٰ مبايعة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، خرج عن عسكره، وغضب، وبدر منه فيه قول خشن أخرجه الغضب، فاجتمع إليه قومه، فأخذ لهم الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الأمان علىٰ حكمهم، والتزم لهم معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الوفاء بما اشترطوه، ثم لزم قيس المدينة، وأقبل علىٰ العبادة حتىٰ مات بها سنة ستين».

علىٰ كل حال، كان في حشود الحسن وقيس بن سعد بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بعض الغوغائيِّين الذين عرف الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن السير والقتال معهم؛ سيوقع في الأمة الشر والفتنة. فاعتصم بهدي النبي ﷺ الذي أرشده للصلح.

ولما قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بايع أهل العراق ابنه الحسن، وتجهزوا لقصد الشام في كتائب أمثال الجبال، وكان الحسن سيِّدًا كبيرَ القدر يرىٰ حقْنَ الدِّماء، ويكره الفتن، ورأىٰ من العراقيين ما يكره[(٢)].

قال عوانة بن الحكم: سار الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حتىٰ نزل المدائن، وبعثَ علىٰ المقدمة قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في اثني عشر ألفًا، فبينا الحسنُ بالمدائن إذ صاح صائح: ألا إن قيسًا قد قُتل. فاختبط الناس، وانتهب الغوغاء سُرَادق الحسن، حتىٰ نازعوه بساطًا تحته، وطعنه خارجيٌّ من بني أسد بخنجر، فقتلوا الخارجي، فنزل الحسن القصر الأبيض، وكاتب معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصلح[(٣)].

(١) الاستيعاب، ص(٦١٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤ - ١٤٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٥).

قال زهير بن معاوية: «حدثني أبو روق الهمداني أن أبا الغريف حدّثهم، قال: كنّا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفًا بمسكن مستميتين، تقطر أسيافنا من الجد والحرص علىٰ قتال أهل الشام، وعلينا أبو العمرطة، فلمّا جاءنا صلح الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، كأنما كُسرت ظهورنا من الغيظ والحزن، فلمّا جاء الحسن الكوفة، أتاه شيخ منّا يكنّىٰ: أبا عامر سفيان بن أبي ليلىٰ، فقال: السّلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال: لا تقل يا أبا عامر، فإني لم أذل المؤمنين، **ولكن كرهت أن أقتلهم في طلب الملك**»[1].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وأول ملوك المسلمين معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو خير ملوك المسلمين، لكنه إنما صار إمامًا حقًّا لما فوَّض إليه الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الخلافة، فإن الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر فوَّض الأمر إلىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وظهر صدق قول النبي ﷺ: «**إن ابني هذا سيِّدٌ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ حديث النبي ﷺ في الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[3]: «في هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإنه ترك الملك لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعىٰ أمر الدين، ومصلحة الأمة.

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص(٢١٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٢٢).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٧١ - ٧٢).

وفيها رد علىٰ الخوارج الذين كانوا يكفرون عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين، ومن ثمَّ كان سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث: قوله: «**من المسلمين**» يعجبنا جدًّا، أخرجه يعقوب بن سفيان في تاريخه عن الحميدي وسعيد بن منصور عنه.

وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين، ودلالة علىٰ رأفة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالرعية، وشفقته علىٰ المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك، ونظره في العواقب».

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما اشترط علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العطايا، ولا أخذها منه لحظ نفسه، وإنما أخذها؛ لتسكن الفتنة، ويعطي المال من لا يرضيه غير المال.

قال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **لمعاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «إنا بنو عبد المطلب المجبولون علىٰ الكرم والتوسع لمن حوالينا من الأهل والموالي، وقد أصبنا من هذا المال بالخلافة ما صارت لنا به عادة إنفاق وإفضال علىٰ الأهل والحاشية، فإن تخليتُ من هذا الأمر، قطعنا العادة، «**وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها**»، **يقول: قتل بعضها بعضًا، فلا يكفون إلا بالمال. فأراد أن يسكن أمر الفتنة، ويفرق المال فيمن لا يرضيه غير المال،** فقالا: نفرض لك من المال في كل عام كذا، ومن الأقوات والثياب ما تحتاج إليه لكل ما ذكرت. فصالحاه علىٰ ذلك».

ولما ولي معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة حج بالناس، وائتم به الناس؛ لأن الذي

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٩٦).

كان يُقيم الحج خليفة المسلمين أو نائبه، وهذا إجماع عملي من كافة المسلمين بولاية معاوية وإمامته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الزهري: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم حاجًّا حجَّته الأُولَىٰ، وهو يومئذ خليفة[(١)].

ومن خيار الصحابة الذين دخلوا في الجماعة بعد الصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أنه من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو زرعة الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ: حضرت مجلسًا في المسجد الجامع بدمشق، حضره عبد الرحمن بن إبراهيم، وعبد الله بن ذكوان، ومحمود بن خالد، فسأل محمود بن خالد عبد الرحمن بن إبراهيم عن سِنِّ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسألني عبد الرحمن عن ذلك، فقال لي: أيش عندك فيه؟ قلت: قد جاز الثمانين. فقال: سنه سنّ رسول الله ﷺ، فقال له محمود: فمعاوية؟ قال: ابن سبع وسبعين سنة، اجتمعوا عام الجماعة، ومعهم جرير البجلي - يعني سنة أربعين -، فقال لهم معاوية: أنا ابن سبع وخمسين. هذا عام الجماعة، وهي سنة أربعين، وتوفي معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ستين[(٢)].

وممن لزم الجماعة في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سهل ابن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من بني حارثة، من الأوس، ممن بايع تحت الشجرة، وكان من علماء الصحابة[(٣)]،

---

(١) التاريخ الأوسط للبخاري (١/ ١١٨).

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٥٩٦ - رقم ١٦٩٨).

(٣) الاستيعاب، ص(٣٤١).

وكان يُحدّث في مسجد دمشق في خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(١)].

ومن خيار الصحابة وعلمائهم، وأكثرهم رواية عن النبي ﷺ، ولزم جماعة المسلمين في ولاية معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أَدرَكَتْ خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم: سعد، وأسامة، وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر ممّن سميت بأضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدىٰ، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويله، ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله، منهم: المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد غوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز في أشباه لهم، لم ينزعوا يدًا عن مجامعة في أمة محمد ﷺ».

فتحصل من مجموع ما ذكرناه اجتماع الناس علىٰ خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «ولمّا تسلم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ البلاد، ودخل الكوفة، وخطب بها، واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق، **رجع إليه قيس بن سعد** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أحد دهاة العرب، وقد كان عزم علىٰ الشِّقاق، **وحصل علىٰ بيعة معاوية** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عامئذٍ الإجماع والاتِّفاق**».

---

(١) تاريخ البخاري الأوسط (١/ ١٤٢).

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ١٨٩ - رقم ١٠٣).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٤١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**واستوثقت له الممالك شرقًا وغربًا، وبُعْدًا وقُرْبًا، وسُمِّي هذا العام عام الجماعة؛ لاجتماع الكلمة فيه علىٰ أمير واحد بعد الفرقة**».

وكان أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أميرًا علىٰ المدينة في خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال محمد بن زياد: كان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يبعث أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ المدينة، فإذا غضب عليه، بعث مروان، وعزله، قال: فلم يلبث أن نزع مروان، وبعث أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «كان أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طيِّب الأخلاق».

وقال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٠٤ هـ) فيمن بايع معاوية** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤]: «وبيعة سعد، وسعيد، وابن عمر معاويةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهم أفضل منه، وتسليم الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الأمر إليه، وقوله ﷺ: «**لعل الله أن يُصْلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**».

وبيعة سائر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بحضرة بقية أهل بدر من قريش، ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل».

ومن الصحابة الأخيار المشهورين الذين لازموا الجماعة، ولزموا خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حكيم بن حزام بن خويلد القرشي، صاحب دار الندوة،

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٤).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ٢٠١ - ٢٠٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عام حج، مرَّ به - حكيم بن حزام - وهو ابن عشرين ومائة سنة، فأرسل إليه بلقوح يشرب من لبنها، وذلك بعد أن سأله أي الطعام يأكل، فقال: أما مضغ فلا مضغ بي. فأرسل إليه بلقوح وصله، فأبىٰ أن يقبلها، وقال: لم آخذ من بعد النبي ﷺ شيئًا[٢]، قد دعاني أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ حقي، فأبيت».

ومن خيار الصحابة الذين أقروا لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالولاية عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان مع علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي لما استشار عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصحابة في توليته العراق، أجمعوا عليه[٣].

قال عبيد الله بن عبد الله: قدم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حاجًّا حجته الأولىٰ وهو خليفة، فدخل عليه عثمان بن حنيف الأنصاري، فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله. فأنكرها أهل الشام، وقالوا: من هذا المنافق الذي يقصر بتحية أمير المؤمنين؟ فبرك عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ ركبتيه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هؤلاء أنكروا عليّ أمرًا أنت أعلم به منهم، فوالله لقد حييت بها أبا بكر،

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٥/ ٢٧٣).

(٢) وذلك لأن حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ لّما كان بحنين مائة من الإبل، فأعطاه، ثم سأله مائة أخرىٰ فأعطاه، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، فاليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وابدأ بمن تعول**».

فكان حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتىٰ أفارق الدنيا.

(٣) الاستيعاب، ص(٥٠٣).

وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فما أنكرها منهم أحد.

فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لمن تكلم من أهل الشام**: علىٰ رسلكم، فإنه قد كان بعض ما يقول، ولكن أهل الشام قد حدثت هذه الفتن، قالوا: لا تقصر عندنا تحية خليفتنا. فإني إخالكم يا أهل المدينة تقولون لعامل الصدقة: أيها الأمير(١).

ومن الصحابة الأخيار الذين كانوا مع الجماعة داخلين في طاعة الخليفة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «عاش وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ ولي معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة فدخل عليه وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعرفه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذاكره، ورحّب به».

وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت من جملة من لازم الجماعة لما كان معاوية ابن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة للمسلمين، ولمَّا حج معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خليفة المسلمين، دخل علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ووعظته، وحضَّته علىٰ الاتباع(٣).

وقال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: إن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث إلىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقلادة بمئة ألف، فقسمتها بين أمهات المؤمنين(٤).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٥٧١ - رقم ١٠٢٤) بإسناد صحيح.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص(٧٤٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٧).

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أدركت خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ لم ينتزعوا يدًا من طاعة، ولا فارقوا جماعة، وكان زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ العطاء من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وحسبك بزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه من علماء الصحابة، ومن كُتّاب الوحي، وهو الذي جمع القرآن في مصحف بأمر أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان سادات آل البيت يأخذون عنه العلم كعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السابقين الأولين، شهد أحدًا، وبيعة الرضوان، تولّىٰ القضاء بدمشق في أيام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

فلا ريب أن خيار الصحابة ومن بقي من أكابرهم استعملهم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الولايات، فكان وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسولًا له في مخاطبة نواب معاوية[٣]، وكان عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاضي البصرة[٤]، وكان الحكم بن عمرو الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ نيابة خراسان، وكان سمرة بن جندب، وعبد الرحمن بن سمرة، وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نوابًا له[٥].

ومعاوية بن حديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان نائبًا لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ مصر بعد عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) الاستيعاب، ص(٦٧٨).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٣٠٣).

(٣، ٤) البداية والنهاية (١١/ ١٦٨).

(٥) البداية والنهاية (١١/ ٢٥٧ - ٢٥٨).

وأبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتل تحت لواء معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزو القسطنطينية، وتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تلك الغزوة، ودُفن ببلاد الروم قريبًا من سور قسطنطينية.

وأبو أيوب الأنصاري الخزرجي هو الذي كان نزل النبي ﷺ داره حين قدم المدينة مهاجرًا من مكة، وأقام عنده شهرًا[١].

ودخول أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجماعة، وقتاله تحت لواء معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له أهميته؛ لأن أبا أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في عسكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «وشهد أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجمل وصفِّين مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من خاصته، وكان علىٰ مقدّمته يوم النهروان، ثم إنه غزا الروم مع يزيد بن معاوية؛ ابتغاء ما عند الله، فتُوفي عند القسطنطينية؛ فدُفن هناك».

وكان النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو من خيار الصحابة - واليًا لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الكوفة سبعة أشهر، ثم جعله معاوية أميرًا علىٰ حمص بقية خلافته[٣].

وولّىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الضحاك بن قيس الفهري أخا فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ دمشق، وحضر موت معاوية، وصلَّىٰ عليه، وبايع الناس ليزيد[٤].

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٥١ - ٢٥٢).

(٢) تاريخ الإسلام عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص(٣٣٠).

(٣) الاستيعاب، ص(٧١٥).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٣٣٧).

وبايع لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بقي من أمهات المؤمنين، فقد بايعته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت تحث علىٰ بيعته.

والسمع والطاعة لنائب الأمير سمع وطاعة للأمير، كما قال النبي ﷺ: «**من أطاع أميري، فقد أطاعني**». رواه البخاري، وقال ابن سعد: حدَّثنا يزيد عن شعبة عن سماك عن بشر بن قُحيف، قال: أتيتُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقلت: أتيتك لأبايعك. فقال: أليس قد بايعت أميري؟ قلت: بلىٰ. قال: فإذا بايعت أميري، فقد بايعتني.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إسناد صحيح».

والحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان ممن لزم طاعة نائب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ المدينة وائتم به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «لمّا مات الحسن بن عليّ، قدَّم أخوه الحسين بن عليّ أمير المدينة للصلاة عليه، وقال: لولا أنها السنة، لما قدمتك.

والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل من ذلك الأمير الذي أمره أن يصلي علىٰ أخيه، لكن لمّا كان هو الأمير، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه**»، قدَّمه لذلك.

وكان يقدّم الأمير علىٰ من معه في المغازي، كتقدمه في الصلاة وفي الحج؛ لأنهم صلوا خلفه باختيارهم، وحجوا معه، مع أنه قد تتعين صلاتهم خلفه

(١) الإصابة (١/ ٦٣٣).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٢٨١).

وحجهم معه، إذا لم يكن للحج إلا أمير واحد، وللصلاة إلا إمام واحد».

وأوضح من هذا وأصرح أنه كان يفد مع أخيه الحسن إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيأمر لهم بالجوائز والأموال، ويقبلان ذلك[1].

ومن الأدلة الواضحة الصريحة علىٰ دخول الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجماعة، ولزومه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جهاده تحت رايته ولوائه، ومعلوم أن الذي يُقيم الجهاد هو ولي الأمر.

والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاهد الروم في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزو القسطنطينية، وكان أمير الجيش يزيد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «ولمّا توفي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفدُ إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كل عام؛ فيعطيه ويُكْرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينيَّة مع ابن معاوية يزيد في سنة إحدىٰ وخمسين».

ومن سادات آل البيت وخيار الصحابة ممن لزم الجماعة، وأطاع لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «إن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان إذا قدم علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنزله داره، وأظهر له من برّه وإكرامه ما يستحقه».

---

(١) الشريعة للآجري، ص(٧٩٣).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٧٧).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص(٤٤٣).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكان أحد الأمراء في جيش علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم صفِّين، وله وفادة علىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعبد الملك».

ومن كبار الصحابة وخيارهم وكان من السابقين الأولين الذين دخلوا في طاعة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أبو مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كان من نواب علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ الكوفة لما كان علي يحارب معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وكان عاقلًا حكيمًا بعيد النظر في الصلح وحقن دماء الطائفتين الذي رغب فيه النبي ﷺ بقوله: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين**»، وكان لا يحب انتصار إحدىٰ الطائفتين علىٰ الأخرىٰ، فقيل له في ذلك، فقال: يكون بينهما صلح[٢].

فأخبر عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله، فقال له: اعتزل عملنا. فقال أبو مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ومِمَّه؟ قال: إنا وجدناك لا تعقل عقله. قال أبو مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أما أنا، فقد بقي من عقلي أن الآخر شر[٣].

ووفد أبو مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما صار خليفة المسلمين، ولزم الجماعة، وكان يوصي الناس بذلك، قال بشير بن عمرو: قلنا لأبي مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أوصنا. قال: عليكم بالجماعة، فإن الله لن يجمع هذه الأمة علىٰ ضلالة، حتىٰ يستريح بَرٌّ، أو يستراح من فاجر[٤].

---

(١) دَرُّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة، ص(٦٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٥ – ٤٩٦).

وكان في الكوفة خلق كثير يحبون الصلح بين فئتي علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأعانهم علىٰ ذلك إظهار أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذا المذهب، وهو والي الكوفة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال خيثمة بن عبد الرحمن: لمَّا خرج عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، استخلف أبا مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الكوفة، وتخبَّأ رجال لم يخرجوا مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال أبو مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ المنبر: أيها الناس، من كان تخبَّأَ، فليظهر، فلعمري لئن كان إلىٰ الكثرة، إن أصحابنا لكثير، وما نعدُّه قبحًا: أن يلتقي هذا الجبلان غدًا من المسلمين، فيقتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، حتىٰ إذا لم يبق إلا رجرجة[1] من هؤلاء وهؤلاء، ظهرت إحدىٰ الطائفتين، ولكن لا نعدُّ قبحًا أن يأتي الله بأمر من عنده، يحقن به دماءهم، ويُصلح به ذات بينهم[2].

وبعد انتهاء الحرب بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالصلح، ندم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتمنىٰ لو سلك منهج الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، أو كانوا راغبين في الصلح كأبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال محمد بن الضّحّاك الحِزامي عن أبيه أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب بعد الحَكَمين، فقال: لله منزل نزله سعد بن مالك - بن أبي وقاص - وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والله لئن كان ذنبًا - يعني اعتزالها - إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنًا، إنه لعظيم مشكور[3].

(١) الرعاع.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي عهد معاوية، ص(٢٢٠).

وبعد الصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ائتلف الناس واجتمعوا، الصحابة وآل البيت، فهذه أم الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعثت مولاها كريب إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشام، فقال: رأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: متىٰ رأيتم الهلال؟ فقلت: ليلة الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس وصاموا، وصام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فقال: لكنّا رأيناه ليلة السبت. فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصيامه، فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ[1].

فهذا الأثر يدل علىٰ وفود مولىٰ أم الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي زوج العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعدم اعتداد ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برؤية أهل الشام، ليس رغبة في فراق الجماعة - حاشاه من ذلك -، وإنما بسبب اختلاف مطالع الهلال في الحجاز عنه في الشام؛ ولذلك قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هكذا أمرنا رسول الله ﷺ». يعني عن توقيف، فله حكم الرفع إلىٰ رسول الله ﷺ.



(١) رواه مسلم، كتاب: الصيام، باب: بيان أن لكل بلد رؤيتهم (ص٤٤٣ - رقم ٢٥٢٨).

معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خير لهم وليس بخيرهم

ولما قدم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المدينة عام الجماعة، علا المنبر، فحمد الله، وكان مما قال[1]: «إن لم تجدوني خيركم، فأنا خير لكم، والله، لا أحمل السيف علىٰ من لا سيف معه، ومهما تقدَّم مما قد علمتموه، فقد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فارضوا ببعضه، فإنها ليست بقائبة قُوبُها، وإنَّ السَّيْل إن جاء تترىٰ - وإن قلَّ - أغنىٰ، إياكم والفتنة، فلا تهمُّوا بها، فإنها تُفسد المعيشة، وتكدِّر النعمة، وتورث الاستئصال، وأستغفر الله لي ولكم».

وقال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]: «إني لست بخيركم، وإنَّ فيكم من هو خير مني: ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وعبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وغيرهما، ولكني عسيت أن أكون أنكاكم في عدوِّكم، وأنعمكم لكم ولاية، وأحسنكم خلقًا».

فالأفضل قد لا تجتمع عليه كلمة المسلمين، وربما وقع الناس في القتال والخصومة بسبب توليته، وقد جُرّب وعُهد ذلك في عهد بني العباس.

قال ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «أفلا ترىٰ إلىٰ المأمون لما عهد إلىٰ علي بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٨ - ١٤٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٠).

(٣) المقدمة، ص(١٦٥ - ١٦٦).

موسىٰ بن جعفر الصادق، وسماه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك، ونقضوا بيعته، وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي، وظهر من الهرج، والخلاف، وانقطاع السبل، وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الأمر، حتىٰ بادر المأمون من خراسان إلىٰ بغداد، ورد أمرهم لمعاهده».

فهذا يُبين أنه قد يعدل عن الفاضل إلىٰ المفضول؛ لمصلحة اجتماع الكلمة، وهي من أكبر مصالح الشريعة.

وفي المقابل أيضًا رأينا الناس إذا وُلِّي عليهم خيارهم وأفضلهم وقام فيهم بالعدل، سعوا في قتله والخروج عليه، وإقامة المخططات ضده في جلسات سرية، كما حصل مع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

علىٰ كل حال، انتفع الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بوصية أبيه وجده في تسليم الخلافة لمعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإن جده رسول الله ﷺ قال له: «**إن ابني هذا سيد، سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين**»، وأباه قال له: «لا تكرهوا إمرة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت للحارث بن حجر: ما حمل الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن يبايع لمعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويُسلم له الأمر؟ قال: إنه سمع من يقول: لا تكرهوا إمرة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1].

فمن تأمل سيرة العشرة المبشرين بالجنة في تورعهم عن دماء المسلمين خشية التنازع في الولاية والملك؛ علم أن انقياد الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٣٩).

لحديث النبي ﷺ في الصلح كان هو الخير.

وقد ذكرنا ذلك عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك فإنه أحد الستة الذين عهد إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة من بعده، ولما قُتل، جاء ابنه عمر وهو معتزل في إبله، فقال: الناس يتنازعون الإمارة وأنت هاهنا؟ فقال: يا بنيَّ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحبُّ العبدَ الغنيَّ الخفيَّ التقيَّ**»[1].

وجاءه ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فقال له: يا عمٌّ، هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحقَّ الناس بهذا الأمر. فقال: أُريد من مائة ألف سيفًا واحدًا، إذا ضربتُ به المؤمن، لم يصنع شيئًا، وإذا ضربت به الكافر، قطع[2].

وهذا شأن خيار الصحابة، أئمة العلم والتقىٰ والديانة والورع، قال مروان بن الحكم بن أبي العاص لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلُمّ نبايعك، فإنك سيد العرب، وابن سيدها. فقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فكيف أصنع بأهل المشرق؟! قال: نقاتلهم. فقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: والله، ما يسرني أن العرب دانت لي سبعين عامًا، وأنه قُتل في سببي رجل واحد[3].

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ[4]: «فإن قيل: ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن (ص١٢٨٤ - رقم ٧٤٣٢).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٨٤- ٢٨٥).

(٣) الإشراف في منازل الأشراف، ص(١٠٥).

(٤) العواصم من القواصم، ص(٣٢٥).

قلنا: كثير، ولكن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتمعت فيه خصال، وهي: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع له الشامات كلها، وأفرده بها، لما رأىٰ من حسن سيرته، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور علىٰ العدو، وسياسة الخلق، وقد شهد له النبي ﷺ في صحيح الحديث بالفقه، وشهد بخلافته في حديث أم حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن ناسًا من أمته يركبون ثبج هذا البحر الأخضر ملوكًا علىٰ الأسرة، أو مثل الملوك علىٰ الأسرة».

وإذا أردت أن تتحقق من صحة قول معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خير لكم، ولست بخيركم»، فانظر إلىٰ عظيم جناية المحرشين علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما استتبع ذلك من شرور لا تزال تعيش الأمة في آثارها، وتأمل كيف شغب الناس بمن كان خيرًا لهم، وهو خيرهم، وهذا بإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان قول الصحابة في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «لم أرهم يعدلون بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]: «كنّا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم».

وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلافته خلافة نبوة بنص النبي ﷺ، فإنه قال[3]: «**خلافة**

(١) رواه البخاري، كتاب: الأحكام، باب: كيف يُبايع الإمامُ الناس (ص١٢٤١ - رقم ٧٢٠٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٦٢٢ -رقم ٣٦٩٨).

(٣) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب في الخلفاء (ص٦٥٦ - رقم ٤٦٤٦ ، ٤٦٤٧)، والترمذي، كتاب الفتن (ص٥١١ - رقم ٢٢٢٦) وحسنه، وصححه الإمام أحمد، كما نقله عنه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (رقم ١١٥).

النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء».

قال سفينة لسعيد بن جهمان: «فخذ سنتي أبي بكر، وعشرا عمر، واثنتي عشرة عثمان، وستًّا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

فبعض الناس لا يعجبهم شيء، قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إن غالب الطباع قد ضربت بالنقم علىٰ من يلي أمور المسلمين، وسرىٰ النقم عليهم إلىٰ النقم علىٰ أعوانهم، وقد يكون غالب ذلك باطلًا.

وبهذا السبب أفضىٰ الأمر إلىٰ ما أفضىٰ إليه في أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وهذا الأمر لم يقتصر علىٰ عثمان فضلًا عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بل سبق أن حصل شغب بولاية سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا ولاه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ العراق، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

علىٰ كل حال، في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان يقع التنازع فيمن هو خيرهم؛ لكثرة الخير والفضائل في عمومهم، أما اليوم، فالناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة.

ومن فضائل وخيرية معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إرهابه لأعداء الإسلام؛ فإنه لمّا طمع ملك الروم في غزو بلاد المسلمين، وقصد انتهاز فرصة تفرق المسلمين واقتتال علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فحشد جيشًا عظيمًا؛ ليميل علىٰ ديار المسلمين، فبلغ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخبر، فأرهبهم وكفَّ شرهم، وهو الذي قهرهم من قبل، وظفر عليهم.

---

(١) الفتح الرباني من فتاوىٰ الشوكاني (٥/ ٢٣٦٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «فلم يزل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نائبًا علىٰ الشام في الدولة العمرية والعثمانية - مدة خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قُبْرُس، وسكنها المسلمون قريبًا من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائمًا علىٰ ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها، فلمَّا كان من أمره وأمر أمير المؤمنين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتحٌ بالكُلِّيَّة، لا علىٰ يديه ولا علىٰ يَدَي عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وطَمِع في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ملك الروم بعد أن كان قد أخسأه وأذَلَّه، وقهر جنده ودَحاهم، فلمَّا رأىٰ ملكُ الروم اشتغال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحرب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تدانىٰ إلىٰ بعض البلاد في جنود عظيمة، وطَمِع فيه، فكتب إليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله، لئن لم تنتهِ، وترجع إلىٰ بلادك يا لعين، لأصطلحنَّ أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنَّك من جميع بلادك، ولأضيقنَّ عليك الأرض بما رَحُبت. فعند ذلك خاف ملك الروم وانكفَّ، وبعث يطلب الهدنة».

ومن هنا لا غرابة أن يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]: «تعجبون من دهاء هرقل وكسرىٰ، وتدعون معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟!».

صدق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمعاوية أدخل من الديار التي كانت تحت ملك هرقل وكسرىٰ إلىٰ دولة الإسلام، فذكاؤه وفروسيته فوقهم، وقبل ذلك كله توحيده وإسلامه، هو من أسباب قوة عقله وظهوره علىٰ الكافرين.

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٣٩٩ - ٤٠٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٤ - ١٣٥).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ثم دخلت سنة تسع وأربعين: فيها غزا يزيد بن معاوية - رحمه الله ورضي الله عن أبيه وجده - بلاد الروم حتىٰ بلغ قسطنطينية، ومعه جماعة من سادات الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ **قال:** «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**»، فكان هذا الجيش أول من غزاها».

وعن أيوب، عن أبي قلابة، قال كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]: «لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق، قال[3]: «كان معاويةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وما رأينا بعده مثله».

وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يثني علىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صفات الولاية والملك فيه،

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «ذُم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومًا، فقال: دعونا من ذم فتىٰ قريش، من يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده إلا علىٰ الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه».

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: «كان محبَّبًا إلىٰ رعيته، عمل نيابة الشام

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٨٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٢).

(٤) الاستيعاب، ص(٦٧٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣).

عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحدٌ في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم علىٰ العرب والعجم، وكان ملكه علىٰ الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ومعلوم أن النبي ﷺ ولّىٰ أبا سفيان - أبا معاوية - نجران، وكان واليًا عليها حتىٰ مات النبي ﷺ.

وقد اتفق الناس علىٰ أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أحسن إسلامًا من أبيه».

وقال متممًا كيفية تولية معاوية الإمارة والخلافة[2]: «يزيد بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرجل الصالح هو من الصحابة، تُوفي في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما مات ولّىٰ معاوية مكان أخيه، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أعلم الناس بأحوال الرجال، وأحذقهم في السياسة، وأبعد الناس عن الهوىٰ، لم يُولِّ في خلافته أحدًا من أقاربه، وإنما كان يختار للولاية من يراه أصلح لها، فلم يولِّ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا وهو عنده ممن يصلح للإمارة.

ثم لما تُوفّي، زاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ولاية معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتىٰ جمع له الشام، وكانت الشام في خلافة عمر أربعة أرباع: فلسطين، ودمشق، وحمص، والأردن.

ثم بعد ذلك فُصلت قِنَّسْرين، وصارت العواصم دولًا بين المسلمين وأهل الكتاب.

---

(١) منهاج السنة (٨/ ١٤٠).

(٢) منهاج السنة (٨/ ١٤٢ - ١٤٣).

وأقام معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نائبًا عن عمر وعثمان عشرين سنة، ثم تولّىٰ عشرين سنة، ورعيته شاكرون لسيرته وإحسانه، راضون به، حتىٰ أطاعوه في مثل قتال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومعلوم أنه خير من أبيه أبي سفيان، وكانت ولايته أحق بالجواز من ولاية أبيه، فلا يقال: إنه لم تكن تحل ولايته.

ولو قُدِّر أن غيره كان أحق بالولاية منه، أو أنه ممن يحصل به معونة لغيره ممن فيه ظلم، لكان الشر المدفوع بولايته أعظم من الشر الحاصل بولايته.

وأين أخذ المال، وارتفاع بعض الرجال، من قتل الرجال الذين قُتلوا بصفِّين، ولم يكن في ذلك عز ولا ظفر؟!

فدلّ هذا - وغيره - علىٰ أن الذين أشاروا علىٰ أمير المؤمنين كانوا حازمين، وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إمام مجتهد، لم يفعل إلا ما رآه مصلحة.

لكن المقصود أنه لو كان يعلم الكوائن، كان قد علم أن إقراره علىٰ الولاية أصلح له من **حرب صفِّين، التي لم يحصل بها إلا زيادة الشر وتضاعفه، لم يحصل بها من المصلحة شيء**، وكانت ولايته أكثر خيرًا وأقل شرًّا من محاربته، وكل ما يظن في ولايته من الشر، فقد كان في محاربته أعظم منه».



معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل من عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ

قيل لحماد بن أسامة: أيما أفضل: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ؟

فقال: أصحاب رسول الله ﷺ لا يقاس بهم أحد[1].

وقيل لعبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: معاوية خير أو عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ؟

فقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: تراب دخل في أنف معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة: «لَمَشهدُ رجلٍ منهم مع رسول الله ﷺ يغبرُّ منه وجهه خير من عمل أحدكم، ولو عُمِّر عمر نوح»[3].

قال الفضل بن جعفر للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: أيش تقول في حديث قبيصة عن عباد السماك عن سفيان: أئمة العدل خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز؟

فقال: هذا باطل - يعني ما ادعي علىٰ سفيان -، ثم قال: أصحاب

(١، ٢) رواه الآجري في الشريعة (٣/ ٥٢٠)، وإسناده صحيح.

(٣) رواه أحمد (١/ ١٨٧)، وأبو داود كتاب السنة، باب في الخلفاء (ص ٦٥٧ - رقم ٤٦٥٠)، والترمذي كتاب المناقب، باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف (ص ٨٥٢ - رقم ٣٧٤٨).

رسول الله ﷺ لا يدانيهم أحد، أصحاب رسول الله ﷺ لا يقاربهم أحد.

قال: وسألت أبا معمر الكرخي عن أصحاب النبي ﷺ، فقال: أبو بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قلت: إن عندنا إنسانًا يقول: وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ!

فقال أبو معمر: ما قال بهذا أحد، ويحك من هذا؟

لم تصحبون مثل هذا؟ لم يخطأ معاوية؟[1].

أصحاب محمد ﷺ خير الناس بعد رسول الله ﷺ، لو جاء من بعدهم بأمثال الجبال من الأعمال؛ لكانوا أفضل منهم؛ لقول النبي ﷺ: «**لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**».

ولو أن رجلًا في قلبه علىٰ أصحاب محمد ﷺ، لكان كافرًا؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿**أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ**﴾ [الفتح: ٢٩]، فمن كان في قلبه غيظ، فهو كافر[2].

قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – وفقه الله –[3]: «لو كان ثمَّ خليفة خامس بعد الخلفاء الأربعة الذين اختصوا باسم الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، لو كان من يستحق لقب الخليفة الخامس، فالذي

---

(١) **يعني**: لماذا لا يذكر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد الخلفاء الراشدين الأربعة، ويقفز مباشرة إلىٰ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ!

(٢) السنة للخلال (١/ ٤٣٦ – ٤٣٧ – رقم ٦٦٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٧٠ – ٣٧١).

يستحقه الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا هو الذي عليه أهل السنة، بخلاف قول طائفة من أهل البدع في عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إنه خامس الخلفاء الراشدين، أو الخليفة الخامس، أو الخليفة الراشد الخامس، ونحو ذلك. هذا ليس من أقوال أهل السنة، أو من أقوال أئمة أهل السنة، بل لو كان ثمَّ خامس فالأحق به معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أفضل من عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بلا شك؛ لأنه اجتمع عليه الناس، وصار في مدته إغاظة للكافرين، ولأنه هو صاحب رسول الله ﷺ، وكاتب الوحي، وقد قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلَمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره»، والنبي ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»، وقد قال عَزَّوَجَلَّ أيضًا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لا شك أنه دون معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يحصل له في ولايته الانتشار، وإنما أراد أشياء في نشر السنة، وفي الجهاد، وفي إحقاق الحق، والعدل بين الناس، وإزالة المظالم، لكن لم يستقم له الأمر، فما عاش الناس في ولايته أقل من سنتين، أو نحو السنتين، ثم بعدها قُبض، لهذا فلا يقدم أحد من التابعين علىٰ أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».



خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلافة ملك ورحمة

خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلافة رحمة بلا ريب، حقنت بها دماء المسلمين، وصار الإسلام عزيزًا، يجاهد المسلمون الكفار، ويفتحون الأمصار.

والنبي ﷺ أخبر أن الجماعة رحمة، وأن الفرقة عذاب كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أحمد، وهو حسن، وهذه الرحمة بعينها في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثنىٰ عليها النبي ﷺ كما في حديث الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وكان يزيد بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الشام، إلىٰ أن ولي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمات يزيد بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستعمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكان أخيه يزيد بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبقي معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ ولايته تمام خلافته، **وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **ورعيته تشكره، وتشكر سيرته فيهم، وتواليه وتحبه؛ لما رأوا من حلمه وعدله، حتىٰ إنه لم يشكه منهم مشتك، ولا تظلمه منهم متظلم**».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «قال النبي ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه** - أو **الملك** - **من يشاء**»، لفظ أبي داود من رواية عبد الوارث والعوام «**تكون الخلافة ثلاثين عامًا، ثم يكون الملك**»،

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٥٧ - ٤٥٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٨ - ٢٢).

«**تكون الخلافة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكًا**»، وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة، وعبد الوارث بن سعيد، والعوام بن حوشب، وغيره، عن سعيد بن جهمان عن سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ، رواه أهل السنن كأبي داود، وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبّته أحمد، واستدل به علىٰ من توقف في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجل افتراق الناس عليه، حتىٰ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من لم يربّع بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة فهو أضل من حمار أهله، ونهىٰ عن مناكحته، وهو متفق عليه بين الفقهاء، وعلماء السنة، وأهل المعرفة، والتصوف، وهو مذهب العامة.

وإنما يخالفهم في ذلك بعض أهل الأهواء من أهل الكلام، ونحوهم: كالرافضة الطاعنين في خلافة الثلاثة، أو الخوارج الطاعنين في خلافة الصهرين: عثمان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو بعض الناصبة النافين لخلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو بعض الجهال من المتسننة الواقفين في خلافته، ووفاة النبي ﷺ كانت في شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة من هجرته، وإلىٰ عام ثلاثين سنة كان إصلاح ابن رسول الله ﷺ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا السيد بين فئتين من المؤمنين بنزوله عن الأمر عام إحدىٰ وأربعين في شهر جمادىٰ الأولىٰ، وسمي «عام الجماعة»؛ لاجتماع الناس علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أول الملوك.

وفي الحديث الذي رواه مسلم: «**ستكون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم يكون ملك وجبرية، ثم يكون ملك عضوض**»، وقال ﷺ في الحديث المشهور في السنن – وهو صحيح –: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها،**

وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين «خلفاء»، وإن كانوا ملوكًا، ولم يكونوا خلفاء الأنبياء، بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ فوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**».

فقوله: «**فتكثر**»، دليل علىٰ من سوىٰ الراشدين، فإنهم لم يكونوا كثيرًا، وأيضًا قوله: «**فوا ببيعة الأول فالأول**»، دلّ علىٰ أنهم يختلفون، والراشدون لم يختلفوا.

وقوله: «**فأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»، دليل علىٰ مذهب أهل السنة في إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم.

وقد ذكرت في غير هذا الموضع أن مصير الأمر إلىٰ الملوك ونوابهم من الولاة، والقضاة، والأمراء؛ ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص في الراعي والرعية جميعًا، فإنه «كما تكونون، يولَّ عليكم»، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به ﷺ من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم، والصبر عليهم في حكمهم، وقسمهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم، ونحو ذلك من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم، فإنه من «باب التعاون علىٰ البر والتقوىٰ»، وما نهىٰ عنه من تصديقهم بكذبهم، وإعانتهم علىٰ ظلمهم، وطاعتهم في معصية الله، ونحو ذلك مما هو

من «باب التعاون علىٰ الإثم والعدوان».

وما أمر به أيضًا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لهم ولغيرهم علىٰ الوجه المشروع، وما يدخل في ذلك من تبليغ رسالات الله إليهم، بحيث لا يترك ذلك جبنًا، ولا بخلًا، ولا خشية لهم، ولا اشتراءً للثمن القليل بآيات الله، ولا يفعل أيضًا للرئاسة عليهم، ولا علىٰ العامة، ولا للحسد، ولا للكبر، ولا للرياء لهم، ولا للعامة.

ولا يُزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح، وتقام الفتن، كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة كما دلت عليه النصوص النبوية؛ لما في ذلك من الفساد الذي يربو علىٰ فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم وفي غيرهم، ويفعل ما أُمر به، ويترك ما نهي عنه، وهذه جملة تفصيلها يحتاج إلىٰ بسط كثير.

والغرض هنا بيان «جماع الحسنات والسيئات» الواقعة بعد خلافة النبوة في الإمارة، وفي تركها، فإنه مقام خطر، وذلك أن خبره بانقضاء «خلافة النبوة» فيه الذم للملك والعيب عليه، ولا سيما وفي حديث أبي بكرة أنه استاء للرؤيا، وقال: «**خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء**».

ثم النصوص الموجبة لنصب الأئمة، والأمراء، وما في الأعمال الصالحة التي يتولونها من الثواب حمدٌ لذلك، وترغيب فيه، فيجب تخليص محمود ذلك من مذمومه، وفي حكم اجتماع الأمرين، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خيّرني بين أن أكون عبدًا رسولًا، وبين أن أكون نبيًّا ملكًا، فاخترت أن أكون عبدًا رسولًا**»».

سياسة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سياسة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبهرت خصومه فضلًا عن محبيه، ودوّنها العلماء في سير الملوك، وفي كتب السياسة الشرعية حتىٰ صارت أمثالًا سار الناس في الأخذ بها، حسبنا في هذا المقام أن نشير إلىٰ شيء منها.

منها: أنه لا يولي أحدًا الولايات الكبرىٰ إلا بعد أن يجرّبه في الولايات الصغرىٰ، فإن ساسها سياسة حسنة، ولاه الولايات الكبرىٰ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أراد أن يولي رجلًا من بني حرب؛ ولاه الطائف، فإن رأىٰ فيه ما يعجبه، ولاه مكة معها، فإن أحسن الولاية، جمع له معها المدينة، فكان إذا ولىٰ الطائف رجلًا، قيل: هو في أبي جاد[(٢)]. وإذا ولاه مكة، قيل: هو في القرار. فإذا ولاه المدينة، قيل: هو قد حذق».

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٣)]: «علمت بما كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يغلب الناس، كان إذا طاروا، وقع، وإذا وقعوا، طار».

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٥/ ٢٦٧).

(٢) يعني: في أول الأمر.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٤).

وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن زياد بن أبيه، قال: ما غلبني معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في شيء إلا بابًا واحدًا، استعملت فلانًا، فكسر الخراج، فخشي أن أعاقبه، ففرَّ مني إلىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكتبت إليه: إن هذا أدب سوء لمن قبلي. فكتب إليّ: إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، أن نلين جميعًا؛ فيمرح الناس في المعصية، ولا نشتد جميعًا؛ فنحمل الناس علىٰ المهالك، ولكن تكون للشدة والفظاظة، وأكون أنا للِّين والألفة[(١)].

وقال الحافظ أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنّي لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا مدّوها خلّيتها، وإذا خلّوها مددتها.

ونحو هذا قول الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كالجمل الطبّ، والجمل الطبّ هو الحاذق بالشيء، لا يضع يده إلّا حيث تبصر عينه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «من المعلوم من سيرة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان من أحلم الناس، وأصبرهم علىٰ من يؤذيه، وأعظم الناس تأليفًا لمن يعاديه».

ومن خير ما يكون من سياسة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دفعه بالأخف فالأخف، وحرصه علىٰ حقن دماء المسلمين، وقد قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٤)]: «إني والله لا أقاتل،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٤).

(٢) سراج الملوك، ص(١٤٥).

(٣) منهاج السنة (٤/ ٤٤٥).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٦٩).

حتىٰ لا أجد من القتال بدًّا».

وفي صحيح البخاري، لما سار الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالكتائب، قال عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لمعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أرىٰ كتيبة لا تولِّي حتىٰ تُدبر أخراها، قال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: من لذراري المسلمين؟ فقال: أنا[1].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «قوله: قال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «من لذراري المسلمين؟»، أي: من يكفلهم إذا قُتل آباؤهم؟ زاد في الصلح: «فقال له معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان والله خير الرجلين - يعني معاوية -: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم».

يشير إلىٰ أن رجال العسكرين معظم مَنْ في الإقليمين، فإذا قتلوا، ضاع أمر الناس، وفسد حال أهلهم بعدهم وذراريهم، والمراد بقوله: «ضيعتهم»: الأطفال والضعفاء، سموا باسم ما يئول إليه أمرهم؛ لأنهم إذا تُركوا، ضاعوا؛ لعدم استقلالهم بأمر المعاش، وفي رواية الحميدي عن سفيان في هذه القصة: «من لي بأمورهم، من لي بدمائهم، من لي بنسائهم». وأما قوله هنا في جواب قول معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من لذراري المسلمين؟ فقال: أنا». فظاهره يوهم أن المجيب بذلك هو عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم أر في طرق الخبر ما يدل علىٰ ذلك، فإن كانت محفوظة، فلعلها كانت «فقال أنَّىٰ»، بتشديد

(١) رواه البخاري، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين**» (ص ١٢٢٥ - رقم ٧١٠٩).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٦٩).

النون المفتوحة، قالها عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ سبيل الاستبعاد».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **في فوائد هذه القصة**(١): «فيه فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين، ودلالة علىٰ رأفة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالرعية، وشفقته علىٰ المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك، ونظره في العواقب».

وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديد الملاحظة لحوائج الناس ساعيًا في قضائها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «قال البغوي: حدثنا سويد بن سعيد: حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قيس قال: كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد جعل في كل قبيل رجلًا، وكان رجل منّا يُكنىٰ أبا يحيىٰ، يصبح كل يوم، فيدور علىٰ المجالس: هل وُلد فيكم الليلة ولد؟ هل حدث الليلة حدث؟ هل نزل اليوم بكم نازل؟

قال: فيقولون: نعم، نزل رجل من أهل اليمن بعياله، يسمُّونه وعياله، فإذا فرغ من القبيل كله، أتىٰ الديوان، فأوقع أسماءهم في الديوان.

وروىٰ محمد بن عوف الطائي: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا ابن أبي مريم عن عطية بن قيس قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطبنا يقول: إن في بيت مالكم فضلًا بعد أعطياتكم، وإني قاسمه بينكم، فإن كان يأتينا فضل عاملًا قابلًا قسمناه عليكم، وإلا فلا عتبة عليّ، فإنه ليس بمالي، وإنما هو مال الله الذي أفاء عليكم.

وفضائل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حسن السيرة، والعدل، والإحسان كثيرة».

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٧٢).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٣٤ - ٢٣٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وهل توجد سيرة أحد من الملوك مثل سيرة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟!».

وقال أيضًا[٢]: «وكانت سيرة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع رعيته من خيار سير الولاة، وكان رعيته يحبونه.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبونكم، وتصلّون عليهم ويصلُّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم».

وإنما ظهر الأحداث من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولما قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس، لم يختص بها معاوية، بل كان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أطلب للسلامة من كثير منهم، وأبعد عن الشر من كثير منهم».



(١) منهاج السنة (٦/ ٢٣٦).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٤٧).

تواضع معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

قال أبو مجلز رَحِمَهُٱللَّهُ: خرج معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ الناس، فقاموا له؛ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحبَّ أن يتمثَّلَ له الرجال قيامًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

وفي رواية قال: خرج معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ ابن عامر وابن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فقام له ابن عامر، ولم يقم له ابن الزبير؛ فقال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لابن عامر: اجلس، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحبَّ أن يتمثل له العباد قيامًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[2].

قال صفوان بن عمرو: خطب معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ منبر حمص، وهو أمير علىٰ الشام كله، فقال: والله، ما علمتُ يا أهل حمص أن الله ليسعدكم بالأمراء الصالحين: أول من ولي عليكم عياضُ بنُ غنم، وكان خيرًا مني، ثم

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٠)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٢٧ - رقم ٣٥٧).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٩٣)، وأبو داود، كتاب: الأدب باب: الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك (ص ٧٣٣ - رقم ٥٢٢٩)، والترمذي، كتاب: الأدب باب: ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل (ص ٦٢٣ - رقم ٢٧٥٥)، من حديث حبيب الشهيد، قال الترمذي: حديث حسن، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

ولي عليكم سعيد بن عامر، وكان خيرًا مني، ثم ولي عليكم عمير، ولنعم العُمير كان، ثم هأنذا قد وليتكم، فستعلمون[١].

وقال القاسم بن مخيمرة: إن أبا مريم الأزدي قال: دخلت علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان؟ - وهي كلمة تقولها العرب - فقلت: حديث سمعته أُخبرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ولَّاه الله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم، وخلَّتهم، وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وفقره**»، قال: فجعل رجلًا علىٰ حوائج الناس[٢].

وأحوال الناس اليوم ليست كأحوال الصحابة الأخيار، حيث لم يتخذ النبي ﷺ دونهم حاجبًا ولا بوابًا؛ لعصمة الله له، وللخير الذي كان في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين يفدونه بأرواحهم ودمائهم، أما اليوم، فالناس فيهم الأشرار الذين ربما توصلوا بعدم اتخاذ البواب إلىٰ أغراضهم الشريرة كالاغتيالات، ونحوها.

وقد بوّب البخاري في كتاب الأحكام، باب: «ما ذُكر أن النبي ﷺ لم يكن له بوّاب»، وساق فيه حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن امرأة جاءت إلىٰ بابه، فلم تجد عليه بوابًا[٣].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «قال المهلب: لم يكن للنبي ﷺ بوّاب راتب،

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٩).

(٢) رواه الترمذي، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في إمام الرعية (ص ٣٢٢ - رقم ١٣٣٢)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) صحيح البخاري (ص١٢٣١ - رقم ٧١٥٤).

(٤) شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٢٢ - ٢٢٤).

وقد جاء في حديث القف والمشربة أنه كان له بواب، فدلّ حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذا لم يكن علىٰ شغل من أهله، ولا انفراد لشيء من أمره أنه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس، ويبرز لطالبيه وذوي الحاجة إليه؛ لأن الله قد كان أمنه أن يغتال، أو يهاج، أو تُطلب غرّته؛ فيُقتل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقد أراد عمر بن عبد العزيز أن يسلك هذه الطريقة؛ تواضعًا لله؛ فمنع الشرط والبوابين، فتكاثر الناس تكاثرًا اضطره إلىٰ الشرط، فقال: لا بد للسلطان من وزعة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دلّ حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين استأذن له الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ النبي ﷺ في المشربة أنه في وقت خلوته وشغله بنفسه فيما لا بد له منه كان يتخذ بوابًا؛ ليعلم من قصده أنه خال فيما لا بد له منه، ولولا ذلك لم يكن لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حاجة إلىٰ مسألة الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للاستئذان له علىٰ رسول الله ﷺ، بل كان يكون هو المستأذن لنفسه، فبان بحديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن معنىٰ رواية من روىٰ عنه أنه لم يكن له بواب، يريد في الأوقات التي كان يظهر فيها للناس ويبرز إليهم، وأما في وقت حاجته وخلوته، فلا.

وعلىٰ هذا النحو من فعله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في اتخاذه البواب، ورفعه الحجاب والبواب عن بابه وبروزه لطالبه، كان احتجاب من احتجب من الأئمة الراشدين، واتخاذ من اتخذ البواب، وظهور من ظهر للناس منهم.

وروىٰ شعبة عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت أن أبا ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قدم علىٰ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «يا أمير المؤمنين، افتح الباب؛ يدخل الناس»، فدلّ هذا الحديث عن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يبرز أحيانًا،

ويظهر لأهل الحاجة، ويحتجب أحيانًا في أوقات حاجاته، ونظير ذلك كان يفعل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

روي عن جرير، عن مغيرة عن زيد الطيب، قال: دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال لي: ما يقول الناس؟ قلت: يقولون: إنك شديد الحجاب، فقال: لا بد لي أن أخلو فيما يرفع إليّ الناس من المظالم؛ فأنظر فيها».

فمن الأمور التي اضطر إليها معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الاحتجاب أحيانًا وليس دائمًا عن الرعية، وذلك بسبب سعي الخوارج، وتعاهدهم علىٰ اغتياله، ورغم هذا جعل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نوابًا له ينظرون في حوائج الناس، ويرفعونها إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فلما كانت إمارة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، احتجب لمّا خاف أن يغتال كما اغتيل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واتخذ المقاصير في المساجد، ليصلي فيها ذو السلطان وحاشيته، واتخذ المراكب، فاستن به الخلفاء الملوك بذلك، فصاروا مع كونهم يتولون الحرب والصلاة بالناس، ويباشرون الجمعة، والجماعة، والجهاد، وإقامة الحدود لهم قصور يسكنون فيها، ويغشاهم رءوس الناس فيها، كما كانت «الخضراء» لبني أمية قبلي المسجد الجامع، والمساجد يجتمع فيها للعبادات، والعلم، ونحو ذلك».

وكان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يتخذ موكبًا له، يريد بذلك إظهار عزة ملوك المسلمين، لا المخيلة والكبر، خصوصًا وهو في الشام محاذيًا الروم.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذ دخل الشام

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٤٠).

(٢) الاستيعاب، ص(٦٧٧).

ورأىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هذا كسرىٰ العرب. وكان قد تلقاه معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في موكب عظيم، فلما دنا منه، قال له: أنت صاحب الموكب العظيم؟!

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك.

قال: مع ما يبلغك من ذلك.

قال: ولم تفعل هذا؟

قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير، **فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به،** فإن أمرتني، فعلت، وإن نهيتني، انتهيت.

فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **لمعاوية** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، إن كان ما قلت حقًّا إنه لرأي أريب، وإن كان باطلًا، إنه لخدعة أديب.

قال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فمرني يا أمير المؤمنين، قال: لا آمرك، ولا أنهاك».

ولا ريب أن إغاظة الأعداء يُرخّص فيها في فعل ما ليس بمعتاد عادة، كما رخص النبي ﷺ لأبي دجانة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مشية المخيلة، وقال له: «**إن هذه مشية يبغضها الله، إلا في هذا الموضع**».

وفي صلح الحديبية قام المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ رأس النبي ﷺ ومعه السيف، والنبي ﷺ قاعد، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائده[1]: «وفي

(١) زاد المعاد، ص(٤٩١ - ٤٩٢).

قيام المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ رأس رسول الله ﷺ بالسيف، ولم يكن عادته أن يُقام علىٰ رأسه، وهو قاعد، سنة يُقتدىٰ بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العزِّ والفخر، وتعظيم الإمام، وطاعته، ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين علىٰ الكافرين، وقدوم رسل الكافرين علىٰ المؤمنين، وليس هذا من هذا النوع الذي ذمّه النبي ﷺ بقوله: «**من أحبَّ أن يتمثَّل له الرجال قيامًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»، كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره».

ففي خروج معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لاستقبال خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إغاظة للكفار، لا سيما في الشام حيث فتحها عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكانت حمص عاصمة الروم.

والفقهاء المتجردون للحق أجازوا بل واستحبوا حفاوة الاستقبال للوالي، خصوصًا في أحوال مجاهدة العدو؛ لما في ذلك من إغاظة الكفار، قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل - رحمهما الله -: سألت أبي عن فضل استقبال الرسول إذا خرج من بلاد العدو، وفي الوالي يقدم، فينادىٰ في الناس: اخرجوا، فاستقبلوا واليكم بالسلاح.

فقال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: كل ما كان فيه ترهيب للعدو وغيظ لهم، فإن في ذلك أجرًا، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠][(١)].

(١) المسائل رواية عبد الله (ص ٢٥١ - رقم ٩٣٤).



عدل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عدل النبي ﷺ لا يوازيه أحد، ثم الخلفاء الأربعة، ثم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم لا يزال الأمر في تناقص، ثم يجدّد الله لهذه الأمة في ولاتها من يقيم العدل، كما حصل من هشام بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز - رحمهما الله -.

وقد تكلم خيار الناس في عدل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(١)]: «ما رأيت أحدًا بعد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أقضىٰ بحق من صاحب هذا الباب - يعني معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -».

وقال أبو بكر ابن عيّاش، عن أبي إسحاق قال: كان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وما رأينا بعده مثله[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «لم يكن من ملوك المسلمين ملك خيرًا من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرًا منهم في زمن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إذا نُسبت أيامه إلىٰ أيام من بعده، وأما إذا نُسبت إلىٰ أيام أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ظهر التفاضل.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي عهد معاوية، ص(٣١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٢).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٢٣٢ - ٢٣٣).

وقد روىٰ أبو بكر الأثرم، ورواه ابن بطَّة من طريقه: حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة: حدثنا محمد بن مروان عن يونس، عن قتادة، قال: لو أصبحت في مثل عمل معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لقال أكثركم: هذا المهدي.

وكذلك رواه ابن بطّة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش، عن مجاهد، قال: لو أدركتم معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لقلتم: هذا المهدي.

ورواه الأثرم: حدثنا محمد بن حواش: حدثنا أبو هريرة المكتب، قال: كنا عند الأعمش، فذكروا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ، وعدله، فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟

قالوا: في حلمه؟

قال: لا والله، بل في عدله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «وإنما ظهر الأحداث من معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لمّا قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولما قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس، لم يختص بها معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بل كان معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أطلب للسلامة من كثير منهم، وأبعد عن الشر من كثير منهم.

ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان خيرًا من الأشتر النخعي، ومن محمد بن أبي بكر، ومن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومن أبي الأعور السلمي، ومن هاشم بن هاشم بن هاشم المرقال، ومن الأشعث بن قيس الكندي، ومن بسر بن أبي أرطاة، وغير هؤلاء من الذين كانوا معه ومع علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٤٧).

وأما ما جرىٰ من معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع حجر بن عدي فنقول أوَّلًا: إن حجر بن عدي الكنديِّ من تابعي أهل الكوفة، وأكثر المحدثين لا يصححون له صحبة، وقال المرزباني: قد رُوي أنه وفد إلىٰ رسول الله ﷺ.

وحجر بن عدي الكوفي كان يثبّط علىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويسبه، ويجتمع إليه أهل الفتنة علىٰ هذا التثبيط؛ ليجعلوها فرقة بعد أن صارت جماعة.

وهنا لا بد من ذكر سبب قتل معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ له:

١) كان يسب الخليفة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويتبرأ منه.

٢) **كان يقول:** إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل علي بن أبي طالب. مع أن النبي ﷺ امتدح الصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصار الناس في جماعة، فأرادها حجر ومن اجتمع إليه فرقة وفتنة.

٣) كان يثب علىٰ نواب معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالكوفة، وهم يخطبون الجمعة أمام العامة، فعل ذلك مع المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتمادىٰ حتىٰ صار يحصبهم، وهم يخطبون الجمعة علىٰ المنبر، كما فعل مع عمرو بن حريث.

٤) وكان يعترض العير التي يرسلها أمراء الكوفة إلىٰ بيت المال في الشام.

٥) كان يجتمع إليه المحرضون ضد معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فيسبون معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وينالون من ولايته وحكمه.

علىٰ كل حال، معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ونوابه حلموا علىٰ حجر بن عدي، وعفوا عنه مرات، ووعظوه بأنفسهم، فأبىٰ، وأرسلوا إليه خيار الصحابة

ونصحوه، فلم يرد عليهم شيئًا، فلم يجد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدًّا من قتله؛ حفظًا للجماعة من الفرقة والفتنة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «كان المغيرة - أمير الكوفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه حلم وأناة، فكان يصفح عنه - حجر بن عدي -، ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذِّرُه غِبَّ هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حُجر عن ذلك.

فلما كان في آخر أيام المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام حجر يومًا؛ فأنكر عليه في الخطبة، وصاح به، وذمَّه بتأخيره العطاء عن الناس، وقام معه فئام من الناس؛ لقيامه، يُصدِّقونه ويُشنعون علىٰ المغيرة، ودخل المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد الصلاة قصر الإمارة، ودخل معه جمهور الناس من الأمراء وغيرهم، فأشاروا علىٰ المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن يردَّ حُجْرًا عمَّا يتعاطاه من الجرأة علىٰ السلطان، وشقِّ العصا، والقيام علىٰ الأمير، وذَمروه[٢]، وحثُّوه علىٰ التنكيل به، فصفح عنه، وحلم».

وفي مرة أرسل المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أموالًا من بيت المال بالكوفة إلىٰ بيت المال بالشام لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اعترضها حجر، وطلب قتله شباب ثقيف، فأبىٰ عليهم المغيرة، وعفا عنه.

ولما ولي الكوفة زياد بعد المغيرة، قام حجر كما كان يقوم في أيام المغيرة، فلم يعرض له زياد.

ولما ذهب زياد للبصرة، وصلىٰ بالناس جمعة بالكوفة نائبه عمرو بن

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

(٢) **الذَّمْر**: اللَّوْم والحَضُّ.

حريث؛ قام إليه حجر بن عدي وأصحابه؛ فحصبوه.

وزياد بن أبي سفيان لمّا ولي الكوفة بعد المغيرة، بعث إلىٰ حجر بن عدي، ووعظه، وقال له: «املك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لديَّ، فاكفني نفسك، فإني أعرف عجلتك، فأنشدك الله في نفسك، وإياك وهذه السفلة، وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك. فقال حجر: قد فهمت.

ثم انصرف إلىٰ منزله، فأتاه الشيعة، فقالوا: ما قال لك؟ قال: قال لي كذا وكذا. **فقالوا**: ما نصح لك».

فعاد حجر بن عدي إلىٰ ما كان عليه من المضادة لزياد، وعمرو بن حريث مع أنه قد أظهر للأمير زياد السمع والطاعة، لكن استزله السفهاء، فبعث زياد خيار الصحابة ينصحون ويزجرون حجرًا، فأبىٰ عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «فأعجل زياد السير إلىٰ الكوفة، فلما وصل، بعث إليه عَدِيَّ بن حاتم، وجرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن عرفطة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في جماعة من أشراف أهل الكوفة؛ لينهوه عن هذه الجماعة، فأتوه، فجعلوا يُحدِّثونه، ولا يرُدُّ عليهم شيئًا، بل جعل يقول: يا غلام، اعلف البَكْرَ، لبكر مربوط في الدار. فقال له عدي بن حاتم: أمجنون أنت؟ نُكلِّمك، وأنت تقول: يا غلام، اعلف البَكْرَ!

ثم قال عدي لأصحابه: ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كلَّ ما أرىٰ».

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

وقام زياد بإشهاد وجوه أهل الكوفة علىٰ حجر، وبعثه إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الصحابي وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من جملة الشهود عليه: أبو بردة بن أبي موسىٰ، ووائل بن حجر، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وإسحاق وإسماعيل وموسىٰ بنو طلحة بن عبيد الله، والمنذر بن الزبير، وكثير بن شهاب، وشبث بن رِبْعيٍّ، في سبعين رجلًا[١].

وبعد أن وصل كتاب زياد إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر بإخراجهم إلىٰ عذراء[٢]، وقتلهم، فذهبوا بهم، ثم قتلوا حجرًا وسبعة ممن معه، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد أرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تسأله أن يُخَلِّي سبيلهم، ولكن كان حجر فيمن قتل، وجاء رسول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعدما فُرِغ من شأنهم[٣].

ويُذكر أن حجرًا لما قدموه للقتل، وقد حُفر قبره، ونُشر كفنه، وتقدَّم إليه السيَّاف، ارتعدت فرائصه، فقيل له: إنك قلت: لست بجازع من القتل. فقال: وما لي لا أجزع، وأنا أرىٰ قبرًا محفورًا، وكفنًا منشورًا، وسيفًا مشهورًا[٤]؟!

هذا ملخص ما كان من حجر بن عدي في السعي في الفرقة بعد اجتماع الكلمة، ومع حلم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونوابه عليه مرات لو أنه قبل نصيحة الصحابة عديِّ بن حاتم، وجرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لكان خيرًا للأمة، قبل أن يكون خيرًا له.

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٣٢).

(٢) موضع بالشام.

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٢٣٥).



حلم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حلم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علم سار به الركبان، وكانت شهرته بذلك معلومة، وهي من أسباب سؤدده، وحب الناس له، وإذا تحدّث الناس عن حلم الولاة والملوك؛ كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشهرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «إن حلم الملوك والولاة أجمع لأمرهم، وطاعة الناس لهم، وتأليفهم لقلوب الناس، **وكان معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **من أحلم الناس**».

قال قبيصة بن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صحبت عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيت أقرأ لكتاب الله منه، ولا أفقه ولا أحسن مداراة منه، وصحبت طلحة، فما رأيت أعطىٰ لجزيل من غير مسألة منه، **وصحبت معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **فما رأيت أحلم منه**، وصحبت عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيت رجلًا أبين - أو قال: - أنصع طرفًا منه، ولا أكرم جليسًا منه، وصحبت المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر، لخرج من أبوابها كلها[٢].

وكتب عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعاتبه في التأني، فكتب إليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما بعد: فإن التفهم في الخير زيادة ورشد، وإن

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٣ - ٧٤).

الرشد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العجل مخطيء، أو كاد أن يكون مخطئًا، وإنه من لا ينفعه الرفق، يضره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب، لا يدرك المعالي.

ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتىٰ يغلب علمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم[1].

وقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]: «أفضل الناس من عَقَلَ وحَلُمَ، من إذا أُعطي شكر، وإذا ابْتُلِي صبر، وإذا غضب كَظَمَ، وإذا قَدَرَ غَفَرَ، وإذا وعد أنجز، وإذا أساء استغفر».

لهذا عرف الجميع حلم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووصفوه بذلك، قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ عنه[3]: «كان حليمًا، وقورًا، فصيحًا».

وعن أبي مسلم الخولاني أن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خطب الناس، وقد حَبس العطاء شهرين أو ثلاثة، فقال له أبو مسلم: يا معاوية! إن هذا المال ليس بمالك، ولا مال أبيك، ولا مال أمك. فأشار معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الناس: أن امكثوا، ونزل؛ فاغتسل، ثم رجع، فقال: أيها الناس، إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بمال أبي، ولا مال أمي، وصدق أبو مسلم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الغضب من الشيطان، والشيطان من النار،**

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٣٣ - ١٥٣٤).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٥٣).

(٣) معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٩٦).

والماء يطفئ النار، فإذا غضب أحدكم، فليغتسل».

اغدوا علىٰ أعطياتكم علىٰ بركة الله[١].

وقال همّام بن منبّه رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: **ما رأيت رجلًا كان أخلق للملك من معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان الناس يردون منه علىٰ أرجاء وادٍ رَحْبٍ، لم يكن بالضَّيِّق الحَصِر العُصْعُص المتغضِّب - يعني ابن الزبير -[٢].

وعن قبيصة بن جابر قال: صحبت معاوية، فما رأيت رجلًا أثقل حلمًا، ولا أبطأ جهلًا، ولا أبعد أناة منه[٣].

وقال صفوان بن عمرو: وقف عبد الملك بقبر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوقف عليه، فترحّم، فقال رجل: قبر مَنْ هذا؟

فقال: قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم، ويسكت عن حلم، إذا أعطىٰ أغنىٰ، وإذا حارب أفنىٰ، ثمّ عجّل له الدّهر ما أخّره لغيره ممّنْ بعده، هذا قبر أبي عبد الرحمن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «وكان يُضرب المثل بحلم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أفرد ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفًا في حلم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٥٢٥ - ١٥٢٦).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي عهد معاوية، ص(٣١٣).

(٣) تاريخ الإسلام عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص(٣١٥).

(٤) الكامل في التاريخ، ص(٥٠٠).

(٥) تاريخ الإسلام عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص(٣١٥).

توقير معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لآل البيت وإكرامهم

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روىٰ مناقب آل البيت ولم يكتمها فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يمصُّ لسان الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإنه لن يُعذب لسان أو شفتان مصَّهُما رسول الله ﷺ»[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «فلمَّا استقرَّت الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتردَّدُ إليه مع أخيه الحسن، فكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكرمهما إكرامًا زائدًا، ويقول لهما: مرحبًا وأهلًا. ويعطيهما عطاءً جزيلًا، وقد أطْلَق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خُذاها وأنا ابن هند، والله لا يُعْطيكماها أحد قبلي، ولا أحد بعدي.

فقال الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله، لن تُعطي أنت ولا أحدٌ قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منَّا.

ولمَّا تُوفِّي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفد إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٩٣)، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي، وهو ثقة». دَرّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة، ص(٢٩٠).

ولهذا احتفظ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برداء وإزار النبي ﷺ وشعره، وأوصىٰ بأن يُكفن في قميص النبي ﷺ وردائه، وأن يحشىٰ منخريه وشدقيه بشعره ﷺ.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٧٧).

في كل عام فيُعْطيه، ويُكْرِمُه».

قال عبد الرحمن الهمداني: دخل أبو الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: ما أبقىٰ لك الدهر من ثكلك عليًّا؟

قال: ثُكل العجوز المِقْلات والشيخ الرَّقُوب.

قَالَ: فكيف حبُّك له؟

قال: حبُّ أُمِّ موسىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإلىٰ الله أشكو التقصير[1].

قال عبد الله بن بريدة: إن الحسن دخل علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: لأجيزنك بجائزة لم أجز بها أحدًا. فأجازه بأربع مئة ألف، أو أربع مئة ألف ألف، فقبلها[2].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «ولما نزل - الحسن - لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الخلافة من ورعه؛ صيانة لدماء المسلمين، كان له علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كل عام جائزة، وكان يَفِدُ إليه، فربما أجازه بأربعمائة ألف درهم، وراتبه في كل سنة مائة ألف، فانقطع سنة عن الذَّهاب، وجاء وقت الجائزة، فاحتاج الحسن إليها - وكان من أكْرمِ الناس -؛ فأراد أن يكتب إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليبعث بها إليه، فلما نام تلك الليلة، رأىٰ رسول الله ﷺ في المنام، فقال له: «يا بنيَّ، أتكتب إلىٰ مخلوق بحاجتك؟!»، وعلَّمه دُعاءً يَدْعو به، فترك الحسنُ ما

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٩).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٤).

كان هَمَّ به من الكتابة، فذكره معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وافتقده، وقال: ابعثوا إليه بمائتي ألف، فلعلَّ له ضرورةً في تركه القدوم علينا. فحُملت إليه من غير سؤال».

قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حاجًّا معه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فكان لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موكب، ولابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موكب ممن يطلب العلم[1].

ومن توقير معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مذاكرته له في العلم، وأخذه عنه.

قال ربعي بن حراش: سأل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن مسائل، فأجابه، فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدقت يا بن عباس، أشهد أنك لسان أهل بيتك. ثم قال لمن عنده: **ما كلمته قط، إلا وجدته مستعدًّا**[2].

وقال ابن وهب: سمعت ابن عيينة يُحدِّثُ عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونحن عند معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: (في عين حامية). وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]. فسألنا كعبًا، فقال: إنَّها لفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ المنزل تغرب في طينة سوداء[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١).

(٢) معرفة الصحابة (٣/ ١٧٠٢).

(٣) المخلصيات (١/ ٤١٣، رقم ٧١٤).

وكان معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوصي بالحسين خيرًا، ويقول مبينًا موجب ذلك(١): «إن له رحمًا ماسة، وحقًّا عظيمًا، وقرابة من محمد ﷺ».

وقال جعفر بن محمد عن أبيه: إن عقيل بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جاء إلىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ العراق ليعطيه، فأبىٰ أن يعطيه شيئًا، فقال: إذًا أذهب إلىٰ رجل أوصل منك. فذهب إلىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فغرف له(٢).

وقال جعفر بن محمد عن أبيه: إن الحسن والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كانا يقبلان جوائز معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٣).

قال خالد بن معدان رَحِمَهُٱللَّهُ: وفد المقدامُ بنُ معدي كرب، وعمرو بنُ الأسود، ورجلٌ من الأسد له صحبةٌ إلىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للمقدام: تُوفِّي الحسن. فاسترجع. فقال: أتراها مصيبة؟ قال: ولم لا؟ وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره، وقال: «**هذا مني، وحسين** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **من عليٍّ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٤)».



(١) الكامل في التاريخ، ص(٤٩٨).

(٢) الشريعة للآجري (ص٧٩٣، رقم ١٩٦٢).

(٣) رواه أبو بكر الآجري في الشريعة (ص٧٩٣، رقم ١٩٦٣)، وهو صحيح.

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٨)، وقال الذهبي: إسناده قوي.

خاتمة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خاتمة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاتمة خير، مات على الإسلام، واجتمع المسلمون عليه بعد الصلح الذي امتدحه النبي ﷺ بينه وبين الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فحُقنت به دماء المسلمين، وجاهدوا العدو، وأمنت السبل، وأقيمت الحدود.

قال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٤٣٠ هـ) في معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]: «وكان عنده قميص رسول الله ﷺ، ورداؤه، وإزاره، وشعره، فأوصاهم عند موته، فقال: كفنوني في قميصه، وأدرجوني في ردائه، وأزروني بإزاره، واحشوا منخري وشدقي بشعره، وخلوا بيني وبين رحمة أرحم الراحمين».

ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان حريصًا على حسن الخاتمة، وهذا شأن المؤمن، وهذا من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كيف لا وهو الراوي لحديث رسول الله ﷺ: **«إنَّما الأعمال بخواتيمها، كالوعاء إذا طاب أعلَاهُ، طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه، خَبُثَ أسفله»**[٢].

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: مرض معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرضًا شديدًا، فنزل عن السرير، وكشف ما بينه وبين الأرض، وجعل يلزق ذا الخدّ مرةً

---

(١) معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٩٧).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٩٤)، وأبو يعلى (١٣/ ٣٤٨)، وصححه ابن حبان (١/ ٣٠٦).

بالأرض، وذا الخدّ مرةً بالأرض، ويبكي ويقول: اللهم إنك قلت في كتابك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، اجعلني ممن تشاء أن تغفر له[١].

فمرضه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كفارة له بإذن الله، وحسن ظنه بمغفرة الله موجبة أخرىٰ، فإن الله قال: «**أنا عند ظن عبدي بي**»، والله سبحانه من أسمائه الحسنىٰ «المؤمن»، ومن معاني هذا الاسم أنه يُصدّق ظنون عباده.

عن عبادة بن نسي قال: خطب معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: إني من زرع قد استحصد، وقد طالت إمرتي عليكم حتىٰ مللتكم ومللتموني، ولا يأتيكم بعدي خيرٌ مني، كما أن من كان قبلي خير مني، اللهم قد أحببت لقاءك؛ فأحبَّ لقائي[٢] ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

قال أبو عمرو ابن العلاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما احتضر معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قيل له: ألا توصي؟ فقال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلَّة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرْجُ غيرك، فما وراءك مذهب[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «لم يتولّ بعد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خير منه، ولا أحسن سيرة، ولا تولّىٰ بعد عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خير منه، ولا تولّىٰ ملك من ملوك المسلمين أحسن سيرةً من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

(١) المحتضرون (٥/ ٣٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٠).

(٤) منهاج السنة (٦/ ١٥٠).

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من خيار الملوك الذين غلب عدلهم ظلمهم، وما هو ببريء من الهَنَات، والله يعفو عنه».

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٣٠ هـ)** في معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢]: «ملك الناس كلهم عشرين سنة، منفردًا بالملك، يفتح الله به الفتوح، ويغزو الروم، ويقسم الفيء والغنيمة، ويقيم الحدود، والله تعالىٰ لا يضيع أجر من أحسن عملًا».

وعلماء الصحابة وخيارهم كانوا يرون أن ما جرىٰ من السيف بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هو كفارة لذنوبهم، قال أبو حازم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن هذه الأمة أمة مرحومة، لا عذاب عليها إلا ما عذبت هي أنفسها. قال أبو حازم: قلت: وكيف تعذب نفسها؟ قال: أما كان يوم الجمل عذابًا؟ أما كان يوم صفّين عذابًا؟ أما كان يوم النهر عذابًا[٣]؟

وهذا ما حكم به علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نفسه علىٰ إخوانه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤]: «وأما أهل الجمل فقد تواتر عنه أنه نهىٰ عن أن يتبع مدبرهم، وأن يجهز علىٰ جريحهم، وأن يقتل أسيرهم، وأن تغنم أموالهم، وأن تسبىٰ ذراريهم، فإن كان هؤلاء كفارًا بهذه النصوص، فعليّ أول من كذّب بها، فيلزمه أن يكون عليّ كافرًا.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٩).

(٢) معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٩٧).

(٣) رواه أبو يعلىٰ (١١/ ٦٧، رقم ٦٢٠٤)، وانظر المطالب العالية لابن حجر (٥/ ٤٨، رقم ٤٤٣٢).

(٤) منهاج السنة (٧/ ٤٠٦).

وكذلك أهل صفّين كان يصلّي علىٰ قتلاهم، ويقول: إخواننا بَغَوْا علينا، **طهّرهم السيف**. ولو كانوا عنده كفّارًا لما صلّىٰ عليهم، ولا جعلهم إخوانه، ولا جعل السيف طُهرًا لهم».



آل البيت ينفون الغل في وفاة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال قتادة: قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: واعجبا للحسن! شرب شربةً من عسل بماء رُومة[١] فقضىٰ نحبه. ثم قال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا يسوؤك الله، ولا يحزنك في الحسن. قال: أما ما أبقىٰ الله لي أمير المؤمنين، فلن يسوءني الله، ولن يحزنني. فأعطاه ألف ألف من بين عروض وعين، وقال: اقسمه في أهلك[٢].

وقال قتادة، وأبو بكر ابن حفص: سمّ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سمّته امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي[٣].

وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليها، وما بذل لها في ذلك، وكان لها ضرائر[٤].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا[٥]: «هذا شيء لا يصحّ، فمن الذي اطّلع عليه؟».

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ[٦]: «فإن قيل: قد دس علىٰ الحسن

---

(١) بئر رومة بالمدينة اشتراها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتصدق بها.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٥).

(٣، ٤) الاستيعاب لابن عبد البر، ص(٢١٩).

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي (عهد معاوية ٤١ - ٦٠ هـ)، ص(٤٠)، ط: دار الكتاب العربي.

(٦) العواصم من القواصم، ص(٣٢٧).

مَن سَمَّه. قلنا: هذا محال، من وجهين: **أحدهما:** أنه ما كان ليتقي من الحسن بأسًا، وقد سلم إليه الأمر. **الثاني:** أنه أمر مغيب، لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بيِّنة علىٰ أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلىٰ صاحبه ما لا ينبغي؟».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «يقال إن امرأته سمَّته. ولا ريب أنه مات بالمدينة، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشام، فغاية ما يظن الظانُّ أن يقال: إن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إليها، وأمرها بذلك. وقد يقال: بل سمّته امرأته لغرض آخر مما تفعله النساء، فإنه كان مطلاقًا، لا يدوم مع امرأة.

وقد قيل: إن أباها الأشعث بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمرها بذلك. فإنه كان يُتهم بالانحراف في الباطن عن عليّ وابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإذا قيل: إن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر أباها. كان هذا ظنًّا محضًا، والنبي ﷺ قال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**».

وبالجملة، فمثل هذا لا يُحكم به في الشرع باتفاق المسلمين، فلا يترتب عليه أمر ظاهر: لا مدح، ولا ذم. والله أعلم.

ثم إن الأشعث بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مات سنة أربعين، وقيل: سنة إحدىٰ وأربعين. ولهذا لم يُذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العام الذي يُسمىٰ عام الجماعة، وهو عام أحد وأربعين، وكان

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٧٠ - ٤٧١).

الأشعث حما الحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فلو كان شاهدًا، لكان يكون له ذكر في ذلك، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين، فكيف يكون هو الذي أمر ابنته أن تَسم الحسن؟ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم».

والذين ينتسبون لآل البيت في الواقع مطففون، يكتالون لأنفسهم بغير الصاع الذي يكيلون لغيرهم، فيخوضون في وفاة الحسن بالظنون، ولا يفعلون مثل ذلك في وفاة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



الحكمة في القضاء الكوني لاقتتال الصحابة

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفرسون تغير الأمور، وأن خلافة النبوة ستئول ملكًا، وتحدّثوا بهذا قبل أن يقع، فعتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحابي جليل شهد بدرًا، جعله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واليًا علىٰ البصرة، فقام فيهم خطيبًا، وقال: «إنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت، حتىٰ يكون آخر عاقبتها ملكًا، فستخبرون، وتجربون الأمراء بعدنا»[1].

وقال أبو قلابة عن أبي الأشعث كان ثمامة بن عدي القرشي علىٰ صنعاء، وله صحبة، فلمَّا جاءه قَتْل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بكىٰ، فأطال، وقال: اليوم نُزعت الخِلافة من أمة محمد ﷺ، وصارت مُلْكًا وجَبْرية، من غلب علىٰ شيء، أكله[2].

قال ابن عون عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: كانوا لا يفقدون الخيل البُلق في المغازي، حتىٰ قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما قُتل، فُقدت، فلم يُرَ منها شيء، قال: كانوا يرونها الملائكة، قال: وكانوا لا يختلفون في الأهلة، حتىٰ قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لُبِسَت عليهم، وكانت الصدقة تُدفع إلىٰ النبي ﷺ ومن أمر به، وإلىٰ أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن أمر به، وإلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن أمر به، فلما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اختلفوا، فرأىٰ

(١) رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق (ص١٢٨٥، رقم ٧٤٣٥).

(٢) التاريخ الأوسط للبخاري (١/ ١١٥).

قوم يقسمونها برأيهم، ورأىٰ قوم يرفعونها إلىٰ السلطان. قال ابن عون: وسمعت إبراهيم النخعي يقول: لما نزلت ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١]، قال أصحاب النبي ﷺ: ما خصومتنا هذه؟ وإنما نحن إخوان. فلما قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قالوا: هذه هذه»[(١)].

والذي وقع من قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واقتتال الصحابة في الجمل وصفين هو من الشر والدخن الذي أخبر به النبي ﷺ، قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يُدْركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: **نعم**، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: **نعم، وفيه دخن**. قلت: وما دخنه؟ قال: **قوم يهدون بغير هدْيي، تعرف منهم وتُنكر**. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ **قال: نعم، دعاة علىٰ أبواب جهنم، من أجابهم إليها، قذفوه فيها**[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه[(٤)] من الفتن الأولىٰ، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء، كزياد بالعراق،

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٧٣، رقم ٧٦٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ (ص١٢٢١، رقم ٧٠٨٤)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (ص ٨٢٩ –رقم ٤٧٨٤).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٠).

(٤) القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الفتن التي وقعت بعد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة علىٰ أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله: «**الزم جماعة المسلمين وإمامهم**». يعني: ولو جار، ويوضح ذلك رواية أبي الأسود «**ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك**». وكان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج ونحوه».

والفتن انفرط عقدها بقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وبعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لام نفسه علىٰ ترك نصرة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ورأىٰ أن كفارة ذنبه ذلك المطالبة بدمه؛ فوقعت بسبب ذلك معركة الجمل.

قال علقمة بن وقاص الليثي: لما خرج طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ للطلب بدم عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عرَّجوا عن منصرفهم بذات عِرْق، فاستصغروا عُروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن؛ فردُّوهما، قال: ورأيت طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأحبُّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته علىٰ زَوْرِه، فقلت: يا أبا محمد، إني أراك وأحبُّ المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر؛ فدعه. فقال: يا علقمة، لا تلمني، **كنا أمس يدًا واحدة علىٰ مَنْ سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلىٰ صاحبه، ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **مما لا أرىٰ كفَّارته إلا سفك دمي، وطلب دمه، رواه الحاكم**.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الذي كان منه في حق عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تمغْفل وتأليبٌ فعله باجتهاد، ثم تغيّر عندما شاهد مصرع عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فندم علىٰ ترك نصرته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وكان طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أول من بايع عليًّا،

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥).

أرهقه قتلة عثمان، وأحضروه حتىٰ بايع».

وضروري هنا ملاحظة تسلسل الخلاف بعد وفاة النبي ﷺ بدءًا من عهد الصدّيق وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرورًا بعهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانتهاءً بعهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالخلاف في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معدوم غير موجود، وفي عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلاف اجتهادي محض يقر كل طرف صاحبه علىٰ اجتهاده، وقوي الخلاف في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باللسان، بدون قتال، وفي عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تغلّظ الخلاف حتىٰ تقاتلوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «كان تنازعهم في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزاع اجتهاد محض، كل منهم يقرُّ صاحبه علىٰ اجتهاده، كتنازع الفقهاء أهل العلم والدين. وأما في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقوي النزاع في بعض الأمور، حتىٰ صار يحصل كلام غليظ من بعضهم لبعض، ولكن لم يقاتل بعضهم بعضًا باليد، ولا بسيف، ولا غيره. وأما في خلافة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتغلّظ النزاع، حتىٰ تقاتلوا بالسيوف. وأما في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يُعلم أنه استقر بينهم نزاع في مسألة واحدة من مسائل الدين».

هذه الأمور مقادير جرىٰ بها القلم لحكم بالغة، فلا يمكن أن نقول لو أن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استمع لنصيحة آل البيت الصادقين الناصحين، لسلمت الأمة الإسلامية من الفتن، ولما أريقت دماء الألوف، ولما توارث الناس الضغائن، ولما صارت الأمة إلىٰ فرق وأحزاب وطوائف.

(١) منهاج السنة (٥/ ٤٩٨، ٤٩٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أشار عليه - عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأمور، مثل أن لا يخرج من المدينة دون المبايعة، وأن لا يخرج إلىٰ الكوفة، وأن لا يقاتل بصفّين، وأشار عليه أن لا يعزل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغير ذلك من الأمور»، فالحسن من سادات آل البيت نصح لأبيه نصيحة محبٍّ للأمة جميعًا، وكذلك الشأن بالنسبة لعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خصوصًا من كان منهم بالمدينة كعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتمالئوا علىٰ قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن وقع من بعضهم تهاون في الدفع عنه؛ فوقع ما قضاه الله كونًا من قتله، ووقوع الفتنة في الأمة بسبب ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «غاية ما يقال: إنهم لم ينصروه حق النصرة، وأنه حصل نوع من الفتور والخذلان، حتىٰ تمكن أولئك المفسدون، ولهم[3] في ذلك تأويلات، وما كانوا يظنون أن الأمر يبلغ إلىٰ ما بلغ، ولو علموا ذلك؛ لسدّوا الذريعة، وحسموا مادة الفتنة.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، فإن الظالم يظلم، فيبتلىٰ الناس بفتنة تصيب من لم يظلم، فيعجز عن ردها حينئذٍ، بخلاف ما لو مُنع الظالم ابتداءً، فإنه كان يزول سبب الفتنة».

والنبي ﷺ لمّا دخل حائطًا من حوائط المدينة لحاجته، وجلس أبو موسىٰ

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٤٦٦).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٣٢٣).

(٣) الصحابة بالمدينة.

الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ بابه، وجاء أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يستأذن عليه؛ ليدخل، فاستأذن له أبو موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال النبي ﷺ: «**ائذن له، وبشِّره بالجنة**». ثم جاء عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ واستأذن، فقال له النبي ﷺ: «**ائذن له، وبشِّرْه بالجنة**». ثم جاء عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال النبي ﷺ: «**ائذن، له وبشِّره بالجنة، معها بلاء يصيبه**»[(١)].

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «فإن قلت: فكيف خصَّ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بذكر البلاء، وقد أصاب عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثله؛ لأنه طعنه أبو لؤلؤة، ومات من طعنته شهيدًا.

فالجواب: أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإن كان مات من الطعنة شهيدًا، فإنه لم يمتحن بمحنة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من تسلط طائفة باغية متغلبة عليه، ومطالبتهم له أن ينخلع من الإمامة، وهجومهم عليه في داره، وهتكهم ستره، ونسبتهم إليه الجور والظلم، وهو بريء عند الله من كل سوء بعد أن منع المانع أشياء كثيرة يطول إحصاؤها، وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يلق مثل هذا، ولا تسور عليه أحد داره، ولا قتله موحّد؛ فيحاجه بها عند الله؛ ولذلك حمد اللهَ عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ ذلك، فكان الذي أصاب عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - غير قتله - من البلاء بلاءً شديدًا لم يصب عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثله».

والله عَزَّوَجَلَّ اختار لهذه الأمة أخف ما يصيبها مقارنة بسائر الأمم، وإن كان هو في نفسه شرًّا، فتطهير الأمة من ذنوبها بما يقع بينها من قتال أهون من أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الفتن، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر (ص١٢٢٣، رقم ٧٠٩٧)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ص١٠٥٧ - رقم ٦٢١٢).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ٣٦٦، ٣٦٧).

يستأصلها الله بعذاب من عنده، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

والنبي ﷺ سأل ربه أن لا يهلك أمته بسنة عامة، وأن لا يسلط عليها عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ فأجابه الله، وسأل ربه أن لا يجعل بأس أمته بينهم شديد، فلم يجبه الله إلىٰ ذلك.

قال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١]: «لولا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما تعلم الناس كيف يقاتلون أهل القبلة». فقاتلهم علىٰ ما كان عنده من العلم فيهم عن رسول الله ﷺ، فلم يكفرهم، ولا سباهم، ولا أخذ أموالهم، فموارثتهم قائمة، ولهم حكم الإسلام.

وكان من معاملة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأهل القبلة ما ظهر به الفرق بين قتالهم وقتال الكفار، فمناديه نادىٰ يوم الجمل[٢]: «لا يتبع مدبر، ولا يجهز علىٰ جريح، ولا يغنم مال».

وترك اتباع المدبر من أهل القبلة مشروط بالأمن من شره وعدم عوده لقتال المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «فإذا هو هرب، وكفانا شره لم نتبعه، إلا أن يكون عليه حدٌّ، أو نخاف عاقبته».

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «وقد ولي عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ٣٠٩)، شرح ابن بطال علىٰ صحيح البخاري (١٠/ ١٧).

(٢) المصنف (١٠/ ١٢٣)، وسنن البيهقي الكبرىٰ (١٨/ ١٨١).

(٣) السياسة الشرعية، ص(١١١).

(٤) منهاج السنة (٥/ ٢٤١ - ٢٤٢).

قتال أهل البغي، وروىٰ عن النبي ﷺ فيهم ما روىٰ، وسمّاهم مؤمنين، وحكم فيهم بأحكام المؤمنين، وكذلك عمّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

ونظير ما قاله الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لولا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما تعلم الناس كيف يقاتلون أهل القبلة»؛ قول عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خروج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يوم الجمل.

قال عبد الله بن زياد الأسدي: لما سار طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ البصرة، بعث عليٌّ عمار بن ياسر والحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فوق المنبر، في أعلاه، وقام عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسفل من الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاجتمعنا إليه، فسمعت عمَّارًا يقول: إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد سارت إلىٰ البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ابتلاكم ليعلم إياه تُطيعون أم هي؟[1].

وما جرىٰ للصحابة من الاقتتال فهو من الابتلاء في السراء، وهو مما قضاه الله كونًا.

والصحابة الذين عندهم فقه في أحكام الخلافة وفقه الولاية تفرسوا مستقبل ولاية الحكم في المستقبل، وأخبروا بما يكون أمامهم، وتحدّثوا بذلك زمن العدل في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهم من نوابه في الأمصار، تحدّثوا بذلك زمن الجماعة، حتىٰ يكون الناس علىٰ بصيرة من أمرهم، فإذا أدركوا زمن التغير، وانتقاص العدل، ووقوع الفرقة، فزعوا إلىٰ الوحي المعصوم،

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الفتن، باب: الفتن التي تموج كموج البحر (ص١٢٢٤، رقم ٧١٠٠).

والنصوص الآمرة بالصبر علىٰ ما يقع من الولاة من التغير.

وعبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حذّر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الذهاب للعراق، وأخبره بما يكون من مصرعه إذا ذهب كما سمعه من النبي ﷺ، وأبىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا المضي إلىٰ قدره؛ لأن الله قضىٰ ذلك كونًا وقدرًا.

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: أتاني عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد وضعْتُ قدمي في الغَرْزِ، فقال لي: لا تقدمِ العراق فإنِّي أخشىٰ أن يُصيبك بها ذُباب السَّيْف، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وايْمُ الله، لقد أخبرني به رسول الله ﷺ. قال أبو الأسود الديلي: فما رأيتُ كاليوم قطُّ محاربًا يُخْبِرُ بذي عن نفسه(١).

وكان النبي ﷺ يُحذّر أصحابه عمومًا من المشرق، ويحذرهم ما يكون فيها من الفتن، ويحذّر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الذهاب للعراق حيث يكون بها مصرعه.

ولا يجوز لنا أن نلوم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ نقله دار الخلافة من الحجاز إلىٰ العراق، فكان ما جرىٰ من التواء أهل العراق عليه، واضطراب الأمور عليه؛ بسبب تلونهم، وعدم وفائهم.

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إنَّ الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**».

---

(١) رواه أبو يعلىٰ (١/ ٣٨١، رقم ٤٩١)، والبزار (٣/ ٢٠٤)، وصححه ابن حبان (٨/ ٢٥٨، ٢٥٩، رقم ٦٦٩٨)، وقال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل، وهو ثقة مأمون»، مجمع الزوائد (٢/ ١٢٤).

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كانت الفتنة الكبرىٰ التي كانت مفتاح فساد ذات البين، وهي قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكانت سبب وقعة الجمل وصفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق، ومعلوم أن البدع إنما ابتدأت من المشرق، وإن كان الذين اقتتلوا بالجمل وصفين كثير منهم أهل الشام والحجاز، فإن الفتنة وقعت في ناحية المشرق، وكان ذلك سببًا إلىٰ افتراق المسلمين، وفساد شأن كثير منهم إلىٰ يوم القيامة، وكان سيدنا رسول الله ﷺ يحترز من ذلك، ويعلم به قبل وقوعه، وذلك من دلالات نبوته».

وعبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نصح للأمة جميعًا، وحذّرهم من قتل عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحذّرهم مما يكون، مما يقضيه الله لقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ظلمًا.

وهذا شيء لم ينفرد به عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقد حذّر منه الخبير بالفتن وراوية أحاديثها حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وحسبك من حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تحريًا للحق، وتضلعًا من علم أحاديث ومرويات الفتن، فإنه تفرّس ما ستؤول إليه الأمور لو قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **لمّا بلغه قتل عثمان بن عفان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]: «ستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله؛ لتحتلبنّ بذلك لبنًا، وإن كانت أخطأت بقتله؛ لتحتلبنّ بذلك دمًا، فاحتلبوا بذلك دمًا، ما رُفعت عنهم السيوف ولا القتل».

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ٣٥٧).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٦٠٣، رقم ٨٠١)، وإسناده حسن.

وقالت عمرة بنت أرطاة العدوية: خرجت مع عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا سنة قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ مكة، فمررنا بالمدينة، ورأينا المصحف الذي قُتل وهو في حجره، فكانت أول قطرة قُطرت من دمه علىٰ هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فما مات رجل منهم سويًّا[(١)].

وأبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ انتفع بما سمعه من النبي ﷺ من أحاديث، فعصمه الله بذلك من الدخول في قتال الفتنة في الجمل وصفّين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أسلم عام خيبر؛ فلم يصحب النبي ﷺ إلا أقل من أربع سنين، وذلك الجراب لم يكن فيه شيء من علم الدين: علم الإيمان والأمر والنهي، وإنما **كان فيه الإخبار عن الأمور المستقبلة مثل: الفتن التي جرت بين المسلمين: فتنة الجمل، وصفِّين، وفتنة ابن الزبير، ومقتل الحسين، ونحو ذلك؛ ولهذا لم يكن أبو هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **ممن دخل في الفتن.**

ولهذا قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: لو حدّثكم أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنكم تقتلون خليفتكم، وتفعلون كذا وكذا، لقلتم: كذب أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

ومما قضاه الله كونًا علىٰ هذه الأمة الاختلاف، وكان النبي ﷺ أمانًا لأصحابه من الفتن والتفرق والاختلاف، وظهر في عهده أماراتها؛ فسكّن ثائرتها، فقد تداعىٰ المهاجرون، وقالوا: يا للمهاجرين. وتداعىٰ الأنصار

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٦١٣، رقم ٨١٧) بإسناد صحيح.

(٢) منهاج السنة (٨/ ١٣٨).

كذلك، وقالوا: يا للأنصار. وكادوا أن يقتتلوا؛ فسكّن النبي ﷺ ثائرتهم، وقال: **أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ثبت عنه أيضا في «الصحيح» أنه قال عن الحسن ابنه: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين**»، فأصلح الله به بين شيعة علي، وشيعة معاوية.

وأثنىٰ النبي ﷺ علىٰ الحسن بهذا الصلح الذي كان علىٰ يديه، وسماه سيدًا بذلك؛ لأجل أن ما فعله الحسن يحبه الله ورسوله ﷺ، ويرضاه الله ورسوله ﷺ، ولو كان الاقتتال الذي حصل بين المسلمين هو الذي أمر الله به ورسوله ﷺ لم يكن الأمر كذلك، بل يكون الحسن قد ترك الواجب، أو الأحب إلىٰ الله.

وهذا النص الصحيح الصريح يبيّن أن ما فعله الحسن محمود، مرضي لله ورسوله ﷺ».

واضطراب الأمور علىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مما قضاه الله كونًا، وكان من أسباب صيرورة الخلافة بعد وفاته إلىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وكان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما انقضىٰ أمر التحكيم، ورجع إلىٰ الكوفة، **تجهّز لقتال أهل الشام مرة بعد أخرىٰ، فشغله أمر الخوارج بالنهروان كما تقدم**، وذلك في سنة ثمان وثلاثين، ثم تجهز في سنة تسع وثلاثين، فلم يتهيأ ذلك؛ لافتراق آراء أهل العراق عليه، ثم وقع الجد منه في ذلك في سنة أربعين، فأخرج

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٠، ٧١).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٦٧).

إسحاق من طريق عبد العزيز بن سياه - بكسر المهملة وتخفيف الياء آخر الحروف - قال: لما خرج الخوارج، قام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: أتسيرون إلىٰ الشام أو ترجعون إلىٰ هؤلاء الذين خلفوكم في دياركم؟ قالوا: بل نرجع إليهم. فذكر قصة الخوارج قال: فرجع علي إلىٰ الكوفة، فلما قُتل، واستُخلف الحسن، وصالح معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب إلىٰ قيس بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بذلك، فرجع عن قتال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا يشك عاقل أن السياسة انتظمت لأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ما لم تنتظم لعليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فإن كان هذا لكمال المتولِّي، وكمال الرعية، كانوا هم ورعيتهم أفضل. وإن كان لكمال المتولّي وحده، فهو أبلغ في فضلهم. وإن كان ذلك لفرط نقص رعية عليٍّ، كان رعية عليّ أنقص من رعية أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

وقال أيضًا[2]: «وأيضًا فقد انتظمت السياسة لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما لم تنتظم لعليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فيلزم أن تكون رعية معاوية خيرًا من رعية عليّ[3]».

ومما قضاه الله كونًا في بقاء ملك الشام في يد معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما بشّر به النبي ﷺ من ولاية معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والصلح الذي أثنىٰ عليه النبي ﷺ بين الحسن ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ورؤيا النبي ﷺ عمود الكتاب الذي احتُمل من تحت رأسه، فعُمد به إلىٰ الشام.

(١، ٢) منهاج السنة (٥/ ٤٦٦).

(٣) هذا في العموم، وإلا ففي آحاد رعية عليّ من هو أفضل من بعض آحاد رعية معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

انتهوا إلى ما انتهت إليه الجماعة

بعد الخلاف والقتال انتهىٰ الصحابيان الجليلان علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ الصلح، وكل من ينتسب إلىٰ علي أو معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا واجب أن ينتهي إلىٰ ما انتهىٰ إليه الصحابيان.

وكثير من الناس يتحدث عن عدل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يستعمل عدل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فصله فيما شجر بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الخصومة، قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «تلك دماء طهَّر الله منها يدي، فلا أحب أن أخضب بها لساني».

ونحن لا ننكر أنه وقع سبٌّ بين طائفة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا باعثه شحناء الحرب التي كانت بينهم، وكل واحد منهم كفّ عن هذا، وكان إذا ذُكِّر، انتهىٰ واستغفر لصاحبه، كل واحد منهم يثبت إيمان صاحبه، فهذا لون، وسب الرافضة للصحابة لون آخر، فهو دينهم الذي يتدينون به ليل نهار ولا ينزعون عنه، باعثه تكفير الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وإسقاط عدالتهم، وإسقاط السنة التي نقلوها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن التلاعن وقع من الطائفتين

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٥٤).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٦٨).

كما وقعت المحاربة، وكان هؤلاء يلعنون رءوس هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يلعنون رءوس هؤلاء في دعائهم، وقيل: إن كل طائفة كانت تقنت علىٰ الأخرىٰ، والقتال باليد أعظم من التلاعن باللسان، وهذا كله سواء كان ذنبًا أو اجتهادًا مخطئًا أو مصيبًا، فإن مغفرة الله ورحمته تتناول ذلك بالتوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفّرة، وغير ذلك.

ثم من العجب أن الرافضة تنكر سب عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم يسبّون أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويكفِّرونهم ومن والاهم، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه ما كانوا يكفِّرون عليًّا، وإنما يكفّره الخوارج المارقون، والرافضة شر منهم. فلو أنكرت الخوارج السب، لكان تناقضًا منهم، فكيف إذا أنكرته الرافضة؟!

ولا ريب أنه لا يجوز سب أحد من الصحابة: لا عليّ، ولا عثمان، ولا غيرهما. ومن سبّ أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهو أعظم إثمًا ممن سب عليًّا».

قال يزيد بن الأصم: لما وقع الصُّلْح بين عليٍّ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، خرج عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمشىٰ في قتلاه، فقال: هؤلاء في الجنة. ثم مشىٰ في قتلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: هؤلاء في الجنة، وليصير الأمر إليَّ وإلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيُحكم لي، ويُغفر لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هكذا خبَّرني حبيبي رسول الله ﷺ[1].

فالواجب الكفّ عما شجر بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والانتهاء إلىٰ الصلح بينهما، والصلح الذي أعقبه بعد ذلك بين الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ٣٨).

وأورث الأمة الجماعة بعد الفرقة والبغضاء والقتال، وهذا ما أرشد إليه إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن خاض فيما شجر بين الصحابة الكرام عمومًا، خصوصًا معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: ما لهم ولمعاوية، نسأل الله العافية[(١)].

ومن الأمور المعينة علىٰ الكف عمّا شجر بين الصحابة استذكار أنهم غُلبوا علىٰ القتال، وكذلك كراهية علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يخوض الناس أيهما أصوب، وانتهاءه إلىٰ التواضع، وقد جاء عنه من غير طريق أنه قال[(٢)]: «سبق رسول الله ﷺ، وثني أبو بكر، وثلث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم خبطتنا فتنة».

قال عبد الله ابن الإمام أحمد - رحمهما الله -: قال أبي[(٣)]: «إنما أراد أمير المؤمنين بذلك أن يضع نفسه بتواضع قوله: خبطتنا فتنة. تواضع بذلك».

وعن رِبعي بن حراش قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ممن قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، فقام رجل من همدان فقال: الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين. فصاح به علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صيحة إن القصر يُدَهْدِه لها، ثم قال: من هم؟ إذا لم نكن نحن هم[(٤)].

ولا يميل أحد علىٰ طلحة والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سبًّا، إلا وهو سالك سبيل

(١) الصارم المسلول (ص٥٦٨).

(٢) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (رقم ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٨، ١٣٣٠، ١٣٣٥).

(٣) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/ ٥٩٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٩٣٥، رقم ١٣٠٠)، بإسناد صحيح.

المكذبين لخبر رسول الله ﷺ الصادق المصدوق، فإنه شهد لطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأعيانهما بأنهما في الجنة.

قال سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «**عشرة في الجنة: النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**»، ولو شئت لسميت العاشر، فقالوا: من هو؟ قال: **سعيد بن زيد**»[1].

وفي «الصحيحين» عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق، فانتدب الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ندبهم، فانتدب الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ ندبهم، فانتدب الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال النبي ﷺ: «**لكل نبيٍّ حواري، وحواري الزبير**».

وفي صحيح مسلم عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يدَّ طلحة التي وقىٰ بها النبي ﷺ يوم أحد قد شُلَّتْ.

الرافضة قوم سوء، أصل بدعتهم ومنشأها من خبث قلوبهم، لا يُقال إنهم يكرهون معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جرىٰ بينه وبين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل هم يبغضون عامة الصحابة، بل وخيارهم، ومن هم أعلام علىٰ الإسلام والإيمان كأبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٨٧)، وأبو داود (رقم ٤٦٤٩)، والترمذي (رقم ٣٧٤٨)، وصححه العلامة المحدّث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، صحيح الجامع (٤/ ٣٤ - رقم ٣٩٠٥).

والضغائن التي يكنّها الرافضة لخيار خلق الله - الصحابة - دليل علىٰ أن ما تكنّه صدورهم لعامة أهل السنة أكثر.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا يغل قلب أحد علىٰ أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، إلا كان قلبه علىٰ المسلمين أغل».



(١) الشرح والإبانة علىٰ أصول أهل السنة والديانة، (ص١٨٢، رقم ٢١٦).

تفرس آل البيت أن الخلافة ستئول لمعاوية، وأن ولايته أمان للأمة

آل البيت المتقدمون لا هوىٰ لهم في ذكر ما يكون حجة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم قد تفرسوا أن الخلافة ستئول إليه، وأن ولايته ستكون أمانًا للأمة الإسلامية والمسلمين جميعًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السلطنة، وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلومًا، وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطالب عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يسلمه قتلته حتىٰ يقتص منهم؛ لأنه أموي، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستمهله في الأمر، حتىٰ يتمكن ويفعل ذلك، ويطلب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يسلمه الشام، فيأبىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك؛ حتىٰ يسلِّمه القتلة، وأبىٰ أن يبايع عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو وأهل الشام، ثم مع المطاولة تمكن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصار الأمر إليه كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستنبط من هذه الآية الكريمة، وهذا من الأمر العجيب».

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٧٣).

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]: «لا تكرهوا إمرة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنكم لو فقدتموه، رأيتم الرءوس تندر عن كواهلها».

وصدق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد حُقنت دماء المسلمين بعد الصلح الذي امتدحه النبي ﷺ بين معاوية والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصار بأس المسلمين علىٰ الكافرين يجاهدونهم ويُدخلونهم في الإسلام.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقي خليفة عشرين سنة، لا ينازعه أحدٌ الأمر في الأرض، بخلاف خلافة عبد الملك بن مروان، وأبي جعفر المنصور، وهارون الرشيد، وغيرهم، فإنهم كان لهم مخالف، وخرج عن أمرهم بعض الممالك».

والنبي ﷺ أثنىٰ علىٰ الصلح الذي أوقعه الحسن مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واجتمعت به كلمة المسلمين، وصاروا جماعة واحدة يغزون الكفار لا يقتتلون فيما بينهم، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**».

قال الحافظ أبو بكر الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «انظروا - رحمكم الله - وميّزوا فعل الحسن الكريم ابن الكريم أخو الكريم ابن فاطمة الزهراء، مهجة رسول الله

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي عهد معاوية، ص(٣١١، ١٦٧)، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٥/ ٢٤٩٧).

(٢) تاريخ الإسلام عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص(٣١٥).

(٣) الشريعة، ص(٦٧٦).

ﷺ، الذي قد حوىٰ جميع الشرف، لمّا نظر إلىٰ أنه لا يتم ملك من ملك الدنيا إلا بتلف الأنفس، وذهاب الدين، وفتنة متواترة، وأمور تتخوف عواقبها علىٰ المسلمين، صان دينه وعرضه، وصان أمة محمد ﷺ، ولم يحب بلوغ ما له فيه حظ من أمور الدنيا، وقد كان لذلك أهلًا، فترك ذلك بعد المقدرة منه علىٰ ذلك؛ تنزيهًا منه لدينه، ولصلاح أمة محمد ﷺ، ولشرفه، وكيف لا يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «**إن ابني هذا سيد، وإن الله عَزَّوَجَلَّ يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»؟! فكان كما قال النبي ﷺ، رضي الله عن الحسن والحسين، وعن أبيهما، وعن أمهما، ونفعنا بحبهم».

وقد كان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرىٰ من الحسين نفورًا في أول الأمر عن الصلح بين المسلمين؛ فزجره، ومنعه من ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «إن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلىٰ أن تُوفِّي وهو عنه راض، ولكنَّه كان صغيرًا، ثم كان الصِّدِّيقُ يُكرمه ويُعظِّمه، وكذلك عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وصحب أباه وروىٰ عنه، وكان معه في مغازيه كُلِّها، في الجمل وصفِّين، وكان مُعظَّمًا موقَّرًا، ولم يزل في طاعة أبيه حتىٰ قُتل، **فلمَّا آلت الخلافة إلىٰ أخيه، وأراد أن يُصالح معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَقَّ ذلك عليه، ولم يُسَدِّدْ رأي أخيه في ذلك، بل حثَّه علىٰ قتال أهل الشام، فقال له أخوه: والله، لقد هممتُ أن أَسْجُنك في بيت، وأُطْبِقَ عليك بابه، حتىٰ أَفْرُغَ من هذا الشأن، ثم أُخرجك.**

(١) البداية والنهاية (١١/ ٤٧٦).

فلما رأىٰ الحسينُ ذلك، سكت، وسلَّم».

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «روينا من وجوه أن الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لمّا حضرته الوفاة، قال للحسين أخيه: يا أخي، إن أباك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما قُبض رسول الله ﷺ، استشرف لهذا الأمر، ورجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلمّا حضرت أبا بكر الوفاة، تشوف لها أيضًا، فصُرفت عنه إلىٰ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلمّا احتضر عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، جعلها شورىٰ بين ستة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه، فصُرفت عنه إلىٰ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلمّا هلك عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بويع، ثم نوزع حتىٰ جرّد السيف، وطلبها، فما صفا له شيء منها. **وإني والله ما أرىٰ أن يجمع الله فينا – أهل البيت – النّبوة والخلافة**».

وصدق الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولو كان الله أن يجمع لأهل البيت النبوة والخلافة، لأبقىٰ الله إبراهيم ابن النبي ﷺ.

وقال عبد الرحمن بن أبي بكرة: إن عليًّا أتانا عائدًا ومعه عمّار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فذكر شيئًا؛ فقال عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا أمير المؤمنين. فقال: اسكت، فوالله لأكونن مع الله علىٰ من كان، ثم قال: ما لقي أحد من هذه الأمة ما لقيت، إن رسول الله ﷺ، توفي؛ فذكر شيئًا، فبايع الناس أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فبايعت، وسلمت، ورضيت، ثم توفي أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وذكر كلمة، فاستخلف عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فذكر كذلك؛ فبايعت، وسلمت، ورضيت، ثم توفي عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فجعل الأمر إلىٰ هؤلاء الرهط الستة، فبايع الناس عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فبايعت، وسلمت،

(١) الاستيعاب، ص(٢٢٠ – ٢٢١).

ورضيت، ثم هم اليوم يميلون بيني وبين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟!(١).

وأما حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فيكم النبوة والمملكة**» رواه البزار. فهو حديث ضعيف، قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «تفرد به محمد بن عبد الرحمن العامري عن سهيل، وليس بالقوي».

والناس خبروا الولاة وحكموا عليهم بما آل إليه الأمر في حكمهم من اجتماع الكلمة عليهم، وحقن دمائهم، وأمن سبلهم، وصيانة أعراضهم، وحفظ ثغورهم، وحصول الفتوح علىٰ أيديهم، والعطاء للرعية خصوصًا المنقطعين والمحتاجين، ورفد الأرامل والقواعد من النساء، وقد فعل ذلك كله معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فاجتمعت عليه الكلمة، وحُقنت دماء المسلمين، وغزا الروم، وفتح قبرص، وأرمينيا، وخراسان، والهند، وبذل العطاء بسخاء.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني أبي قال: حدثني سليمان، حدثني عبد الله عن معمر، عن همّام بن منبّه قال: سمعت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: ما رأيت أحدًا أخلق للملك من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إن كان ليردُ الناس منه علىٰ أرجاء وادٍ رحْب، ولم يكن كالضيّق الخضخض الحصِر(٣).



(١) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٥٦٣)، بإسناد رجاله ثقات.

(٢) دلائل النبوة (٦/ ٥١٨).

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٩).

ما بلغوا مدّهم ولا نصيفهم، وينتقصونهم

لا أحد يدرك فضل وشرف الصحبة، والصحابة أفضل القرون كما جاء في «الصحيحين»، وقد أثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عليهم جميعًا، وذكرهم بالمغفرة، والشهادة لهم جميعًا بالجنة، سواء من أسلم قبل الفتح أو بعده، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

وبيّن النبي ﷺ أن أحدًا لن يدرك شأن الصحابة، ولا منزلتهم، ولا فضلهم، ولا مرتبتهم، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد جبلًا، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**»، رواه البخاري.

وإنك لتعجب أن ينتقص هؤلاء الأخيار الصحابة الأبرار أقوام منحرفون في عقيدتهم، ودعوتهم، ومنهجهم كالإخوان المسلمين، خصوصًا سيد قطب فينال ممن لم يبلغ مدّهم ولا نصيفهم، ثم يكون مرقاة للرافضة يتوصلون بكلامه لإفساد عقائد المسلمين، والنيل من صحابة الرسول الأمين ﷺ، مما يكون سببًا في هدم الدين الذي نقله الصحابة العدول الذين يطعن فيهم الرافضة.

فما كان ولا يكون مثل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أرجو لمن سلم عليه أصحاب

---

(١) السنة للخلال (١/ ٤٨٢).

النبي ﷺ الفوز غدًا لمن أحبهم؛ لأنهم كانوا عمادًا للدين، وقادة للإسلام، وأعوان رسول الله ﷺ، وأنصاره، ووزراء علىٰ الحق، وأتباع أصحاب رسول الله ﷺ هي السنة ولا يذكرون إلا بخير، ويترحم علىٰ أولهم وآخرهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وقد شهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخوه يزيد، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وغيرهم من مسلمة الفتح مع النبي ﷺ غزوة حنين، ودخلوا في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦]، وكانوا من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ، وغزوة الطائف لما حاصروا الطائف، ورماها بالمنجنيق، وشهدوا النصارىٰ بالشام، وأنزل الله فيها سورة براءة، وهي غزوة العسرة التي جهّز فيها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جيش العسرة بألف بعير في سبيل الله تعالىٰ فاعوزت، وكمّلها بخمسين بعيرًا، فقال النبي ﷺ: «**ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم**»، وهذا آخر مغازي النبي ﷺ، ولم يكن فيها قتال.

وقد غزا النبي ﷺ أكثر من عشرين غزاة بنفسه، ولم يكن القتال إلا في تسع غزوات: بدر، وأحد، وبني المصطلق، والخندق، وذي قرد، وغزوة الطائف، وأعظم جيش جمعه النبي ﷺ كان بحنين والطائف، وكانوا اثني عشر ألفًا، وأعظم جيش غزا مع النبي ﷺ جيش تبوك، فإنه كان كثيرًا لا يحصىٰ، غير أنه لم يكن فيه قتال.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٥٨ - ٤٦٤).

وهؤلاء المذكورون دخلوا في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، فإن هؤلاء الطلقاء مسلمة الفتح: هم ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل، وقد وعدهم الله الحسنىٰ، فإنهم أنفقوا بحنين والطائف، وقاتلوا فيهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهم أيضًا داخلون فيمن رضي الله عنهم، حيث قال تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فإن السابقين هم الذين أسلموا قبل الحديبية كالذين بايعوه تحت الشجرة الذين أنزل الله فيهم: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وكلهم من أهل الجنة، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**». وكان فيهم حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت له سيئات معروفة مثل: مكاتبته للمشركين بأخبار النبي ﷺ، وإساءته إلىٰ مماليكه، وقد ثبت في «الصحيح» أن مملوكه جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: والله يا رسول الله، لا بد أن يدخل حاطب النار. فقال له النبي ﷺ: «**كذبت، إنه شهد بدرًا والحديبية**». وثبت في «الصحيح» أنه لما كتب إلىٰ المشركين يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم، أرسل علي بن أبي طالب والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ المرأة التي كان معها الكتاب، فأتيا بها، فقال: **ما هذا يا حاطب؟!** فقال: والله يا رسول الله، ما فعلت ذلك ارتدادًا عن ديني، ولا رضيت بالكفر بعد الإسلام، ولكن كنت امرءًا ملصقًا في قريش، لم أكن من أنفسهم، وكان من معك من أصحابك لهم بمكة قرابات يحمون بها أهاليهم، فأحببت إذ فاتني

ذلك أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي. فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «**إنه شهد بدرًا، وما يدريك أن الله قال: اعملوا ما شئتم، قد غفرت لكم**».

وفي هذا الحديث بيان: أن الله يغفر لهؤلاء السابقين - كأهل بدر والحديبية - من الذنوب العظيمة بفضل سابقتهم، وإيمانهم، وجهادهم، ما لا يجوز لأحد أن يعاقبهم بها، كما لم تجب معاقبة حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما كان منه.

وهذا مما يستدل به علىٰ أن ما جرىٰ بين علي، وطلحة، والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونحوهم؛ فإنه إما أن يكون اجتهادًا لا ذنب فيه، فلا كلام، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا اجتهد الحاكم، فأصاب، فله أجران، وإذا اجتهد، فأخطأ، فله أجر**».

وإن كان هناك ذنب فقد ثبت أن هؤلاء رضي الله عنهم، وغفر لهم ما فعلوه، فلا يضرهم ما وقع منهم من الذنوب، إن كان قد وقع، بل إن وقع من أحدهم ذنب كان الله محاه بسبب قد وقع من الأسباب التي يمحّص الله بها الذنوب، مثل: أن يكون قد تاب، فيتوب الله عليه، أو كان له حسنات تمحو السيئات، أو يكون قد كُفر عنه ببلاء ابتلاه به، فإنه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا غم، ولا حزن، ولا أذىٰ، إلا كفر الله من خطاياه**».

وأما من بعد هؤلاء السابقين الأولين، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، فهؤلاء دخلوا في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، وفي قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقد

أسلم قبل فتح مكة خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الحجبي، وغيرهم.

وأسلم بعد الطلقاء أهل الطائف، وكانوا آخر الناس إسلامًا، وكان منهم عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أمّره النبي ﷺ علىٰ أهل الطائف، وكان من خيار الصحابة مع تأخر إسلامه.

وقد يتأخر إسلام الرجل، ويكون أفضل من بعض من تقدمه بالإسلام، كما تأخر إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه يقال: إنه أسلم تمام الأربعين. وكان ممن فضّله الله علىٰ كثير ممن أسلم قبله، وكان عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أسلموا قبل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ يد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتقدمهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأول من أسلم من الرجال الأحرار البالغين أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الأحرار الصبيان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الموالي زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن النساء خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا باتفاق أهل العلم.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ [الأنفال: ٧٤، ٧٥]، فهذه عامة. وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ٨-١٠].

فهذه الآية والتي قبلها، تتناول من دخل فيها بعد السابقين الأولين إلىٰ يوم القيامة، فكيف لا يدخل فيها أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به، وجاهدوا معه؟!

وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «المهاجر من هجر ما نهىٰ الله عنه». فمن كان قد أسلم من الطلقاء، وهجر ما نهىٰ الله عنه كان له معنىٰ هذه الهجرة، فدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]، كما دخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥].

وقد قال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ [الفتح: ٢٩]، فهذا يتناول الذين آمنوا مع الرسول ﷺ مطلقًا.

وقد استفاض عن النبي ﷺ في الصحاح وغيرها من غير وجه أنه قال: «**خير القرون القرن الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»».



التحريش اليهودي على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزرع الفتنة

اليهود حرّشوا بين الصحابة حال حياة النبي ﷺ، وكذلك فعل عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أخذ في التحريش علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتىٰ أوغر صدور العامة عليه، وقام كذلك بالغلو في آل البيت، حتىٰ ادّعىٰ الألوهية في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي طلب قتله؛ ففرّ هاربًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وقد وقع النزاع بين الأنصار مرة؛ بسبب يهودي كان يذكّرهم حروبهم في الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج، حتىٰ اختصموا وهمُّوا بالقتال، حتىٰ أنزل الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «أول من ابتدع الرفض كان منافقًا زنديقًا، يقال له «**عبد الله بن سبأ**»، فأراد بذلك إفساد دين المسلمين، كما فعل (بولص) صاحب الرسائل التي بأيدي النصارىٰ، حيث

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٣١٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٨٤ - ١٨٦).

ابتدع لهم بدعًا أفسد بها دينهم، وكان يهوديًّا، فأظهر النصرانية؛ نفاقًا، فقصد إفسادها، وكذلك كان «ابن سبأ» يهوديًّا، فقصد ذلك، وسعىٰ في الفتنة؛ لقصد إفساد الملة، فلم يتمكن من ذلك، لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة قُتل فيها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجرىٰ ما جرىٰ من الفتنة، ولم يجمع الله - ولله الحمد - هذه الأمة علىٰ ضلالة، بل لا يزال فيها طائفة قائمة بالحق، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها حتىٰ تقوم الساعة، كما شهدت بذلك النصوص المستفيضة في الصحاح عن النبي ﷺ.

ولما أحدثت البدع الشيعية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ردها. وكانت «ثلاث طوائف»: غالية، وسبابة، ومفضلة.

فأما «**الغالية**»: فإنه حرَّقهم بالنار؛ فإنه خرج ذات يوم من باب كندة؛ فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟! فقالوا: أنت هو الله. فاستتابهم ثلاثًا، فلم يرجعوا، فأمر في الثالث بأخاديد؛ فخدت، وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها، **وقال**:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرا

وفي صحيح البخاري أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتىٰ بزنادقتهم؛ فحرّقهم، وبلغ ذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: أما أنا فلو كنت لم أحرقهم؛ لنهي النبي ﷺ أن يعذب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم؛ لقول النبي ﷺ: «**من بدّل دينه، فاقتلوه**».

وأما «**السبابة**»: فإنه لمَّا بلغه من سب أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، طلب قتله؛ فهرب منه إلىٰ قرقيسيا؛ وكلّمه فيه، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يداري أمراءه؛ لأنه لم يكن متمكنًا، ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به.

وأما «المفضّلة»: فقال: لا أوتىٰ بأحد يفضلني علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، إلا جلدته حد المفترين، وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وفي صحيح البخاري عن محمد ابن الحنفية أنه قال لأبيه: يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أوما تعرف؟ قال: لا. قال: أبو بكر. قال: ثم من؟ قال: عمر، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وفي الترمذي وغيره أن عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ روىٰ هذا التفضيل عن النبي ﷺ».



السبب في الطعن في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لا تظن أن خصومة الرافضة كخصومة عليّ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استغفر لمعاوية وطائفته بعد الفتنة في صفّين، وقال: لا تكرهوا إمارة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أما الرافضة فلا يستغفرون لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يثبتون إيمانه الذي أثبته النبي ﷺ وآل البيت، ولم يرضوا بخلافته التي رضي بها آل البيت.

وقد سئل أبو عبد الرحمن النسائي عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ، فقال: إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذىٰ الصحابة، إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنما أراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

وقال الميموني رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ما لهم ولمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ نسأل الله العافية. وقال لي: يا أبا الحسن، إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء؛ فاتهمه علىٰ الإسلام[2].

وقال الفضل بن زياد رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أبا عبد الله سُئل عن رجل تنقَّص معاوية، وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أيقال له رافضي؟ فقال: إنه لم يجتر

(١) تهذيب الكمال (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) الصارم المسلول، ص(٥٦٨).

عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وله داخلة سوء[١].

وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبيُّ: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سترٌ لأصحاب رسول الله ﷺ، فإذا كَشَف الرجلُ السِّتْرَ، اجترأ علىٰ ما وراءه[٢].

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندنا مِحْنَةٌ، فمن رأيناه ينظر إليه شزْرًا، اتَّهمناه علىٰ القوم - يعني الصحابة -».

قال أبو بكر ابن سندي قرابة إبراهيم الحربي قال: كنت أو حضرت أو سمعت أبا عبد الله وسأله رجل: يا أبا عبد الله، لي خال ذكر أنه ينتقص معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وربما أكلت معه، فقال أبو عبد الله مبادرًا: لا تأكل معه[٤].

وقال يوسف بن موسىٰ: إن أبا عبد الله سُئل عن رجل شتم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يصيّره إلىٰ السلطان؟ قال: أخلق أن يتعدىٰ عليه[٥].

وقال ابن هانئ النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ: سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الذي يشتم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيصلىٰ خلفه؟

قال: لا يُصلّىٰ خلفه، ولا كرامة[٦].

(١، ٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٥٠).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٤٤٩).

(٤) السنة للخلال (١/ ٤٤٨، رقم ٦٩٣).

(٥) السنة للخلال (١/ ٤٤٨، رقم ٦٩٢).

(٦) المسائل (١/ ٦٠، رقم ٢٩٦).

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت سعيد بن المُسيَّب عن أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لي: اسمع يا زهري، من مات مُحبًّا لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وشهد للعشرة بالجنة، وترَحَّم علىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كان حقيقًا علىٰ الله أن لا يناقشه الحساب[1].

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزْرًا، اتَّهمْناه علىٰ القوم - يعني الصحابة -...».



(١، ٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٤٩).

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمالىء على قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية لم يسلمه

الفتن مادتها القيل والقال، فإذا اجتمع مع ذلك حشود الغوغاء والسيوف بأيديهم، ولم يأتموا بعلماء الصحابة وأهل الورع منهم، فإنهم يفرّقون الجماعة، ويسعون في إثارة الضغائن وإقامة الحروب بينهم، وهذا ما حصل في معركة الجمل فقد انتهىٰ طلحة والزبير إلىٰ طلب عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإمهاله، حتىٰ يتمكن من القصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمال القتلة الذين كانوا في عسكر علي علىٰ طلحة والزبير، فدفع طلحة عن نفسه، ودفع عليّ عن نفسه؛ ظنًّا أنه اعتدي عليه.

فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما مالأ علىٰ قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل كان يلعن قتلته، قال محمد ابن الحنفية رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تلعن قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال: فرفع يديه حتىٰ بلغ بهما وجهه، فقال[1]: «وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السَهْل والجبل. قال: مرتين أو ثلاثًا».

فآل البيت المتقدمون ما خرجوا علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا قصدوا قتله، ولا حرّضوا عليه، قال علي بن الحسين زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «والله، ما قُتل

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٥٥، رقم ٧٣٣)، وإسناده صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٧).

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ وجه الحق».

قال أبو قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخلت علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو محصور - أنا ورجل من قومي - نستأذنه في الحج، فأذن لنا، فلما خرجت، استقبلني **الحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **بالباب، فدخل وعليه سلاحه، فرجعتُ معه، فدخل، فوقف بين يدي عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وقال: يا أمير المؤمنين، ها أنذا بين يديك، فمُرني بأمرك، فقال له عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا ابن أخي، وصلتك رَحِم، إن القوم ما يريدون غيري، **ووالله لا أتوقَّىٰ بالمؤمنين، ولكن أوقِّي المؤمنين بنفسي.**

فلما سمعت ذلك منه، قلت له: يا أمير المؤمنين، إن كان من أمْرِكَ كونٌ، فما تأمر؟

قال: انظروا ما أجمعت عليه أمة محمد ﷺ، فإن الله لا يجمعهم علىٰ ضلالة، كونوا مع الجماعة حيث كانت[1].

قال بشار بن موسىٰ: فحدَّث به **حماد بن زيد**؛ فرقَّ، ودمعت عينه، **وقال:** رحم الله أمير المؤمنين، **حُوصر نيفًا وأربعين ليلةً، لم تبدُ منه كلمة يكونُ لمبتدع فيها حُجَّةٌ.**

فالصحابة وسادات آل البيت كانوا أنصار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنصاره في

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين»: حدثنا بشار بن موسىٰ، أخبرنا عبد الله بن المبارك، حدثني يونس بن يزيد عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة.

إسناده صحيح علىٰ شرط الصحيحين.

ورواه عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٦٧، رقم ٧٥٣)، من طريق أحمد بن جميل المروزي، عن ابن المبارك به.

ذكر الأدلة من السنة علىٰ صوابه وخطأ المحرضين عليه، وكانوا أنصاره في داره يحوطونه ويطلبون القتال دونه، فيأبىٰ عليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن موسىٰ بن عقبة عن أبي حبيبة - وهو جد موسىٰ لأمه - قال: بعثني الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو محصور، فدخلت عليه في يوم صائف، وهو علىٰ فرش ذي ظهر، وعنده الحسن بن علي، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وبين يديه مراكن مملوءة ورياط مطرحة، فقلت: بعثني إليك الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يقرئك السلام، ويقول: إني علىٰ طاعتك، لم أبدل، ولم أنكث، فإن شئت، دخلتُ الدار معك؛ فكنت رجلًا من القوم، وإن شئت، أقمت، وإن بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا علىٰ بابي، ثم يمضوا لما آمرهم به، فلما سمع الرسالة، قال: الله أكبر، الحمد لله الذي عصم أخي، أقرئه السلام، وقل له: أن يدخل الدار، لا يكون إلا رجلًا من القوم، فمكانك أحب إليّ، وعسىٰ أن يدفع الله بك عني. فلما سمع الرسالة أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قام، فقال: ألا أخبركم بما سمعت أذناي من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلىٰ يا أبا هريرة. قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: **تكون بعدي فتن وأحداث**. قلنا: فأين المنجا منها يا رسول الله؟ قال: **إلىٰ الأمين وحزبه**. وأشار إلىٰ عثمان بن عفان، فقام الناس، فقالوا: قد أمكتنا البصائر، فائذن لنا في الجهاد. **فقال عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **عَزَمْتُ علىٰ من كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل**. قال: فبادر الذين قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ميعاد بني عمرو بن عوف؛ فقتلوه[1].

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٦٢٧، رقم ٨٣٦)، وإسناده صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أكفِّ الناس عن الدماء، وأصبر الناس علىٰ من نال من عرضه، وعلىٰ من سعىٰ في دمه؛ فحاصروه، وسعوا في قتله، وقد عُرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون من كل ناحية ينصرونه، ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال، ويأمر من يطيعه بأن لا يقاتلهم، ورُوي أنه قال لمماليكه: من كفَّ يده؛ فهو حر.

وقيل له: تذهب إلىٰ مكة؟ فقال: لا أكون ممن ألحد في الحرم. فقيل له: تذهب إلىٰ الشام؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي. فقيل له: فقاتلهم. فقال: لا أكون أول من خلف محمدًا في أمته بالسيف.

فكان صبر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ قُتل من أعظم فضائله عند المسلمين، ومعلوم أن الدماء الكثيرة التي سُفكت باجتهاد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن قاتله لم يُسفك قبلها مثلها من دماء المسلمين».

قال العلامة عزّ الدين أبو الحسن ابن الأثير الجزري الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٣٠ هـ) في حوادث سنة خمس وثلاثين[٢]: «ذكر مسير من سار إلىٰ حصر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قيل: في هذه السنة كان مسير من سار من أهل مصر إلىٰ ذي خُشب، ومسير من سار من أهل العراق إلىٰ ذي المروة.

وكان سبب ذلك أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًّا من أهل صنعاء أمه

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٨٦).

(٢) الكامل في التاريخ، ص(٣٩١، ٣٩٢).

سوداء، وأسلم أيام عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم تنقّل في الحجاز ثمّ بالبصرة، ثمّ بالكوفة، ثمّ بالشام يريد إضلال الناس، فلم يقدر منهم علىٰ ذلك، فأخرجه أهل الشام، **فأتىٰ مصر، فأقام فيهم**، وقال لهم: العجب ممن يصدّق أن عيسىٰ يرجع، ويكذّب أن محمدًا يرجع. فوضع لهم الرجعة، فقُبلت منه، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنه كان لكل نبيّ وصيّ، وعليّ وصيّ محمد ﷺ، فمن أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب علىٰ وصيه، وإن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخذها بغير حق، **فانهضوا في هذا الأمر، وابدءوا بالطعن علىٰ أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا به الناس.**

وبثّ دعاته، وكاتب من استفسد في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السرّ إلىٰ ما هو عليه رأيهم، وصاروا يكتبون إلىٰ الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم، ويكتب أهل كلِّ مصر منهم إلىٰ مصر آخر بما يصنعون، حتىٰ تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا بذلك الأرض إذاعة، فيقول أهل كلّ مصر: إنا لفي عافية ممّا ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة، فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنّا لفي عافية ممّا فيه الناس. فأتوا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ فقال: ما جاءني إلَّا السلامة، وأنتم شركائي، وشهود المؤمنين، فأشيروا عليَّ. قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالًا ممّن نثق بهم إلىٰ الأمصار، حتىٰ يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا محمد بن مَسلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأرسله إلىٰ الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ البصرة، وأرسل عمّار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ مصر، وأرسل عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ الشام، وفرّق رجالًا سواهم، فرجعوا جميعًا

قبل عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالوا: ما أنكرنا شيئًا أيّها الناس، ولا أنكره أعلام المسلمين، ولا عوامُّهم.

وتأخر عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ ظنوا أنه قد اغتيل، فوصل كتاب من عبد الله بن أبي سرح يذكر أن عمّارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد استماله قومٌ، وانقطعوا إليه، منهم: عبد الله بن السوداء، وخالد بن مُلْجَم، وسودان بن حُمران، وكنانة بن بشر.

فكتب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **إلىٰ أهل الأمصار**: أما بعد، فإني آخذ عمالي بموافاتي كلّ موسم، وقد رفع إليَّ أهل المدينة أن أقوامًا يُشتمون ويضربون، فمن ادّعىٰ شيئًا من ذلك فليوافِ الموسم يأخذ حقّه حيث كان مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين.

فلما قُرِيء في الأمصار، بكىٰ الناس، ودعوا لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبعث إلىٰ عمال الأمصار فقدموا عليه في الموسم: عبد الله بن عامر، وعبد الله بن سعد، ومعاوية، وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: ويحكم، ما هذه الشكاية والإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقًا عليكم، وما يُعصَب هذا إلّا بي فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم يرجع إليك الخبر عن العوامّ؟ ألم يرجع رسلك ولم يشافههم أحد بشيء؟ والله ما صدقوا، ولا برُّوا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلًا، ولا يحلّ الأخذ بهذه الإذاعة! فقال: أشيروا عليَّ.

فقال سعيد: هذا أمر مصنوع يُلقىٰ في السر؛ فيتحدث به الناس، ودواء ذلك طلب هؤلاء، وقتل الذي يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم، إذا أعطيتهم الذي

لهم، فإنّه خير من أن تَدَعهم.

وقال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قد وليتني؛ فوليتُ قومًا لا يأتيك عنهم إلّا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما، والرأي حسب الأدب.

وقال عمرو: أرىٰ أنك قد لِنتَ لهم، ورخيت عليهم، وزدتهم علىٰ ما كان يصنع عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأرىٰ أن تلزم طريقة صاحبيك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين.

فقال عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قد سمعت كل ما أشرتم به عليّ، ولكل أمر باب يؤتىٰ منه، إن هذا الأمر الذي يخاف علىٰ هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يُغلق عليه، ليفتحن، فنكفكه باللين والمؤاتاة إلّا في حدود الله، فإن فتح، فلا يكون لأحد عليَّ حُجّة حقّ، وقد علم الله أنّي لم آلُ الناس خيرًا، وإن رحىٰ الفتنة لدائرة، فطوبىٰ لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إن مات، ولم يحركها.

سكّنوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، فإذا تعوطيت حقوق الله، فلا تُدْهنوا فيها. فلمّا نفر عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وشخص معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والأمراء معه، واستقلّ علىٰ الطريق، رجز به الحادي فقال:

قد علمت ضوامر المطيِّ ... وضُمَّراتُ عُوَّج القِسِيِّ

أن الأمير بعده عليُّ ... وفي الزبير خلفٌ رضيُّ

وطلحة الحامي لها وليُّ

فقال كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كذبت، بل يلي بعده صاحب البغلة الشهباء – يعني معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ –، فطمع فيها من يومئذٍ.

فلمّا قدم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المدينة، دعا عليًّا وطلحة والزبير وعنده معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فحمد اللهَ معاويةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثمّ قال: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ، وخيرته من خلقه، وولاة أمرِ هذه الأمَّة، لا يطمع فيه أحد غيركم، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع، وقد كبر وولىٰ عمره، ولو انتظرتم به الهرم، لكان قريبًا مع أنّي أرجو أن يكون أكرم علىٰ الله أن يبلغه ذلك، وقد فشت مقالة خفتها عليكم، فما عتبتم فيه من شيء، فهذه يدي لكم به، ولا تطمعوا الناس في أمركم، فوالله، إن طمعوا فيه، لا رأيتم منها إلّا إدبارًا.

قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما لك ولذلك لا أمّ لك؟ قال: دع أمّي، فإنّها ليست بشرّ أمهاتكم، قد أسلمت وبايعت النبي ﷺ، وأجبني عمّا أقول لك. فقال عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: صدق ابن أخي، أنا أخبركم عني وعمّا وليت، إن صاحبيَّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما، ومن كان منهما بسبيل احتسابًا، وإن رسول الله ﷺ، كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عيلة وقلّة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك المال لما أقوم به فيه، ورأيت أن ذلك لي، فإن رأيتم ذلك خطأً فردُّوه؛ فأمري لأمركم تبع. فقالوا: قد أصبت وأحسنت، قد أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفًا، وأعطيت مروان خمسة عشر ألفًا. فأخذ منهما ذلك، فرضوا، وخرجوا راضين.

وقال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **لعثمان** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **اخرج معي إلىٰ الشام، فإنّهم علىٰ الطاعة، قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به. فقال: لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء، وإن كان فيه خيط عنقي. قال: فإن بعثتُ إليك جندًا منهم يقيم معك لنائبة إن نابت؟ قال: لا أضيق علىٰ جيران رسول الله ﷺ. فقال: والله لتغتالن ولتُغزين! فقال: حسبي الله ونعم الوكيل».**

الخلاف بين علي ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ومجاذبة الحق

لا شك أن الخلاف بين علي ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يتجاذبه الحق، وقد كانت الأمة متفقة مؤتلفة في عهد النبوة والخلفاء من بعده، حتىٰ قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مظلومًا شهيدًا، فطالب بدمه ولي دمه ابن عمّه معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم يمكن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تسليمهم ولا القصاص منهم؛ لأنهم كانوا في عسكره، ولهم شوكة؛ فخشي من فتن لا قبل له بها، فجرىٰ بسبب ذلك من الفتن ما قدّره الله وقضاه في الجمل وصفّين.

ولننظر الآن في الأدلة ودلالاتها في بيان الحق في الفتن التي جرت بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من حيث بدأت بقتل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ انتهاءً بعام الجماعة، حيث وقع الصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فهذا من أسباب القول بقسط وعدل، أما تجاوز أسباب الجمل وصفّين، فهذا شأن من له نتيجة وحكم مسبق لا يتزعزع عنه، وركن إليه بسابق هواه دون إنصاف وتجرد في النظر في كل مقدمات الحكم.

وليس للرافضة ميزان قسط وحكم عدل يحكمون به فيما جرىٰ بين علي ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فهم من أظلم الطوائف، وأفجرها خصومة، وأفسدها دينًا، وأبخسها عقولًا، يعظّمون الأمر علىٰ من قاتل عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويمدحون من قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «قول الرافضة من أفسد الأقوال، وأشدها تناقضًا؛ فإنهم يعظّمون الأمر علىٰ من قاتل عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويمدحون من قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، مع أن الذم والإثم لمن قتل عثمان أعظم من الذم والإثم لمن قاتل عليًّا، فإن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان خليفةً اجتمع الناس عليه، ولم يقتل مسلمًا، وقد قاتلوه لينخلع من الأمر، فكان عذره في أن يستمر علىٰ ولايته أعظم من عذر عليٍّ في طلبه لطاعتهم له، وصبر عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتىٰ قُتل مظلومًا شهيدًا من غير أن يدفع عن نفسه، وعليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بدأ أصحاب معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم يكونوا يقاتلونه، ولكن امتنعوا من بيعته».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «وأهل السنة يترحمون علىٰ الجميع، ويستغفرون لهم، كما أمرهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وأما الرافضي فإذا قدح في معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأنه كان باغيًا ظالمًا، قال له الناصبي: وعليّ أيضًا كان باغيًا ظالمًا، لما قاتل المسلمين علىٰ إمارته، وبدأهم بالقتال، وصال عليهم، وسفك دماء الأمة بغير فائدة لهم لا في دينهم، ولا في دنياهم. وكان السيف في خلافته مسلولًا علىٰ أهل الملة، مكفوفًا عن الكفّار.

والقادحون في عليّ طوائف: طائفة تقدح فيه وفيمن قاتله جميعًا، وطائفة

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٥٨، ٤٥٩).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٣٨٩ - ٣٩٤).

تقول: فسق أحدهما. لا بعينه. كما يقول ذلك عمرو بن عبيد، وغيره من شيوخ المعتزلة، ويقولون في أهل الجمل: فسق إحدىٰ الطائفتين. لا بعينها. وهؤلاء يفسِّقون معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وطائفة تقول: هو الظالم دون معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. كما يقول ذلك المروانية، وطائفة تقول: كان في أول الأمر مصيبًا، فلما حكَّم الحكمين، كفر، وارتدَّ عن الإسلام، ومات كافرًا. وهؤلاء هم الخوارج.

فالخوارج، والمروانية، وكثير من المعتزلة، وغيرهم يقدحون في عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكلهم مخطئون في ذلك، ضالّون، مبتدعون. وخطأ الشيعة في القدح في أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أعظم من خطأ أولئك.

فإن قال الذاب عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هؤلاء الذين قاتلهم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كانوا بغاة. فقد ثبت في «الصحيح» أن النبي ﷺ قال لعمّار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**تقتلك الفئة الباغية**». وهم قتلوا عمّارًا، فهاهنا للناس أقوال: منهم من قدح في حديث عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومنهم من تأوَّله علىٰ أن الباغي الطالب، وهو تأويل ضعيف.

وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك، وأحمد، وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية، فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يُصلح بينهما، ثم إن بغت إحداهما علىٰ الأخرىٰ، قوتلت التي تبغي، وهؤلاء قوتلوا ابتداءً قبل أن يبدءوا بقتال.

ومذهب أبي حنيفة، وأحمد، وغيرهما أن مانعي الزكاة إذا قالوا: نحن نؤديها بأنفسنا، ولا ندفعها إلىٰ الإمام. لم يكن له قتالهم؛ ولهذا كان هذا القتال عند أحمد وغيره - كمالك - قتال فتنة.

وأبو حنيفة يقول: لا يجوز قتال البغاة حتىٰ يبدءوا بقتال الإمام، وهؤلاء لم يبدءوه، بل الخوارج بدءوا به، وأما قتال الخوارج، فهو ثابت بالنص والإجماع.

فإن قال الذاب عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كان علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مجتهدًا في ذلك. قال له منازعه: ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان مجتهدًا في ذلك. فإن قال: كان مجتهدًا مصيبًا. ففي الناس من يقول له: ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان مجتهدًا مصيبًا أيضًا، بناءً علىٰ أن كل مجتهد مصيب، وهو قول الأشعري، ومنهم من يقول: بل معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مجتهد مخطيء، وخطأ المجتهد مغفور.

ومنهم من يقول: بل المصيب أحدهما. لا بعينه.

ومن الفقهاء من يقول: كلاهما كان مجتهدًا، لكن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان مجتهدًا مصيبًا ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان مجتهدًا مخطئًا، والمصيب له أجران، والمخطيء له أجر. ومنهم من يقول: بل كلاهما مجتهد مصيب، بناءً علىٰ قولهم: كل مجتهد مصيب. وهو قول الأشعري، وكثير من أصحابه، وطائفة من أصحاب أحمد وغيره، ومنهم من يقول: المصيب واحد. لا بعينه.

وهذه الأقوال ذكرها أبو عبد الله بن حامد عن أصحاب الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ، **لكن المنصوص عنه نفسه، وعن أمثاله من الأئمة أن ترك القتال كان خيرًا من فعله وأنه قتال فتنة.**

ولهذا كان عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ينهىٰ عن بيع السلاح فيه، ويقول: لا يباع السلاح في الفتنة. وهذا قول سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وأسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وأكثر من كان بقي من

السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، وهو قول أكثر أئمة الفقه والحديث.

وقالت الكرَّامية: بل كلاهما إمام مصيب، ويجوز عقد البيعة لإمامين؛ للحاجة، ومن نازعه في أنه كان إمام حق، لم يمكن الرافضي أن يحتج علىٰ إمامته بحجة إلا نَقَضَها ذلك المعارض، ومن سلّم له أنه كان إمام حق كأهل السنة، فإنه يقول: الإمام الحق ليس معصومًا، ولا يجب علىٰ الإنسان أن يقاتل معه كل من خرج عن طاعته، ولا يطيعه الإنسان فيما يعلم أنه معصية لله، أو أن تركه خير من فعله.

والصحابة الذين لم يقاتلوا معه كانوا يعتقدون أن ترك القتال خير من القتال، أو أنه معصية، فلم يجب عليهم موافقته في ذلك.

والذين قاتلوه، لا يخلو؛ إما أن يكونوا عصاة، أو مجتهدين مخطئين، أو مصيبين، وعلىٰ كل تقدير، فهذا لا يقدح في إيمانهم ولا يمنعهم الجنة.

فإن الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، فسمَّاهم إخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون مع وجود الاقتتال بينهم، والبغي من بعضهم علىٰ بعض.

فمن قاتل عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإن كان باغيًا، فليس ذلك بمخرجه من الإيمان، ولا بموجب له النيران، ولا مانع له من الجنان، فإن البغي إذا كان بتأويل، كان صاحبه مجتهدًا.

ولهذا اتّفق أهل السنة علىٰ أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداهما: إنهم كانوا بغاة؛ لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، والمجتهد المخطيء لا يَكْفُر ولا يفسق، وإن تعمد البغي فهو ذنب من الذنوب، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة: كالتوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة، وشفاعة النبي ﷺ، ودعاء المؤمنين، وغير ذلك».

فلم يكن في الصحابة من قصد إلىٰ قتال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغيًا وعدوًا، وفيهم من تنازل له بالخلافة، لما جعلها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شورىٰ بين ستة كالزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومع هذا فإن أمير المؤمنين عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي بدأ أهل الشام بالقتال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يشارك في دم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا أمر، ولا رضي.

وقد رُوي عنه - وهو الصادق البارّ - أنه قال: والله، ما قتلت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا مالأت علىٰ قتله.

وروي عنه أنه قال: ما قتلت، ولا رضيت.

وروي عنه أنه سمع أصحاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلعنون قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: اللهم العن قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البرّ والبحر، والسهل والجبل.

وروي أن أقوامًا شهدوا عليه بالزور عند أهل الشام أنه شارك في دم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان هذا مما دعاهم إلىٰ ترك مبايعته، لما اعتقدوا أنه ظالم، وأنه من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه آوىٰ قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لموافقته لهم علىٰ قتله.

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦ - ٤١٠).

وهذا وأمثاله مما يبيّن شبهة الذين قاتلوه، ووجه اجتهادهم في قتاله، لكن لا يدل علىٰ أنهم كانوا مصيبين في ترك مبايعته وقتاله، وكون قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من رعيته لا يوجب أنه كان موافقًا لهم، وقد اعتذر بعض الناس عن عليّ بأنه لم يكن يعرف القتلة بأعيانهم أو بأنه كان لا يرىٰ قتل الجماعة بالواحد، أو بأنه لم يدع عنده ولي الدم دعوىٰ توجب الحكم له.

ولا حاجة إلىٰ هذه الأعذار، بل لم يكن عليّ مع تفرق الناس عليه متمكنًا من قتل قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلا بفتنة تزيد الأمر شرًّا وبلاءً، ودفع أفسد الفاسدَيْن بالتزام أدناهما أوْلىٰ من العكس؛ لأنهم كانوا عسكرًا، وكان لهم قبائل تغضب لهم، والمباشر منهم للقتل - وإن كان قليلًا - فكان ردؤهم أهل الشوكة، ولولا ذلك لم يتمكّنوا.

ولما سار طلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلىٰ البصرة؛ ليقتلوا قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قام بسبب ذلك حرب قُتل فيها خلق.

ومما يبيّن ذلك أن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد أجمع الناس عليه بعد موت عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصار أميرًا علىٰ جميع المسلمين، ومع هذا فلم يقتل قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذين كانوا قد بقوا، بل رُوي عنه أنه لما قدم المدينة حاجًّا فسمع الصوت في دار عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يا أمير المؤمنيناه، يا أمير المؤمنيناه». فقال: ما هذا؟ قالوا: بنت عثمان تندب عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فصرف الناس، ثم ذهب إليها فقال: يا بنة عم، إن الناس قد بذلوا لنا الطاعة علىٰ كره، وبذلنا لهم حلمًا علىٰ غيظ، فإن رددنا حلمنا، ردّوا طاعتهم، ولأن تكوني بنت أمير المؤمنين خير من أن تكوني واحدة من عرض الناس، فلا أسمعنّك بعد اليوم ذكرت

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **الذي يقول المنتصر له**: إنه كان مصيبًا في قتال عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه كان طالبًا لقتل قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما تمكّن، وأجمع الناس عليه، لم يقتل قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فإن كان قتلهم واجبًا - وهو مقدور له - كان فعله بدون قتال المسلمين أَوْلىٰ من أن يقاتل عليًّا وأصحابه لأجل ذلك، ولو قتل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لم يقع من الفتنة أكثر مما وقع ليالي صفّين.

وإن كان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معذورًا في كونه لم يقتل قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إما لعجزه عن ذلك، أو لما يفضي إليه ذلك من الفتنة، وتفريق الكلمة، وضعف سلطانه، فعليٌّ أولىٰ أن يكون معذورًا أكثر من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إذ كانت الفتنة، وتفريق الكلمة، وضعف سلطانه بقتل القتلة، لو سعىٰ في ذلك - أشد.

ومن قال: إن قتل الخلق الكثير الذين قُتلوا بينه وبين عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان صوابًا منه؛ لأجل قتل قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقتْلُ ما دون ذلك؛ لأجل قتل قتلة عثمان أَوْلىٰ أن يكون صوابًا، وهو لم يفعل ذلك لما تولَّىٰ، ولم يقتل قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وذلك أن الفتن إنما يُعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت، فأما إذا أقبلت، فإنها تُزَيّن، ويُظن أن فيها خيرًا، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر، والمرارة، والبلاء، صار ذلك مبينًا لهم مضرتها، وواعظًا لهم أن يعودوا في مثلها، كما أنشد بعضهم:

الحـرب أول مـا تكـون فَتِيَّـة تـسعىٰ بزينتهـا لكـل جهـول
حتىٰ إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها ولّـت عجـوزًا غـير ذات حليـل
شـمطاء يُنكـر لونها وتغـيّرت مكروهـة للـشم والتقبيـل

والذين دخلوا في الفتنة من الطائفتين لم يعرفوا ما في القتال من الشر، ولا عرفوا مرارة الفتنة حتىٰ وقعت، وصارت عبرة لهم ولغيرهم.

ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبيّن له أنه ما دخل فيها أحد، فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه؛ ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به الذي قال الله فيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]».

وحديث عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**تقتله الفئة الباغية**» تكلم العلماء في ثبوته من جهة، وفي تنزيله في الواقع، أما الكلام في ثبوته فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «حديث عمّار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**تقتلك الفئة الباغية**» قد رواه مسلم في صحيحه من غير وجه، ورواه البخاري، لكن في كثير من النسخ لم يذكره تامًّا.

وأما تأويل من تأوّله: أن عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأصحابه قتلوه، وأن الباغية الطالبة بدم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد، التي يظهر فسادها للعامة والخاصة.

والحديث ثابت في «الصحيحين» وقد صححه أحمد بن حنبل وغيره من

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤١٣، ٤١٤).

الأئمة، وإن كان قد رُوي عنه أنه ضعَّفه، فآخر الأمرين منه تصحيحه.

قال يعقوب بن شَيْبة في «مسنده» في المكيين في مسند عمَّار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما ذكر أخبار عمّار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت أحمد بن حنبل سُئل عن حديث النبي ﷺ في عمَّار: «**تقتلك الفئة الباغية**»، فقال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قتلته الفئة الباغية، كما قال النبي ﷺ. وقال: في هذا غير حديث صحيح عن النبي ﷺ، **وكره أن يتكلم في هذا بأكثر من هذا**».

وقد سُئل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث النبي ﷺ في عمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**تقتلك الفئة الباغية**»، فقال: كما قال رسول الله ﷺ، قتلته الفئة الباغية. وكره أن يتكلم في هذا بأكثر من هذا[1].

وقال الخلال: أخبرنا أحمد بن محمد بن حازم، وعبيد الله بن العباس الطيالسي أن إسحاق بن منصور حدّثهم أنه قال لأبي عبد الله قول النبي ﷺ لعمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**تقتلك الفئة الباغية**». قال: لا أتكلم فيه. زاد الطيالسي: تركه أسلم[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «أهل العلم في هذا الحديث علىٰ ثلاثة أقوال: فطائفة ضعَّفته لما رُوي عندها بأسانيد ليست ثابتة عندهم، ولكن رواه أهل «الصحيح»: رواه البخاري كما تقدَّم من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) السنة للخلال (١/ ٤٦٣، ٤٦٤، رقم ٧٢٢).

(٢) السنة للخلال (١/ ٤٦٢، رقم ٧٢٠).

(٣) منهاج السنة (٤/ ٤١٩ - ٤٢٢).

ورواه مسلم من غير وجه من حديث الحسن عن أمه عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ومن حديث أبي سعيد عن أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره.

ومنهم من قال: هذا دليل علىٰ أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأصحابه بغاة، وأن قتال عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لهم قتال أهل العدل لأهل البغي. لكنهم بغاة متأولون، لا يُكَفَّرون، ولا يُفسَّقون.

ولكن يُقال: ليس في مجرد كونهم بغاة ما يوجب الأمر بقتالهم، فإن الله لم يأمر بقتال كل باغ، بل **ولا أمر بقتال البغاة ابتداءً**، ولكن قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ٩-١٠]. فلم يأمر بقتال البغاة ابتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يُصلح بينهما، وهذا يتناول ما إذا كانتا باغيتين أو إحداهما باغية.

ثم قال: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ وقوله: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ قد يُقال: المراد به البغي بعد الإصلاح. ولكن هذا خلاف ظاهر القرآن، فإن قوله: ﴿بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ يتناول الطائفتين المقتتلتين، سواء أُصلح بينهما، أو لم يصلح.

كما أن الأمر بالإصلاح يتناول المقتتلتين مطلقًا، فليس في القرآن أمر بقتال الباغي ابتداءً، لكن أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يُصلح بينهما، وأنه إن بغت إحداهما علىٰ الأخرىٰ بعد القتال أن تُقاتل حتىٰ تفيء.

وهذا يكون إذا لم تُجب إلىٰ الإصلاح بينهما، وإلا فإذا أجابت إلىٰ الإصلاح بينهما لم تُقَاتل، فلو قوتلت، ثم فاءت إلىٰ الإصلاح، لم تقاتل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾، فأمر بعد القتال - إلىٰ أن تفيء - أن يُصلح بينهما بالعدل وأن يُقسط.

وقتال الفتنة لا يقع فيه هذا، وذلك قد يكون؛ لأن الله لم يأمر بالقتال ابتداءً، ولكن أمر إذا اقتتلوا، وبغت إحداهما علىٰ الأخرىٰ بقتال الفئة الباغية؛ وقد تكون الآية أمرًا بالإصلاح وقتال الباغية جميعًا لم يأمر بأحدهما، وقد تكون الطائفة باغية ابتداءً، لكن لما بغت، أمر بقتالها، وحينئذٍ لم يكن المقاتل لها قادرًا؛ لعدم الأعوان، أو لغير ذلك، وقد يكون عاجزًا ابتداءً عن قتال الفئة الباغية، أو عاجزًا عن قتال تفيء فيه إلىٰ أمر الله، فليس كل من كان قادرًا علىٰ القتال، كان قادرًا علىٰ قتال يفيء فيه إلىٰ أمر الله، وإذا كان عاجزًا عن قتالها حتىٰ تفيء إلىٰ أمر الله، لم يكن مأمورًا بقتالها: لا أمر إيجاب، ولا أمر استحباب، ولكن قد يظن أنه قادر علىٰ ذلك، فتبين له في آخر الأمر أنه لم يكن قادرًا، فهذا من الاجتهاد الذي يُثاب صاحبه علىٰ حسن القصد، وفعل ما أُمر، وإن أخطأ فيكون له فيه أجر، ليس من الاجتهاد الذي يكون له فيه أجران، فإن هذا إنما يكون إذا وافق حكم الله في الباطن، كما قال النبي ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم، فأخطأ؛ فله أجر، وإذا اجتهد، فأصاب؛ فله أجران**»».

قال معمر عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه أخبره، قال: لما قُتل عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، دخل عمرو بن حزم علىٰ عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ،

فقال: قُتل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**»، فقام عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرجع فزعًا، حتىٰ دخل علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فقاله له معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُتل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فماذا؟

قال عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**». فقال له معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دحضت في قولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه، جاءوا به، حتىٰ ألقوه بين رماحنا - أو قال: بين سيوفنا -[(١)].

فهذا تأويل خاطئ من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله يغفر له، والأمر كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]: «إن للخصومات قحما، وإن الشيطان يحضرها».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «ويُروىٰ أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تأول أن الذي قتله هو الذي جاء به؛ دون مقاتليه، وأن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ردّ هذا التأويل بقوله: فنحن إذًا قتلنا حمزة.

ولا ريب أن ما قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الصواب، لكن من نظر في كلام المتناظرين من العلماء الذين ليس بينهم قتال ولا ملك، وأن لهم في النصوص من التأويلات ما هو أضعف من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكثير، ومن تأول هذا التأويل لم ير أنه قتل عمارًا، فلم يعتقد أنه باغ، ومن لم يعتقد أنه باغ، وهو في

(١) رواه عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠، رقم ٢٠٤٢٧) عن معمر به، ورواه أحمد في المسند (٤/ ١٩٩) من طريق عبد الرزاق به.

(٢) منهاج السنة (٦/ ١٦٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٧).

نفس الأمر باغٍ، فهو متأول مخطيء».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وليس في كون عمارًا تقتله الفئة الباغية ما ينافي ما ذكرناه، فإنه قد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، فقد جعلهم مع وجود الاقتتال والبغي مؤمنين إخوة، بل مع أمره بقتال الفئة الباغية جعلهم مؤمنين، وليس كل ما كان بغيًا وظلمًا أو عدوانًا يخرج عموم الناس عن الإيمان، ولا يوجب لعنتهم، فكيف يُخرج ذلك من كان من خير القرون؟!

وكل من كان باغيًا، أو ظالمًا، أو معتديًا، أو مرتكبًا ما هو ذنب، فهو «قسمان»: متأول، وغير متأول. فالمتأول المجتهد كأهل العلم والدين الذين اجتهدوا، واعتقد بعضهم حل أمور، واعتقد الآخر تحريمها، كما استحل بعضهم بعض أنواع الأشربة، وبعضهم بعض المعاملات الربوية، وبعضهم بعض عقود التحليل والمتعة وأمثال ذلك، فقد جرىٰ ذلك وأمثاله من خيار السلف، فهؤلاء المتأولون المجتهدون غايتهم أنهم مخطئون، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾، وقد ثبت في «الصحيح» أن الله استجاب هذا الدعاء».

وبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لا تلازم بين البغي والإثم، فقال[2]: «أما إذا كان الباغي مجتهدًا ومتأولًا، ولم يتبين له أنه باغ، بل اعتقد

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٤، ٧٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٦).

أنه علىٰ الحق، وإن كان مخطئًا في اعتقاده، لم تكن تسميته «باغيًا» موجبة لإثمه، فضلًا عن أن توجب فسقه».

وقال شيخ الإسلام أيضًا(١): «ثم بتقدير أن يكون «البغي» بغير تأويل، يكون ذنبًا، والذنوب تزول عقوبتها بأسباب متعددة: بالحسنات الماحية، والمصائب المكفّرة، وغير ذلك.

ثم إن «**عمارًا تقتله الفئة الباغية**» ليس نصًّا في أن هذا اللفظ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه، بل يمكن **أنه أريد به تلك العصابة التي حملت عليه، حتىٰ قتلته، وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **كان حكمه حكمها**.

ومن المعلوم أنه كان في العسكر من لم يرض بقتل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **كعبد الله بن عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **وغيره، بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **حتىٰ معاوية وعمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

ومن الأدلة التي تدل علىٰ تجاذب الحق في صفّين بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قول النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تقتتل فئتان دعواهما واحدة**».

فهذا الحديث من أعلام ودلائل نبوة نبينا محمد ﷺ، وقد وقع كما أخبر النبي ﷺ، فإن الخوارج خرجوا علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ حين فرقة من المسلمين، حين وقع الاقتتال في صفين بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصار الخوارج إلىٰ تكفير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وقوع التحكيم، وقالوا له: كفرت بتحكيم الرجال.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٦، ٧٧).

والحديث دال بمنطوقه علىٰ أمرين عظيمين:

١- إثبات الإيمان لعلي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢- تجاذب الحق في خلاف علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «يحتمل أن يكون «**دعواهما واحدة**»، في الحق عند أنفسهما واجتهادهما».

وقال الحافظ البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: ««**ودعواهما واحدة**»، يريد - والله أعلم - دعوىٰ الإسلام، فكان كما أخبر في حرب صفين».

وقال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «قال الداودي: هاتان الفئتان هما - إن شاء الله - أصحاب الجمل.

وزعم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بايعاه، فتعلق بذلك، وزعم طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الأشتر النخعي أكرههما علىٰ المشي إلىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخذ موسىٰ هارون يجره إليه علىٰ التأويل، وشدة الغضب في الله، فلم يعب الله ذلك من فعله، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حاطب: دعني أضرب عنقه؛ فإنه منافق.

وقال أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لسعد بن عبادة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت منافق، تجادل عن المنافقين. ولم يكن منافقًا، وعذر النبي ﷺ أسيدًا بالتأويل».

---

(١) شرح صحيح البخاري (٨/ ٥٩٣).

(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤١٨).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣١/ ٥٧٩).

علىٰ كل حال دلالة اللفظ في حديث النبي ﷺ «**دعواهما واحدة**» عمومًا يمكن إنزاله علىٰ أصحاب الجمل وصفين، لكن تتمة الحديث في حصول ذلك عند مروق الخوارج علىٰ حين فرقة من المسلمين يُعيّن أن ذلك كان في صفّين، حيث ظهرت الخوارج بعد التحكيم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المراد بالفئتين: جماعة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجماعة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والمراد بالدعوة: الإسلام علىٰ الراجح، وقيل: المراد: اعتقاد كل منهما أنه علىٰ الحق».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ويؤخذ من تسميتهم «مسلمين»، ومن قوله: «**دعوتهما واحدة**» الرد علىٰ الخوارج ومن تبعهم في تكفيرهم كلًّا من الطائفتين».

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٣٠ هـ)**[3]: «فتولىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتلهم؛ لأن خروجهم كان بعد الجمل بين علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، لا بين علي، وطلحة، والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «لم يكن الذين مع معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقولون: إنه الإمام والخليفة، وإن علىٰ عليٍّ وأصحابه مبايعته وطاعته، وإن كان عليّ أفضل؛ لأن توليته أصلح.

فهذا لم يكونوا يقولونه، ولا يقاتلون عليه، وهذا مما هو معلوم لعموم أهل العلم، ولا بدءوا عليًّا وأصحابه بقتال أصلًا.

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٠٣).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٩٢).
(٣) الإمامة والرد علىٰ الرافضة، ص(٣٦٠).
(٤) منهاج السنة (٦/ ٣٣٢).

ولأن الخوارج بدءوه بذلك، فإنهم قتلوا عبد الله بن خبَّاب، لما اجتاز بهم، فسألوه أن يحدِّثهم عن أبيه خبَّاب بن الأرَتّ، فحدّثهم حديثًا في ترك الفتن، وكان قصده رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجوعهم عن الفتنة؛ فقتلوه، وبقي دمه مثل الشراك في الدماء، فأرسل إليهم عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: سلّموا إلينا قاتل عبد الله بن خبّاب. فقالوا: كلنا قتله.

ثم أغاروا علىٰ سرح الناس، وهي الماشية التي أرسلوها تسرح مع الرعاء، فلما رأىٰ عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنهم استحلُّوا دماء المسلمين وأموالهم، ذكر النصوص التي سمعها من النبي ﷺ في صفتهم، وفي الأمر بقتالهم، ورأىٰ تلك الصفة منطبقة عليهم؛ فقاتلهم، ونصره الله عليهم، وفرح بذلك، وسجد لله شكرًا، لمّا جاءه خبر المخدج أنه معهم، فإنه هو كان العلامة التي أخبر بها النبي ﷺ، واتفق الصحابة علىٰ قتالهم، فقتاله للخوارج كان بنصٍّ من الرسول ﷺ، وبإجماع الصحابة».

وبسبب التأويل الذي كان لطائفة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المطالبة بدم عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن بعض العلماء رأىٰ أن الطائفتين محمودتان، بسبب اجتهادهما، قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال بعض العلماء: فإن قال قائل: فأي الطائفتين كانت أولىٰ بالحق؟ قيل: كلا الطائفتين عندنا محمودة، مجتهدة، برة، تقية، وقد قعد عنها أصحاب النبي ﷺ، ولم يروا في ذلك بيانًا، وهم كانوا أولىٰ بمعرفة الحق، فكيف يُحكم لأحد الفريقين علىٰ الآخر؟! ألا ترىٰ أن النبي ﷺ شهد

(١) شرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٢).

لعلي، وطلحة، والزبير رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ بالشهادة، فكيف يكون شهيدًا من يحل دمه، وكيف يُحكم لأحد الفريقين علىٰ الآخر وكلاهما شهداء؟!».

والذي ندين الله به أن القتال بين علي ومعاوية رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا قتال فتنة، فإن معاوية رَضِيَاللَّهُعَنْهُ ولي الخلافة بعد علي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، وما استطاع القصاص من قتلة عثمان رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، ومع هذا نقول بمقتضىٰ ما حكاه ابن بطال رَحِمَهُاللَّهُ عن العلماء أن الطائفتين محمودتان، لما لهما من فضل الصحبة للنبي ﷺ والنصرة للدين.

وقال ابن الملقن رَحِمَهُاللَّهُ مبينًا تجاذب التأويل في القتال بين فئة علي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، ومعاوية رَضِيَاللَّهُعَنْهُ[(١)]: «روىٰ أهل العراق عن علي وعبد الله أنه ﷺ أمر عليًّا رَضِيَاللَّهُعَنْهُ بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

وعن أبي سعيد رَضِيَاللَّهُعَنْهُ **وغيره أنه** عَلَيْهِالسَّلَامُ **قال: «لتقاتلن علىٰ تأويله، كما قاتلت علىٰ تنزيله»**.

وروىٰ أهل الشام عن رسول الله ﷺ **في معاوية** رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: أنه الذي يقاتل علىٰ الحق، وأنه ﷺ ذكر فتنة، فمرّ به عثمان رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، فقال: «**هذا وأصحابه يومئذ علىٰ الحق**»، وكل راوٍ منهم لرواية يدّعي أنها الحق، وأن تأويله أولىٰ، وإذا كان الأمر كذلك، عُلم أن القول في ذلك من غير وجه النص والاستخراج الذي لا يوجد في مثله إجماع من الأمة علىٰ معنًىٰ واحد؛ ولذلك قيل في قتلىٰ الفريقين ما قيل من رجاء الفريق الآخر الإصابة، وأمن علىٰ فريق الشبهة».

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ٣٢٤).

وقال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ قول النبي ﷺ في الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1]: «قلت: قد خرج مصداق هذا القول في الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بتركه الأمر حين صارت الخلافة إليه؛ خوفًا من الفتنة، وكراهةً لإراقة دماء أهل الإسلام، فأصلح الله بين أهل العراق وأهل الشام، ويُسمَّىٰ ذلك العام سنة الجماعة.

وفيه دليل علىٰ أنّ واحدًا من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام؛ لأن النبي ﷺ جعلهم كلهم مسلمين مع كون إحدىٰ الطائفتين مصيبة، والأخرىٰ مخطئة.

وهكذا سبيل كل متأوِّل فيما يتعاطاه من رأيٍ ومذهبٍ، إذا كان له فيما يتأوله شبهة، وإن كان مخطئًا في ذلك، وعن هذا اتفقوا علىٰ قبول شهادة أهل البغي، ونفوذ قضاء قاضيهم.

واختار السلف ترك الكلام في الفتنة الأولىٰ، وقالوا: تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلا نلوِّث بها ألسنتنا.

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أنه لو وقف شيئًا علىٰ أولاده، يدخل ولد الولد فيه؛ لأن النبي ﷺ سمَّىٰ ابن ابنته ابنًا».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خالفهم**

---

(١) شرح السنة (١٤/ ١٣٦، ١٣٧).

(٢) منهاج السنة (٧/ ٥٨، ٥٩).

ولا من خذلهم، حتىٰ تقوم الساعة». قال معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وهم بالشام». وفي مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال أهل الغرب ظاهرين، حتىٰ تقوم الساعة**»، قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ وغيره: «أهل الغرب هم أهل الشام».

وهذا كما ذكروه، فإن كل بلد له غرب وشرق، والاعتبار في لفظ النبي ﷺ بغرب مدينته، ومن الفرات هو غرب المدينة، فالبيرة ونحوها علىٰ سمت المدينة، كما أن حرَّان، والرَّقَّة، وسُمَيْساط ونحوها علىٰ سمت مكة؛ ولهذا يقال: إن قبلة هؤلاء أعدل القبل. بمعنىٰ أنك تجعل القطب الشمالي خلف ظهرك؛ فتكون مستقبل الكعبة، فما كان غربي الفرات فهو غربي المدينة إلىٰ آخر الأرض، وأهل الشام أول هؤلاء.

والعسكر الذين قاتلوا مع معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما خُذلوا قط، بل، ولا في قتال عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيرًا للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكن عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان أقرب إلىٰ الحق من معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **والقتال قتال فتنة، ليس بواجب ولا مستحب، وكان ترك القتال خيرًا للطائفتين، مع أن عليًّا كان أولىٰ بالحق.**

وهذا هو قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء، وهو قول

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٤٨).

أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو قول عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان ينهىٰ عن بيع السلاح في ذلك القتال، ويقول: هو بيع السلاح في الفتنة. وهو قول أسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأكثر من بقي من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[1]: «وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة علىٰ حين فُرقة من المسلمين يقتلهم أوْلىٰ الطائفتين بالحق**»، وهؤلاء المارقة - الخوارج - مرقوا علىٰ عليٍّ، فدلّ علىٰ أن طائفته أقرب إلىٰ الحق من طائفة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ابني هذا سيد وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين»، فأصلح الله به بين أصحاب عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأصحاب معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فمدح النبي ﷺ الحسن بالإصلاح بينهما، وسماهما مؤمنين، وهذا يدل علىٰ أن الإصلاح بينهما هو المحمود، ولو كان القتال واجبًا أو مستحبًّا، لم يكن تركه محمودًا».

ولمّا كانت الخصومة بين علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يتجاذبها الحق كما مرّ، فإن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يشير إلىٰ هذا، إذا ذاكره أحد في ذلك، خصوصًا من كان من آل البيت.

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سمع علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل - أو يوم صفين - رجلًا يغلو في القول، يقول: الكفرة. قال: لا تقولوا، فإنهم زعموا

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٥٠).

أنا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا[١].

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد لأصحاب معاوية بالإيمان ويستغفر لهم، عن مكحول أن أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سألوه عمن قتلوا من أصحاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: هم المؤمنون[٢].

وقال عبد الله بن عروة: حدثني رجل شهد صفين قال: رأيت عليًّا خرج في بعض تلك الليالي، فنظر إلىٰ أهل الشام، فقال: اللهمَّ اغفر لي ولهم[٣].

ومما يُحمد لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أمر التحكيم أنه انتهىٰ بعد ذلك عن قتال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع أنه ما بدأ به، وفي صحيح البخاري لما سار الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالكتائب، قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أرىٰ كتيبةً لا تولِّي، حتىٰ تُدْبرَ أخراها، قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من لذراري المسلمين؟ فقال: أنّىٰ، فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نلقاه فنقول له: الصُّلح، قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: ولقد سمعت أبا بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا النبي ﷺ يخطب، جاء الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال النبي ﷺ: «**ابني هذا سيِّد، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين**»[٤].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١/ ١٣٠).

(٢، ٣) مختصر تاريخ دمشق (١/ ١٣١).

(٤) رواه البخاري، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي: «**إن ابني هذا لسيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين**»، (ص١٢٢٥، رقم ٧١٠٩).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قوله: «قال معاوية: من لذراري المسلمين؟، أي: من يكفلهم، إذا قتل آباؤهم؟ زاد في الصلح «فقال له معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان والله خير الرجلين - يعني معاوية -: أي عمرو، إن قتلَ هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم»، يشير إلىٰ أن رجال العسكرين معظم من في الإقليمين، فإذا قُتلوا، ضاع أمر الناس، وفسد حال أهلهم بعدهم وذراريهم، والمراد بقوله: «ضيعتهم». الأطفال والضعفاء سُموا باسم ما يئول إليه أمرهم؛ لأنهم إذا تُركوا، ضاعوا؛ لعدم استقلالهم بأمر المعاش، وفي رواية الحميدي عن سفيان في هذه القصة «من لي بأمورهم، من لي بدمائهم، من لي بنسائهم»، وأما قوله هنا في جواب قول معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من لذراري المسلمين؟ فقال: أنا»، فظاهره يوهم أن المجيب بذلك هو عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم أر في طرق الخبر ما يدل علىٰ ذلك، فإن كانت محفوظة، فلعلها كانت «فقال: أنَّىٰ» - بتشديد النون المفتوحة - قالها عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ سبيل الاستبعاد».

والنص قد دلّ علىٰ أن اعتزال صفّين خير من القتال فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «وأما قتال الجمل وصفّين، فقد ذكر عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لم يكن معه نصٌّ من النبي ﷺ، وإنما كان رأيًا، وأكثر **الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **لم يوافقوه علىٰ هذا القتال، بل أكثر أكابر الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **لم يقاتلوا: لا مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء**».

(١) فتح الباري (١٣/ ٦٩).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٣٣٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ النَّص قد دلَّ علىٰ أنَّ ترك القتال فيها كان أفضل؛ لقوله ﷺ: «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**»، ومثل قوله لمحمد بن مسلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**هذا لا تضرُّه الفتنة**»، فاعتزل محمد بن مسلمة الفتنة، وهو من خيار الأنصار، فلم يُقاتل لا مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء.

وكذلك أكثر السابقين لم يقاتلوا، بل مثل: سعد بن أبي وقاص، ومثل: أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وعمران بن الحصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يكن في العسكرين بعد عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل من سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم يقاتل، وزيد بن ثابت، ولا أبو هريرة، ولا أبو بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا غيرهم من أعيان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقد قال النبي ﷺ لأُهْبان بن صيفي: «**خذ هذا السيف، فقاتل به المشركين، فإذا اقتتل المسلمون؛ فاكسره**». ففعل ذلك، ولم يقاتل في الفتنة».

وبعد أن اصطلح علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ندم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ قتاله في صفِّين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعسكره[٢]: «قاتلوا مع معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لظنهم أن عسكر عليّ فيه ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا علىٰ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأنهم يقاتلونهم؛ دفعًا لصيالهم عليهم، وقتال الصائل جائز؛ ولهذا لم يبدءوهم بالقتال حتىٰ بدأهم أولئك.

ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم ينصرون علينا؛ لأنَّا نحن بدأناهم بالقتال».

---

(١) جامع المسائل، المجموعة السادسة، ص(٢٦٧)، تحقيق: محمد عزير شمس.

(٢) منهاج السنة (٤/ ٣٨٣).

ولو قُدّر أن معاوية مخطيء بغير اجتهاد أو تأويل مع أن النص يدل علىٰ خلاف هذا، حيث قال النبي ﷺ: «**أولىٰ الطائفتين بالحق**»، فإن من خلط عملًا صالحًا، وآخر سيئًا، وهذا حال أكثر الخلق، فإن صحبة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ من الحسنات العظيمة فضلًا عن جهاده وإقامته للحدود التي ترجح بسيئاته إذا وزنت، كيف وقد شهد له الوحي بالمغفرة وأنه من أهل الجنة بعينه؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «الباغي قد يكون متأولًا معتقدًا أنه علىٰ حق، وقد يكون متعمدًا يعلم أنه باغٍ، وقد يكون بغيه مركبًا من شبهة وشهوة، وهو الغالب.

وعلىٰ كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة، فإنهم لا ينزّهون معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلًا عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد، بل يقولون: إن الذنوب لها أسباب تُدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة، وغير ذلك، وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم».

وشيوخ الرافضة أئمة جور، حكموا علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه بنصوص الوعيد فقط، وحكم الله في عباده المؤمنين ميزان توزن به حسناتهم وسيئاتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «إن الحسنة العظيمة يغفر الله بها السيئة العظيمة، والمؤمنون يؤمنون بالوعد والوعيد؛ لقوله ﷺ: «**من كان**

(١) منهاج السنة (٤/ ٣٨٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٦٨ - ٧١).

آخر كلامه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»، وأمثال ذلك، مع قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

ولهذا لا يُشهد لمعين بالجنة إلا بدليل خاص، ولا يُشهد علىٰ معين بالنار إلا بدليل خاص، ولا يشهد لهم بمجرد الظن من اندراجهم في العموم؛ لأنه قد يندرج في العمومين فيستحق الثواب والعقاب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، والعبد إذا اجتمع له سيئات وحسنات، فإنه وإن استحق العقاب علىٰ سيئاته، فإن الله يثيبه علىٰ حسناته، ولا يحبط حسنات المؤمن؛ لأجل ما صدر منه، وإنما يقول بحبوط الحسنات كلها بالكبيرة الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر، وأنهم لا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها، وأن صاحب الكبيرة لا يبقىٰ معه من الإيمان شيء، وهذه أقوال فاسدة، مخالفة للكتاب، والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة.

وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة، ولا القرابة، ولا السابقين، ولا غيرهم؛ بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالىٰ يغفر لهم بالتوبة، ويرفع بها درجاتهم، ويغفر لهم بحسنات ماحية، أو بغير ذلك من الأسباب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣- ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا

تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٥، ١٦].

ولكن الأنبياء صلوات الله عليهم هم الذين قال العلماء: إنهم معصومون من الإصرار علىٰ الذنوب. فأما الصديقون، والشهداء، والصالحون، فليسوا بمعصومين. وهذا في الذنوب المحققة، وأما ما اجتهدوا فيه: فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا، فأصابوا؛ فلهم أجران، وإذا اجتهدوا، وأخطئوا فلهم أجر علىٰ اجتهادهم، وخطؤهم مغفور لهم.

وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين: فتارة يغلون فيهم، ويقولون: إنهم معصومون. وتارة يجفون عنهم، ويقولون: إنهم باغون بالخطأ. وأهل العلم والإيمان لا يعصمون، ولا يؤثمون. ومن هذا الباب تولد كثير من فرق أهل البدع والضلال، فطائفة سبّت السلف ولعنتهم؛ لاعتقادهم أنهم فعلوا ذنوبًا، وأن من فعلها يستحق اللعنة، بل قد يفسقونهم؛ أو يكفرونهم، كما فعلت الخوارج الذين كفّروا عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن تولاهما، ولعنوهم، وسبوهم، واستحلوا قتالهم.

وهؤلاء هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**»، وقال ﷺ: «**تمرق مارقة علىٰ فرقة من المسلمين، فتقاتلها أولىٰ الطائفتين؛ لأجل الحق**»، وهؤلاء هم المارقة الذين مرقوا علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكفّروا كل من تولاه، وكان المؤمنون قد افترقوا فرقتين: فرقة مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وفرقة مع معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. فقاتل هؤلاء عليًّا وأصحابه، فوقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ، وكما ثبت عنه أيضًا في الصحيح أنه قال عن الحسن ابنه: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين**»، فأصلح الله به بين شيعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وشيعة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأثنىٰ النبي ﷺ علىٰ الحسن بهذا الصلح الذي كان علىٰ يديه، وسماه سيدًا بذلك؛ لأجل أن ما فعله الحسن يحبه الله ورسوله، ويرضاه الله ورسوله ﷺ. ولو كان الاقتتال الذي حصل بين المسلمين هو الذي أمر الله به ورسوله لم يكن الأمر كذلك، بل يكون الحسن قد ترك الواجب، أو الأحب إلىٰ الله.

وهذا النص الصحيح الصريح يبيّن أن ما فعله الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ محمود، مرضي لله ورسوله، وقد ثبت في «الصحيح»، أن النبي ﷺ كان يضعه علىٰ فخذه، ويضع أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويقول: **اللهم إني أحبهما، وأحب من يحبهما**. وهذا أيضًا مما ظهر فيه محبته ودعوته ﷺ، فإنهما كانا أشد الناس رغبة في الأمر الذي مدح النبي ﷺ به الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأشد الناس كراهة لما يخالفه.

وهذا مما يبيّن أن القتلىٰ من أهل صفّين لم يكونوا عند النبي ﷺ بمنزلة الخوارج المارقين، الذين أَمر بقتالهم، وهؤلاء مدح الصلح بينهم، ولم يأمر بقتالهم؛ ولهذا كانت الصحابة والأئمة متفقين علىٰ قتال الخوارج المارقين، وظهر من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ السرور بقتالهم، ومن روايته عن النبي ﷺ الأمر بقتالهم ما قد ظهر عنه، وأما قتال الصحابة فلم يرو عن النبي ﷺ فيه أثر، ولم يظهر فيه سرور، بل ظهر منه الكآبة، وتمنىٰ أن لا يقع، وشكر بعض الصحابة،

وبرّأ الفريقين من الكفر والنفاق، وأجاز الترحم علىٰ قتلىٰ الطائفتين، وأمثال ذلك من الأمور التي يُعرف بها اتفاق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة علىٰ أن كل واحدة من الطائفتين مؤمنة».

ونحن عندما نتحدث عن عصمة دم عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونقول بمقتضاه، وأنه لم يُقتل علىٰ جهة الحق، لا بد مع ذلك من تعظيم حرمة دماء سائر الصحابة والتابعين، وهذا المعنىٰ العظيم دلّ عليه قول النبي ﷺ في ثنائه علىٰ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وقد كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابناه وغيرهم يخالف بعضهم بعضا في العلم والفتيا، كما يخالف سائرُ أهل العلم بعضهم بعضًا، ولو كانوا معصومين، لكانت مخالفة المعصوم للمعصوم ممتنعةً، وقد كان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أمر القتال يخالف أباه، ويكره كثيرًا مما يفعله، ويرجع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر الأمر إلىٰ رأيه، وكان يقول:

لــــئن عجــــزت عجـــــزة لا أعتــــذر

ســــوف أكـــيس بعــــدها وأســـتمر

وأجـــــبر الـــــرأي النـــسيب المنتـــشر

وتبين له في آخر عمره أن لو فعل غير الذي كان فعله، لكان هو الأصوب».

وكذلك الحال بالنسبة للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه كان يريد من أخيه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعدم الدخول في الصلح - الذي امتدحه

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٢٥، ١٢٦).

النبي ﷺ -، فأنكر الحسن علىٰ أخيه رأيه هذا، وكاد أن يسجنه، لولا أن رأىٰ منه تسليمًا للصلح بعد ذلك.

والنبي ﷺ كما قال في عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**تقتله الفئة الباغية**»، قال في قاتل الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**في النار**».

قال زر: استأذن قاتل الزبير - عمير بن جرموز - علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ليدخلن قاتل ابن صفية النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل نبي حواريًّا، وحواري الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[1].

وقال أبو نضرة: جيء برأس الزُّبير إلىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تبوّأ يا أعرابي مقعدك من النار، حدثني رسول الله ﷺ أنَّ قاتل الزُّبير في النار[2].

وابن جرموز قاتل الزبير ندم وجاء إلىٰ أوليائه، وأسلم نفسه إليهم؛ ليقتصوا منه، فرأوا أنه ليس بكفء للزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووكلوه إلىٰ الله؛ فانتصر منه.

قال عبد الله بن عروة: إن عمير بن جرموز أتىٰ، حتىٰ وضع يده في يد مصعب، فسجنه، وكتب إلىٰ أخيه في أمره، فكتب إليه: أن بئس ما صنعت، أظننت أني قاتل أعرابيًّا بالزبير؟! خلِّ سبيله. فخلَّاه فلحق بقصرٍ بالسواد، عليه أَزَجٌ[3] ثم أمر إنسانًا أن يطرحه عليه، فطرحه عليه، فقتله، وكان قد كره الحياة، لما كان يُهوِّل عليه، ويرىٰ في منامه[4].

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٣٦٧)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٦١).

(٣) بيت يُبنىٰ طولًا.

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٤ - ٦٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «والذي عليه أكابر الصحابة والتابعين أن قتال الجمل وصفّين لم يكن من القتال المأمور به، وأن تركه أفضل من الدخول فيه، بل عدُّوه قتال فتنة، وعلىٰ هذا جمهور أهل الحديث وجمهور أئمة الفقهاء، فمذهب أبي حنيفة فيما ذكره القدوري أنه لا يجوز قتال البغاة إلا أن يبدءوا بالقتال، وأهل صفّين لم يبدءوا عليًّا بقتال.

وكذلك مذهب أعيان فقهاء المدينة والشام والبصرة، وأعيان فقهاء الحديث كمالك وأيوب والأَوْزاعي وأحمد وغيرهم، أنه لم يكن مأمورًا به، وأن تركه كان خيرًا من فعله، وهو قول جمهور أئمة السنة، كما دلت علىٰ ذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة في هذا الباب، بخلاف قتال الحرورية والخوارج وأهل النهروان؛ فإن قتال هؤلاء واجب بالسنة المستفيضة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وباتفاق الصحابة وعلماء السنة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «كان قتال عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج ثابتًا بالنصوص الصريحة، وبإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين، وأما قتال الجمل وصفِّين، فكان قتال فتنة، كرهه فضلاء الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر العلماء، كما دلت عليه النصوص، حتىٰ الذين حضروه كانوا كارهين له؛ فكان كارهه في الأمة أكثر وأفضل من حامده».

وخروج عائشة وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يوم الجمل فهمه لا بد أن ينظر فيه

---

(١) منهاج السنة (٨/ ٥٢٢ - ٥٢٣).

(٢) منهاج السنة (٥/ ١٥٣).

ببواعثه؛ فطلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أرادا المطالبة بدم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعائشة خرجت للإصلاح بين فئتي المسلمين، وهنا لا بد من التذكير بأن تناقض المواقف الذي أوجب استغراب المسلمين من إهدار دم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتعظيم حرمة دم الهرمزان المتهم بالنفاق والمحاربة لله ورسوله والتآمر علىٰ قتل عمر بن الخطاب، كل هذا دفع بكل محب لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للمطالبة بالقصاص من قتلته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «إن الهرمزان كان من الفرس الذين استنابهم كسرىٰ علىٰ قتال المسلمين، فأسره المسلمون، وقَدِموا به علىٰ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأظهر الإسلام، فمنَّ عليه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأعتقه».

وقال أيضًا[2]: «ولمّا قُتل عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان الذي قتله أبو لؤلؤة الكافر المجوسي مولىٰ المغيرة بن شعبة، وكان بينه وبين الهرمزان مجانسة، وذُكر لعبيد الله أنه رئي عند الهرمزان، حين قُتل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكان ممن اتُّهم بالمعاونة علىٰ قتل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

علىٰ كل حال، الحدود يقيمها ولي الأمر وهو عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، صحيح أن عبيد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قتل الهرمزان، وهذا افتيات علىٰ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لكن كيف يُعظّم دم الهرمزان، وتكون حرمته أعظم من حرمة دم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «افتيات عبيد الله بقتله، وللإمام

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٧٦ - ٢٧٧).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٧٧).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٢٨٤).

أن يعفو عمن افتات عليه».

وقال أيضًا متممًا[١]: «وعبيد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لحق معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

فبمعرفة هذه الأمور يظهر جليًّا أن حرمة دم عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أعظم عند الله بلا ريب من دم الهرمزان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ومن العجب أن دم الهرمزان المتهم بالنفاق والمحاربة لله ورسوله، والسعي في الأرض بالفساد، تُقام فيه القيامة، ودم عثمان يُجعل لا حرمة له وهو إمام المسلمين المشهود له بالجنة، الذي هو - وإخوانه - أفضل الخلق بعد النبيين!».

ومن دخل في الإسلام ظاهرًا بغرض إفساده والمضارة بالمسلمين لا بد أن يُظهر الله ما يكنّه صدره، كما أظهر الله ذلك من أبي لؤلؤة المجوسي والهرمزان، والرافضة تنتسب إلىٰ آل البيت ولا تأتم بهم فيما قالوه ممن أظهر الفساد، ممن يزعم الإسلام، كما فعل المجوس قتلة الصحابة وولاة المسلمين.

ولذلك قال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما قُتل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة. فقال: إن شئت أن نقتلهم.

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٨٥).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٨٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فهذا ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو أفقه من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير، يستأذن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قتل علوج الفرس مطلقًا الذين كانوا بالمدينة، لما اتهموهم بالفساد».

وخروج عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من المدينة يوم الجمل كان بقصد الإصلاح بين المسلمين، ثم رجعت إلىٰ المدينة، وندمت علىٰ خروجها، وكانت إذا ذكرت خروجها، تبكي حتىٰ تبل خمارها.

فالواجب علىٰ المسلم أن لا يذكر الصحابة إلا بالجميل، ويحمل أمور الصحابة وما جرىٰ بينهم علىٰ أحسن المحامل، وهو كذلك.

وهكذا نقول في خروج عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من المدينة - دار الخلافة - إلىٰ الكوفة، مع ما جاء في فضل سكنىٰ المدينة والموت بها، وهي دار خلافة النبوة، فخروجه منها إلىٰ الكوفة اجتهاد منه لا نحمله علىٰ أسوأ المحامل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فلو قال قائل: إن النبي ﷺ قال: «**إن المدينة تنفي خبثها وينصع طيبها**». وقال: «**لا يخرج أحد من المدينة؛ رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرًا منه**». أخرجه في «الموطأ» كما في «الصحيحين» عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ، قال: «**إنها طيْبة** - يعني المدينة - **وإنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد**». وفي لفظ: «**تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة**». وقال: إن عليًّا خرج عنها، ولم يقم بها كما أقام الخلفاء قبله،

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٧٨).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٣٢٠ - ٣٢١).

ولهذا لم تجتمع عليه الكلمة.

لكان الجواب: أن المجتهد إذا كان دون عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يتناوله الوعيد، فعليّ أولىٰ أن لا يتناوله الوعيد؛ لاجتهاده، وبهذا يجاب عن خروج عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا(١)، وإذا كان المجتهد مخطئًا، فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة».

فالقتال بين طلحة والزبير وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الجمل قتال فتنة، والفئتان مؤمنتان، غُلبوا علىٰ القتال، وكذلك القتال بين علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في صفين قتال فتنة، والفئتان مؤمنتان، والقتال بين المؤمنين لا يخرج من الملة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحُجُرات: ٩، ١٠]، فالآية أثبتت الإيمان مع وجود الاقتتال.

أما قتال الخوارج لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فمختلف تمامًا، فليس في الخوارج صحابي، وإنما هم حدثاء أسنان، سفهاء أحلام، متعالمون يكفرون بغير مكفّر، وقد ردّهم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في مناظرته لهم إلىٰ فقه الصحابة؛ وفهمهم للنصوص، فأبوا عليه ذلك إلا فريقًا منهم، حيث قال لهم: «أتيتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الذين نزل عليهم القرآن، وهم أعلم بتأويله».

---

(١) وقد حذّر النبي ﷺ عليًّا من الذهاب للعراق، وقال: «**إن يَخرج إليها يصبه ذباب السيف**»، وكذلك حذّر عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من الخروج إلىٰ العراق، وقال: «**أيتكن التي تخرج فتنبح عليها كلاب الحوأب**».

والخوارج لهم تأويل لا يقوله ذو عقل، فكفروا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقولهم: «حكّمت الرجال».

ولعلّ أبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفعه الله بالنص عن النبي ﷺ في صلح صفّين، مع ما استفاده من مشاورة السابقين الأولين، فإن أبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا وقعت الفتنة فاضربوا سيوفكم بالحجارة»، فقال له عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنشدك الله يا أبا موسىٰ، قال هذا رسول الله لك أنت خاصةً؟ قال: نعم»[١].

هذا حاصل ما قيل في تأويلات المقتتلين من عسكر علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا ريب أن النبي ﷺ أثنىٰ علىٰ الصلح بين الطائفتين، وأثبت الإيمان لهما، قال النبي ﷺ في الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٢].

وعقيدة أهل السنة والجماعة الترضي علىٰ الصحابة أجمعين، وذكرهم بالجميل، فمن عصم الله يده عمّا جرىٰ بين الصحابة، فليعصم لسانه من الثلب لهم.

قال الشيخ يحيىٰ بن أبي بكر العامري رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «وينبغي لكل صيِّنٍ متديِّنٍ مسامحة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيما صدر بينهم من التشاجر، والاعتذار عن مُخْطِئِهم، وطلب المخارج الحسنة لهم، وتسليم صحَّة إجماع ما أجمعوا عليه

(١) شرح ابن بطال علىٰ صحيح البخاري (١٠/ ٢٧).

(٢) رواه البخاري كتاب الصلح باب قول النبي ﷺ للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٤٤١- رقم٢٧٠٤).

(٣) الرياض المستطابة في من له رواية في الصحيحين من الصحابة، ص(٣١١)، بواسطة مجموع كتب ورسائل العلامة عبد المحسن العباد (٨/ ١١٠).

علىٰ ما علموه، فهم أعلم بالحال، والحاضر يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب، **وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب، وطريقة المنافقين تتبُّع المثالب، وإذا كان اللازمُ من طريقة الدين ستر عورات المسلمين، فكيف الظنُّ بصحابة خاتم النبيّين** مع اعتبار قوله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي**»؟! وقوله: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، هذه طريقة صلحاء السلف، وما سواها مهاوٍ وتلف».

وليعظم في نفسك - أيها المسلم - قدر الصحابة جميعًا، واحذر أن يكون الخوارج والرافضة والحركيون أعظم قدرًا في نفسك من السابقين الأولين؛ فيزيغ قلبك، وتفسد عقيدتك؛ فتحمل الضغينة لخيار عباد الله.

وهنا نُذكرك إن كنت ناسيًا أو جاهلًا أن صلح صفِّين الذي أمضاه أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أمضاه بمشورة خيار الصحابة، ولم يستبد برأيه، فالطعن في أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طعن في السابقين الأولين.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «اجتهاد أداه إلىٰ أن يجعل الأمر شورىٰ بين من بقي من أكابر الصحابة من أهل بدر ونحوهم، لمّا شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفّين، وآل الأمر إلىٰ ما آل إليه».

فلا يقبل طعون سيد قطب في صلح صفّين إلا من كان قدره في قلبه أعظم من قدر الصحابة، ولا يلتفت إلىٰ ذلك إلا من سفه نفسه.

ولا عبرة بما طعن به الرافضة والخوارج في أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ونسبوه بسببه إلىٰ الغفلة وعدم الفطنة، فأكابر الصحابة أعلم وأورع وأذكىٰ

---

(١) فتح الباري (٧/ ٦٦٠).

من الروافض والخوارج بلا ريب، ولو كان للروافض والخوارج ذكاء ودين وعقل وورع؛ لعصمهم من انتحال شر العقائد، ويكفي في فضل مشورة أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عصمة دماء المسلمين، وعجيب من نصب نفسه أحرص علىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من علي نفسه، فإنه في آخر أمره ندم علىٰ ما كان من القتال في صفين، فآخر أمره هو في حقيقته صلح التحكيم.

قال محمد بن الضحاك الحزامي، عن أبيه، قال: قام عليٌّ علىٰ منبر الكوفة، فقال حين اختلف الحكمان: لقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة، فعصيتموني. فقام إليه فتًىٰ آدم، فقال: إنك والله ما نهيتنا، بل أمرتنا وذمرتنا، فلما كان منها ما تكره، برَّأت نفسك، ونحلتنا ذنبك. فقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما أنت وهذا الكلام قبَّحك الله! والله لقد كانت الجماعة، فكنت فيها خاملًا، فلما ظهرت الفتنة نجمت فيها نجوم قرن الماعز. ثم التفت إلىٰ الناس فقال: لله منزلٌ نزله سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، والله لئن كان ذنبًا، إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنًا، إنه لعظيم مشكور[(١)].



(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١١٩ - ١٢٠).

بئست صفين

إي والله، بئست صفّين، وحسبك أن تعرف من شرها أنه تعطل الجهاد في سبيل الله، وانحسرت الفتوح، وجرىٰ السيف في أمة محمد ﷺ، وكان بأسها بينها شديدًا، وطمع فيها بسبب ذلك الروم، وحشدوا جنودهم لغزو ديار المسلمين.

قال سيف الضبي[1]: «أقام علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بصفين سبعة أشهر - أو قال: تسعة أشهر - وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين زحفًا، وقُتل في ثلاثة أيام من الأيام البيض - ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة - ثلاثة وسبعون ألفًا من الفريقين».

وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا ذُكر أهل صفين قال: «قوم أصابتهم فتنة، يغفر الله لنا ولهم»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن ابني هذا سيد، وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين**». فأصلح الله به بين أصحاب عليّ وأصحاب معاوية، فمدح النبي ﷺ الحسن

(١) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين، ص(٥٢ - ٥٣).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٥٠).

(٣) منهاج السنة (٤/ ٤٥٠).

بالإصلاح بينهما، وسماهما مؤمنين، وهذا يدل علىٰ أن الإصلاح بينهما هو المحمود، ولو كان القتال واجبًا أو مستحبًّا، لم يكن تركه محمودًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان قد بايعه أهل الكوفة، ولم يكن في وقته أحق منه بالخلافة، وهو خليفة راشد تجب طاعته، ومعلوم أن قتل القاتل إنما شُرع عصمة للدماء، فإذا أفضىٰ قتل الطائفة القليلة إلىٰ قتل أضعافها، لم يكن هذا طاعة ولا مصلحة، وقد قُتل بصفِّين أضعاف أضعاف قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

وينبغي أن يُعلم أن الصلح الذي حقن الله به دماء المسلمين بين فئتي علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا جاء عن مشورة أكابر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يمضه أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استبدادًا ولا هوًىٰ.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وساطة أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصلح[2]: «اجتهاد أداه إلىٰ أن يجعل الأمر شورىٰ بين من بقي من أكابر الصحابة من أهل بدر ونحوهم، لمّا شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفّين، وآل الأمر إلىٰ ما آل إليه».

ولا عبرة بما طعن عليه الرافضة والخوارج، ونسبوه إلىٰ الغفلة وعدم الفطنة، فأكابر الصحابة أعلم وأورع وأذكىٰ من الروافض والخوارج بلا ريب، ولو كان للروافض والخوارج ذكاء ودين وعقل وورع لعصمهم من

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤١٣).

(٢) فتح الباري (٧/ ٦٦٠).

انتحال شر العقائد، ويكفي في فضل مشورة أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عصمة دماء المسلمين.

وهكذا حكماء الصحابة مواقفهم حميدة مشكورة في إزالة أسباب الخلاف والفرقة والشحناء، والسعي في حقن دماء المسلمين.

ومن المحمود من تلك المقامات كمقام أبي موسىٰ الأشعري والبدريين من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في صفّين، والحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في صلحه مع معاوية، موقف أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في جمع كلمة علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ أمير واحد في موسم الحج، فإن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعث قُثَم بن العباس ليقيم للناس الحج، وبعث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يزيد بن شجرة، فتنازعا، فسعىٰ بينهما أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره، فاصطلحا علىٰ أن يُقيمَ الحجَّ شيبة بن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويُصلِّي بالناس[1].

وما أشبه موقف الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تطاوعه مع معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ودخوله في إمرته إلا بتطاوع أبي عبيدة بن الجراح مع عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سابقته معروفة، وهو أمين هذه الأمة، وكان أحب الناس إلىٰ النبي ﷺ بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأبو عبيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سيَّره أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الشام أميرًا، فكان فتح أكثر الشام علىٰ يده[2].

قال موسىٰ بن عقبة في «المغازي»: أمَّر النبي ﷺ عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ١٦٢).

(٢) الإصابة (٥/ ٥٠٩).

في غزوة ذات السلاسل وهي من مشارف الشام في بَلِيٍّ ونحوهم من قضاعة، فخشي عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبعث يستمد، فندب النبي ﷺ الناس من المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في آخرين، فلمَّا قدموا عليه، قال: أنا أميركم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمير المهاجرين. فقال عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما أنتم مددِي. فلمَّا رأىٰ ذلك أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان حسن الخُلُقِ، مُتَّبِعًا لأمر رسول الله ﷺ وعهده. فقال: تعلم يا عمرو أن رسول الله ﷺ قال لي: «**إن قدِمتَ علىٰ صاحبك فتطاوعا**». وإنك إن عصيتني أطعتك[1].

وقال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله ﷺ أمَّرك علينا، وإن ابن النابغة ليس لك معه أمر - يعني عمرو بن العاص -. فقال أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيعه؛ لقول رسول الله ﷺ[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «ومما يبيّن أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن يعلم المستقبل أنه ندم علىٰ أشياء مما فعلها، وكان يقول:

لقد عجزت عجزة لا أعتذر ... سوف أكيس بعدها وأستمر

وأجمع الرأي الشتيت المنتشر

(١) الإصابة (٥/ ٥١١).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «سند صحيح إلىٰ الشعبي»، الإصابة (٥/ ٥١١).

(٣) منهاج السنة (٨/ ١٤٥ - ١٤٦).

وكان يقول ليالي صفّين: يا حسن يا حسن، ما ظنّ أبوك أن الأمر يبلغ هذا، لله درّ مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إن كان برًّا؛ إن أجره لعظيم، وإن كان إثمًا؛ إن خطره ليسير. وهذا رواه المصنّفون، وتواتر عنه أنه كان يتضجر ويتململ من اختلاف رعيته عليه، وأنه ما كان يظن أن الأمر يبلغ ما بلغ.

وكان الحسن رأيه ترك القتال، وقد جاء النص الصحيح بتصويب الحسن، وفي «البخاري» عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إنّ ابني هذا سيد، وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». فمدح الحسن علىٰ الإصلاح بين الطائفتين.

وسائر الأحاديث الصحيحة تدلّ علىٰ أن القعود عن القتال والإمساك عن الفتنة كان أحب إلىٰ الله ورسوله ﷺ، وهذا قول أئمة السنة، وأكثر أئمة الإسلام، وهذا ظاهر في الاعتبار، فإن محبة الله ورسوله للعمل بظهور ثمرته، فما كان أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم كان أحب إلىٰ الله ورسوله ﷺ، وقد دل الواقع علىٰ أن رأي الحسن كان أنفع للمسلمين؛ لما ظهر من العاقبة في هذا وفي هذا».

تعطل الغزو بالسيف في سبيل الله بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجرىٰ السيف في أمة محمد ﷺ، وكان بأسهم بينهم شديد، حتىٰ اجتمع المسلمون علىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقام الجهاد في سبيل الله، وغزا القسطنطينية، وأعز الله به الإسلام، ودخل أهل الأمصار في دين الله أفواجًا.

وأي نعمة ومصلحة للإسلام والمسلمين أعظم من أن تُحقن دماء المسلمين،

ويكون الناس جماعة، ويفتحون الأمصار، ويدخل الناس في رحمة الإسلام، وتعتق رقابهم من النار.

قال سعيد بن عبد العزيز: لما قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ووقع الاختلاف، لم يكن للناس غزو، حتىٰ اجتمعوا علىٰ معاوية، فأغزاهم مرات، ثم أغزىٰ ابنه في جماعة من الصحابة برًّا وبحرًا، حتىٰ أجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية علىٰ بابها، ثم قَفَلَ[(١)].

وفي السنة الثانية والأربعين من الهجرة في عهد معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غزا المسلمون اللَّان - طرف أرمينية - والروم، وغنموا، وسلموا[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «كان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مقيمًا علىٰ سياسة رعيته، وعليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مقيمًا علىٰ سياسة رعيته، لم يكن في ذلك من الشر أعظم مما حصل بالاقتتال، فإنه بالاقتتال لم تزل هذه الفرقة، ولم يجتمعوا علىٰ إمام، بل سُفكت الدماء، وقويت العداوة والبغضاء، وضعفت الطائفة التي كانت أقرب إلىٰ الحق، وهي طائفة عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصاروا يطلبون من الطائفة الأخرىٰ من المسالمة ما كانت تلك تطلبه ابتداءً.

ومعلوم أن الفعل الذي تكون مصلحته راجحة علىٰ مفسدته يحصل به من الخير أعظم مما يحصل بعدمه، وهنا لم يحصل بالاقتتال مصلحة، بل كان الأمر مع عدم القتال خيرًا وأصلح منه بعد القتال، وكان عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٠).
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٥٤).
(٣) منهاج السنة (٤/ ٤٦٢ - ٤٦٣).

وعسكره أكثر وأقوىٰ، ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأصحابه أقرب إلىٰ موافقته، ومسالمته، ومصالحته».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأين إيثار بعض الناس بولاية أو مال من كون الأمة يسفك بعضها دماء بعض، وتشتغل بذلك عن مصلحة دينها ودنياها، حتىٰ يطمع الكفار في بلاد المسلمين؟! وأين اجتماع المسلمين، وفتح بلاد الأعداء من الفرقة والفتنة بين المسلمين، وعجزهم عن الأعداء، حتىٰ يأخذوا بعض بلادهم أو بعض أموالهم قهرًا أو صلحًا؟!».

ومما يدل علىٰ أن اعتزال صفّين خير من القتال فيها هو أن الصحابة الذين رووا الأحاديث في التحذير من الفتنة اعتزلوا صفّين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وأبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أسلم عام خيبر، فلم يصحب النبي ﷺ إلا أقل من أربع سنين، وذلك الجراب لم يكن فيه شيء من علم الدين: علم الإيمان، والأمر والنهي، وإنما كان فيه الإخبار عن الأمور المستقبلة، مثل: الفتن التي جرت بين المسلمين: فتنة الجمل، وصفِّين، وفتنة ابن الزبير، ومقتل الحسين، ونحو ذلك؛ ولهذا لم يكن أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ممن دخل في الفتن.

ولهذا قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لو حدَّثكم أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنكم تقتلون خليفتكم، وتفعلون كذا وكذا، لقلتم: كذب أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

والفتن حالها معلوم يُرقّق بعضها بعضًا، فكان قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سببًا فيما

(١) منهاج السنة (٦/ ١٥٧).

(٢) منهاج السنة (٨/ ١٣٨).

جرىٰ من فتنة الجمل وصفين، فمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طالب بدم عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه وليه، فهو ابن عمه، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يعن علىٰ قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم يستطع القصاص من قتلته، لا كراهية لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولا رضا بذلك، ولكن خشي من الفتنة؛ لأن قتلته كانوا في عسكره، وكانت لهم شوكة.

ومما يبيّن أن القتال في صفّين قتال فتنة هو أنه لمّا تمكّن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وآلت الخلافة إليه، لم يستطع أن يقتص من قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهو - معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - لم يفعل ذلك لما تولَّىٰ، ولم يقتل قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذلك أن الفتن إنما يُعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت، فأما إذا أقبلت، فإنها تُزَيّن، ويُظن أن فيها خيرًا، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر، والمرارة، والبلاء، صار ذلك مبينًا لهم مضرتها، وواعظًا لهم أن يعودوا في مثلها كما أنشد بعضهم:

الحرب أول ما تكون فَتِيَّة ... تسعىٰ بزينتها لكل جهول

حتىٰ إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها ... ولت عجوزًا غير ذات حليل

شمطاء يُنكر لونها وتغيّرت ... مكروهة للشم والتقبيل

والذين دخلوا في الفتنة من الطائفتين لم يعرفوا ما في القتال من الشر، ولا عرفوا مرارة الفتنة حتىٰ وقعت، وصارت عبرة لهم ولغيرهم.

ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبيّن له أنه ما دخل فيها أحد، فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه؛ ولهذا كانت

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٠٩).

من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به الذي قال الله فيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]».

وقتل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان سببه أنه كان يسب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وينال منه، وهذا أدىٰ إلىٰ قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بسبب الشحناء والغيظ الذي امتلأت به قلوب الغوغاء الأوباش، وإن كان عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقصد ذلك، لكن وقع ذلك من آثار السب لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عبد الله بن عُكَيم الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «لا أعين علىٰ دم خليفة أبدًا بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقيل له: يا أبا معبد، أوأعنت عليه؟ قال: كنت أعُدُّ ذكر مساويه عونًا علىٰ دمه».

فمن قتل عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما قتله؛ لأنه كان يسب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو الغادية: سمعت عمارًا يقع في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يشتمه، فتوعدته بالقتل، فلما كان يوم صفين، جعل عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمل علىٰ الناس، فقيل: هذا عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فطعنته في ركبته؛ فوقع، فقتلته[2].



(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢٥).

السكوت عما جرى بين الصحابة، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه

شأن المؤمن الاستغفار والترضي لجميع الصحابة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]. وفي حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال النبي ﷺ: «**وإذا ذُكر أصحابي، فأمسكوا**»[١].

فسلامة الصدور علىٰ الصحابة من أجل أعمال القلوب الصالحة، فالكف والإعراض عما شجر بين الصحابة هو الموجب لذلك، قال الإمام أحمد فيما شجر بين علي ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا[٢]: «لا أتكلم في هذا، السكوت عنه أسلم».

وقد قال قبله عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ: «تلك فتنة عصم الله منها سيوفنا، فلنعصم منها ألسنتنا».

وقال شهاب بن خراش رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة، وهم يقولون: اذكروا مجلس أصحاب رسول الله ﷺ ما تأتلف عليه

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٩٦ - رقم ١٤٢٧)، و(١٠/ ٢٤٣ - رقم ١٠٤٤٨)، وحسنه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٣٦)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٢- رقم ٣٤).

(٢) فتح الباري لابن رجب (٣/ ٣١١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٥).

القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم؛ فتحرِّشوا عليهم الناس».

قال محمود بن الورقاء: كنت أتشيع وأكثر ذكر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما كان بينه وبين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرأيت فيما يرىٰ النائم كأني دخلت دارًا، فإذا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها جالس وعليه جبة سلقىٰ، وعليه منديل قد أرخىٰ طرفيه علىٰ منكبيه، فلما بصر بي، رفع رأسه إليّ، وقال: هل تقرأ كتاب الله؟ قلت: بلىٰ. قال: اقرأ هذه الآية: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ: ٢٥][(١)].

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «وينبغي أن يُمدح جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا يتعرض بتخطئة أحد منهم، فقلَّ أن يرجع ذو هوًىٰ عن عصبيته، وإن كان عاميًّا، فما يستفيد مُكلِّم الناس بما قد رسخ في قلوبهم غيرُه، إلا البغض والوقيعة فيه، فإن سأله ذو هوًىٰ تلطّف في الأمر، وأشار له إلىٰ الصواب».

قال أبو عثمان الحسيري: سمعت أبو حفص عمر الزاهد النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لو أن رجلًا ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله، وخرج من الدنيا سليم القلب لأصحاب رسول الله ﷺ؛ غفر الله له.

قال: فقيل لأبي حفص: هل لهذا في القرآن دليل؟ قال: بلىٰ، قوله: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فاتباعه محبة أصحابه؛ لأجله.

قال أبو سعيد: قال أبي: إني كنت بفارس، فسُئلت عن هذه الحكاية،

---

(١) منازل الأئمة الأربعة، ص(١٤٢ - ١٤٣).

(٢) الآداب الشرعية (١/ ٥٣٩).

فأعدتُ عليهم بين الإملاء، والقراءة، والإعادة، ألف مرة في اليوم الواحد[(١)].

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلىٰ أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان، الذين مدحهم الله تعالىٰ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، مع ما أمر به النبي ﷺ بإكرام أصحابه، وأوصىٰ بحقهم وصيانتهم وإجلالهم».

وقال ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنه كما يجب الإغضاء عن زلات الوالدين، يجب الإغضاء عن زلات القرون الثلاثة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، وإذا شبهناهم بالوالدين، يجب توقيرهم واحترامهم كما في الوالدين».

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الصحابة**[(٤)]: «ونُحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرط في حب أحد منهم، ونُبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير.

وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

---

(١) الفوائد والأخبار والحكايات لأبي علي الهمذاني، ص(١٤٦)، رقم (٤٤).

(٢) الإمامة، ص(٣٧٣).

(٣) الآداب الشرعية (١/ ٤٣٧).

(٤) العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٨٩).

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «وما جرىٰ بين عليّ وبين معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقال السلف: من السنة السكوت عمّا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا ذُكر أصحابي، فأمسكوا**»، ومعلوم أنه لا يأمرنا بالإمساك في ذكر محاسنهم، وإنما أمرنا بالإمساك عن ذمّهم.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ وسئل عن أمر الحرب التي جرت بينهم، فقال: دماء كفىٰ الله يدي فيها، فلا أحبّ أن أغمس لساني فيها، وأرجو أن يكونوا ممّن قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ فيما شجر بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من خلاف وشقاق[(٢)]: «إني لست من حربهم في شيء»، قال شيخ الإسلام شارحًا العبارة: «يعني: أن ما تنازع فيه علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإخوانه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لا أدخل بينهم فيه، لما بينهم من الاجتهاد والتأويل الذي هم أعلم به مني، وليس ذلك من مسائل العلم التي تعنيني حتىٰ أعرف حقيقة حال كل واحد منهم، وأنا مأمور بالاستغفار لهم وأن يكون قلبي لهم سليمًا، ومأمور بمحبتهم وموالاتهم، ولهم من السوابق والفضائل ما لا يهدر».

وقال العلامة أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٣٨٥ هـ)**[(٣)]:

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٢٦ - ٥٢٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٤٠).

(٣) الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة، ص(٢٥١ - ٢٥٢).

«إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أخيار أبرار، وإني أدين الله بمحبتهم كلهم، وأبرأ ممن سبّهم أو لعنهم أو ضلّلهم أو خوّنهم أو كفّرهم».

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)]: «أمروا بالاستغفار لهم، فسبوهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عمّا شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع منهم ما يكون لهم فيه عذر يخفىٰ علىٰ الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورًا؛ فالخوض فيما شجر يُوقع في نفوس كثير من الناس بغضًا وذمًّا، ويكون هو في ذلك مخطئا بل عاصيًا؛ فيضرّ نفسه ومن خاض معه في ذلك، كما جرىٰ لأكثر من تكلّم في ذلك، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله، إما من ذم من لا يستحق الذم، وإما من مدح أمور لا تستحق المدح، ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف».

قال أبو بكر المروذي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسكر، وقد جاء بعض رسل الخليفة وهو يعقوب، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

فقال أبو عبد الله: ما أقول فيهما إلا الحسنىٰ رحمهم الله أجمعين[(٣)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب: التفسير، باب: في تفسير آيات متفرقة (١٣٠٧ - رقم ٧٥٣٩).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٤٩).

(٣) السنة للخلال (١/ ٤٦٠ - رقم ٧١٣).

وقال أحمد بن الحسن الترمذي: سألت أبا عبد الله، قلت: ما تقول فيما كان من أمر طلحة والزبير وعلي وعائشة - وأظن ذكر معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

فقال: من أنا أقول في أصحاب رسول الله ﷺ؟! كان بينهم شيء، الله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «اتفق أهل السنة علىٰ وجوب منع الطعن علىٰ أحد من الصحابة؛ بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عُرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالىٰ عن المخطيء في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين».

وقال الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني (ت: ٢٨٠ هـ) مقررًا إجماع السلف في العقيدة[2]: «ومن السنة الواضحة البيّنة الثابتة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلِّهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحدًا منهم، أو تنقصه، أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم، أو عاب أحدًا منهم بقليل أو كثير، أو دق أو جل مما يتطرق به إلىٰ الوقيعة في أحد منهم؛ فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا قبل الله صرفه ولا عدله، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة».

وقال أيضًا[3]: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٧).

(٢) إجماع السلف في الاعتقاد ص(٧٠).

(٣) إجماع السلف في الاعتقاد، ص(٧١).

علىٰ أحد منهم بعيب، ولا بنقص، ولا وقيعة، فمن فعل ذلك فالواجب علىٰ السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه، ثم يستتيبه، فإن تاب؛ قبل منه، وإن لم يتب؛ أعاد عليه العقوبة ثم خلده في الحبس، حتىٰ يتوب ويراجع، فهذه السنة في أصحاب محمد ﷺ».



الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ غُلبوا على القتال

أهل الشر تمالئوا علىٰ قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واستتبع ذلك القتال بين علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأما معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مظلومًا شهيدًا، وكان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد أمر الناس بأن لا يقاتلوا معه، وكَرِهَ أن يُقتل أحدٌ من المسلمين بسببه، وكان النبي ﷺ قد بشَّره بالجنَّة علىٰ بلوًىٰ تصيبه، فأحبَّ أن يلقىٰ الله سالمًا من دماء المسلمين، وأن يكون مظلومًا لا ظالمًا، كخير ابني آدم الذي قال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بريء من دمه لم يقتله، ولم يُعِنْ عليه، ولم يَرضَ، بل كان يحلف وهو الصادق المصدوق: إني ما قتلت عثمان، ولا أعنت علىٰ قتله، ولا رضيت بقتله. ولكن لَمَّا قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان عامة المسلمين يحبون عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لحلمه وكرمه وحسن سيرته، وكان أهل الشام أعظم محبةً له، فصارت شيعة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أهل الشام، وكثُر القيل والقال كما جرت العادة بمثل ذلك من الفتن، فشهد قوم بالزُّور علىٰ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه أعان علىٰ دم عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكان هذا مما أوغر قلوب شيعة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلم يبايعوه، وآخرون يقولون: إنه خذله، وترك ما يجب

(١) جامع المسائل، المجموعة السادسة، ص(٢٦٢ - ٢٦٤).

من نصره، وقوّىٰ هذا أنَّ القتلة تحيَّزت إلىٰ عسكر علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان علي وطلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قد اتفقوا في الباطن علىٰ إمساك قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فسعوا بذلك، فأقاموا الفتنة عام الجمل، حتىٰ اقتتلوا من غير أن يكون عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أراد القتال ولا طلحة ولا الزبير، بل كان المحرِّكُ للقتال الذين أقاموا الفتنة علىٰ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فلمَّا طلب عليٌّ من معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ورعيَّته أن يبايعوه؛ امتنعوا عن بيعته، ولم يبايعوا معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولا قال أحد قط: إن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثلُ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. أو: إنّه أحق من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالبيعة. بل الناس كانوا متفقين علىٰ أن عليًّا أفضل وأحقُّ، ولكن طلبوا من عليٍّ أن يقيم الحدَّ علىٰ قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان عليٌّ غير متمكن من ذلك؛ لتفرُّق الكلمة، وانتشار الرعيَّة، وقوة المعركة لأولئك، فامتنع هؤلاء عن بيعته، إمّا لاعتقادهم أنه عاجز عن أخذ حقهم، وإما لتوهُّمهم محاباة أولئك، فقاتلهم عليٌّ؛ لامتناعهم من بيعته، لا لأجل تأمير معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علىٰ ما وقع منهم من خلاف، بل وقتال كل واحد منهم يعرف للآخر فضل صحبته وسابقته وجهاده وتقواه.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ: «لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأوّلين الذين أخبر تعالىٰ أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن مُحبُّون لهم، باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة».

قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أدركت خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يقول: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الجنة».

وفي زمن الفتن يُغلق علىٰ العقول أو ترتفع؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، قال أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن بين يدي الساعة الهرج**»، قيل: وما الهرج؟ قال: «**القتل**».

فقيل لأبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أكثر مما نقتلُ من المشركين؟ إنا لنقتل فارسًا والروم. قال: إنه والله ما هو بقتلكم فارس والروم، ولكنَّه قتلٌ يكون بين هذه الأمة، يقتل الرجل أخاه، ويقتلُ ابن عمِّه، ويقتل جاره. قال: فأُبلسنا حتىٰ ما أحدٌ مِنَّا يُبدي عن واضحة، وجعل بعضنا ينظر إلىٰ وجه بعض، وعلمنا أنَّ صاحبنا لم يكذبنا، قلنا: كيف نقتتل ونحن إخوان؟!

ولقد قال هذا يوم قاله، وإن أحدنا ليغيب عنه أخوه ليلةً، فإذا لقيه، لولا الحياء من الناس؛ لَلَثَمَهُ لما يجدُ له.

قال: قلنا: يا أبا موسىٰ، واحدة نسألك عنها: وعقولنا يومئذ معنا؟ قال: لا والله، تُنزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلفُ له هَباءٌ من الناس، يحسب أكثرهم أنَّهم علىٰ شيء وليسوا علىٰ شيء، وايم الله، لقد خشيت أن يدركني وإياكم، وايم الله لئن أدركني وإيَّاكم لا أجدُ لي ولكم منها مخرجًا فيما عهد إلينا نبينا ﷺ، إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها[٢].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٤٩٣).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٩٢) والحاكم (٤/ ٤٥١) وسكت عنه الحاكم، وقال الحافظ الذهبي في

صحيح **أن النبي ﷺ قال: «عمار تقتله الفئة الباغية»**، لكن فقه قتال الفئة الباغية يدل على أنها لا تُبدأ بالقتال، وإنما تُقاتل إذا قاتلت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعسكره أولى من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعسكره، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**تمرقُ مارقةٌ على حين فُرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»، فهذا نصٌّ صريح أن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأتباعه أولى بالحق من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأصحابه، وفي «صحيح مسلم» وغيره أنه قال: «**يقتلُ عمارًا الفئة الباغية**».

لكن الفئة الباغية هل يجب قتالها ابتداءً قبل أن تبدأ الإمام بالقتال، أم لا تُقاتل حتى تبدأ بالقتال؟

هذا مما تنازع فيه العلماء، وأكثرهم على القول الثاني، فلهذا كان مذهب أكابر الصحابة والتابعين والعلماء أن ترك عليٍّ للقتال كان أكمل وأفضل وأتم في سياسة الدين والدنيا.

ولكن عليٌّ إمام هدًى من الخلفاء الراشدين، كما قال النبي ﷺ: «**تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكًا**»، رواه أهل السنن، واحتجَّ به أحمد وغيره على خلافة عليّ والردّ على من طعن فيها، وقال أحمد: من لم يُرَبِّعْ بعليٍّ في خلافته، فهو أضلُّ من حمار أهله.

والقرآن لم يأمر بقتال البغاة ابتداءً، بل قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ

=

تلخيص المستدرك (١/ ٤٥١): «قلت: أبان، قال أحمد: تركوا حديثه».

(١) جامع المسائل، المجموعة السادسة، ص(٢٦٤ - ٢٦٥).

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات: ٩، ١٠].

وما حرَّمه الله تعالىٰ من البغي والقتل وغير ذلك إذا فعله الرجل متأوِّلًا مجتهدًا معتقدًا أنه ليس بحرام؛ لم يكن بذلك كافرًا ولا فاسقًا، بل ولا قَوَدَ في ذلك، ولا دية، ولا كفارة، كما قال الزهري رَحِمَهُٱللَّهُ: «وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أن كلَّ دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر»».

والذي جعل كل فئة تستروح إلىٰ ما هي عليه، وتعتقد أنها علىٰ الحق الأدلة التي تمسك بها كل طائفة، فطائفة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ استروحوا إلىٰ قول النبي ﷺ في أهل الشام: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله، وهم في الشام**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ **في معاوية** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]: «ولّاه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولا يتهم لا في دينه ولا في سياسته، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**».

قالوا: ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كانت رعيته تحبه وهو يحبهم، ويصلّون عليه وهو يصلّي عليهم، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال**

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٦٠ - ٤٦٢).

طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم». قال مالك بن يخامر: سمعت معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «وهم بالشام»، قالوا: «وهؤلاء كانوا عسكر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وفي «صحيح مسلم» **عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين، حتىٰ تقوم الساعة»**، قال أحمد بن حنبل: أهل الغرب هم أهل الشام، وقد بسطنا هذا في موضع آخر، والنص يتناول عسكر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يقاتل علي أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه يرون أن يبتدوا عليًّا وأصحابه بالقتال، ولا يعلوا.

بل لما رأىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه أنه يجب عليهم طاعته ومبايعته، إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد، وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة، رأىٰ أن يقاتلهم حتىٰ يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة.

وهم قالوا: إن ذلك لا يجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا علىٰ ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهم غالبون، لهم شوكة، فإذا امتنعنا ظلمونا واعتدوا

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٢ - ٧٣).

علينا، وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا يمكنه دفعهم، كما لم يمكنه الدفع عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإنما علينا أن نبايع خليفة يقدر علىٰ أن ينصفنا، ويبذل لنا الإنصاف.

وكان في جهال الفريقين من يظن بعلي وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ظنونًا كاذبة، برأ الله منها عليًّا وعثمان، كان يظن بعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه أمر بقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يحلف وهو البار الصادق بلا يمين أنه لم يقتله ولا رضي بقتله، ولم يمالىء علىٰ قتله، وهذا معلوم بلا ريب من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكان أناس من محبي علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه، فمحبوه يقصدون بذلك الطعن علىٰ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأنه كان يستحق القتل، وأن عليًّا أمر بقتله، ومبغضوه يقصدون بذلك الطعن علىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأنه أعان علىٰ قتل الخليفة المظلوم الشهيد، الذي صبر نفسه ولم يدفع عنها، ولم يسفك دم مسلم في الدفع عنه، فكيف في طلب طاعته؟! وأمثال هذه الأمور التي يتسبب بها الزائغون علىٰ المتشيعين العثمانية والعلوية».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «أكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليًّا ولا معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وكان عليّ ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين، لكن غُلبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها، وكان في العسكرين مثل: الأشتر النخعي، وهاشم بن عتبة المرقال، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبي الأعور السلمي، ونحوهم من المحرضين علىٰ القتال، قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار، وقوم ينفّرون عنه، وقوم ينتصرون لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقوم ينفّرون عنه».

(١) منهاج السنة (٤/ ٤٦٧ - ٤٦٨).

وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نفسه كره القتال في معركة الجمل، قال قيس بن عباد: قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل[١]: «وددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة».

وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **لابنه الحسن** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **يوم الجمل**: يا حسن، ليت أباك مات من عشرين سنة. فقال له الحسن: يا أبت، قد كنت أنهاك عن هذا. قال: يا بُني، لم أر الأمر يبلغ هذا[٢].

وعائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ خرجت يوم الجمل تريد الإصلاح بين فئة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفئة طلحة والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فوقع ما جرىٰ به القدر مما لم يخطر لها علىٰ بال، فإنها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما بلغتْ مياه بني عامر ليلًا، نبحت الكلاب، فقالت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوْأَب. قالت: ما أظُنُّني إلا أنني راجعة. قال بعض من كان معها: بل تقدمين؛ فيراك المسلمون، فيُصلح الله ذات بينهم. قالت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: إنَّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم: **كيف بإحْداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**. رواه أحمد[٣]. وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «هذا حديث صحيح الإسناد».

فعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا غُلبت علىٰ إكمال سيرها، وإلا فإنها اعتصمت بقول النبي ﷺ، فلا يزال بها من كان غرضه إصلاح ذات بين فئة علي، وفئة طلحة والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، حتىٰ جرىٰ ما قدّره الله.

(١) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٥٦٦) بإسناد صحيح.

(٢) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٥٨٩) بإسناد صحيح.

(٣) رواه أحمد (٦/ ٥٢)، (٦/ ٩٧)، وصححه ابن حبان.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٨).

وقد تكلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في حكمة هذا القضاء الكوني، قال عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١]: «إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله ابتلاكم بها؛ لتتبعوه، أو إياها».

ومن فضائل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا رجوعها للحق لمّا ذُكّرت به، وهذا دليل تقواها وإيمانها، قال عبد الرحمن بن أبزىٰ: انتهىٰ عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يوم الجمل وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنين! أتعلمين أني أتيتك عندما قُتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقلت: ما تأمريني؟ فقلت: الزم عليًّا. فسكتت، فقال: اعقروا الجمل. فعقروه، فنزلت أنا وأخوها محمد، فاحتملنا هودجها، فوضعناه بين يدي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأمر بها؛ فأدخلت بيتًا[٢].

إي والله، إن الصحابة غُلبوا علىٰ القتال، وهذا ما قاله أهل الورع والعلم والعبادة فيهم، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟

قال: رأيت رجلًا قد استولىٰ عليك، وظننت أنك لن تخالفيه - يعني: ابن الزبير -»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وأما الحرب التي كانت بين

(١) رواه البخاري كتاب الفتن باب (ص١٢٢٤ - رقم ٧١٠١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة وجوّد إسناده الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح (١٣/ ٦٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١١).

(٤) منهاج السنة (٦/ ٣٣٩).

طلحة والزبير وبين عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فكان كل منهما يقاتل عن نفسه؛ ظانًّا أنه يدفع صول غيره عليه، لم يكن لعليٍّ غرض في قتالهم، ولا لهم غرض في قتاله، بل كانوا قبل قدوم عليّ يطلبون قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان للقتلة من قبائلهم من يدفع عنهم، فلم يتمكنوا منهم، فلما قدم عليّ، وعرَّفوه مقصودهم، عَرّفهم أن هذا أيضًا رأيه، لكن لا يتمكن حتىٰ ينتظم الأمر، فلما علم بعض القتلة ذلك حمل علىٰ أحد العسكرين، فظن الآخرون أنهم بدءوا بالقتال، **فوقع القتال بقصد أهل الفتنة، لا بقصد السابقين الأولين**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ندمت علىٰ مسيرها إلىٰ البصرة، وكانت إذا ذكرته تبكي، حتىٰ تبل خمارها، وكذلك طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ندم علىٰ ما ظن من تفريطه في نصر عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعلىٰ غير ذلك، والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ندم علىٰ مسيره يوم الجمل، وعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ندم علىٰ أمور فعلها من القتال وغيره، وكان يقول:

لقد عجزت عجزة لا أعتذر ... سوف أكيس بعدها وأستمر

وأجمع الرأي الشتيت المنتشر

وكان يقول ليالي صفين: «لله درّ مقام قامه عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وسعد بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إن كان برًّا؛ إن أجره لعظيم، وإن كان إثمًا؛ إن خطره ليسير».

وكان يقول: «يا حسن يا حسن، ما ظَنَّ أبوك أن الأمر يبلغ إلىٰ هذا، ودّ

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٠٩).

أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة».

ولما رجع من صفّين، تغيّر كلامه، وكان يقول: «لا تكرهوا إمارة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلو قد فقدتموه؛ لرأيتم الرءوس تتطاير عن كواهلها».

وقد روي هذا عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من وجهين أو ثلاثة، وتواترت الآثار بكراهته الأحوال في آخر الأمر، ورؤيته اختلاف الناس وتفرّقهم، وكثرة الشر الذي أوجب أنه لو استقبل من أمره، ما استدبر ما فعل ما فعل».

ومما يدل علىٰ أن الصحابة غُلبوا علىٰ القتال أنهم لمّا ذُكروا، انتهوا، كما حصل للزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوم الجمل، قال يزيد بن أبي زياد: عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، قال: انصرف الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوم الجمل عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلقيه ابنه عبد الله، فقال: جُبْنًا، جُبْنًا. قال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكَّرني عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ، فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:

تركُ الأمورِ التي أخشىٰ عواقبها ... في الله أحسن في الدنيا وفي الدِّين[1]

فالصحابة غُلبوا علىٰ القتال يوم الجمل، وكلهم تحقق أن ما وقع شر وفتنة قد جرىٰ به القلم، قال الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لمّا رأىٰ يوم الجمل ما رأىٰ، قال: ما علمت أن هذه الآية نزلت فينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حتىٰ كان هذا اليوم: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥][2].

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٠).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٥٨).

قال رجاء بن ربيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت جالسًا بالمدينة في مسجد الرسول ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد وعبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إذا مر الحسن فسلّم، فَرَدَّ عليه القوم وسكتَ عبد الله بن عمرو، ثم أتبعه فقال: وعليك السلام ورحمة الله. ثم قال: هذا أحبُّ أهل الأرض إلىٰ أهل السماء، والله ما كلمته منذ ليالي صِفِّين. فقال أبو سعيد: ألا تنطلق إليه فتعتذر إليه؟ قال: نعم.

فقام، فدخل أبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فاستأذن، فأذن له، ثم استأذن لعبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فدخل، فقال أبو سعيد لعبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: حدِّثنا بالذي حدّثتنا به حيث مَرّ الحسن. فقال: نعم، أُحدِّثكم: إنه أحب أهل الأرض إلىٰ أهل السماء.

قال: فقال له الحسن: إذا علمت أني أَحَبُّ أهل الأرض إلىٰ أهل السماء فلم قاتلتنا – أو كثَّرت – يوم صِفّين؟

فقال: أما إني والله ما كثَّرت سوادًا، ولا ضربتُ معهم بسيف، ولكني حضرتُ مع أبي. أو كلمةً نحوها.

قال: أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله؟

قال: بلىٰ، ولكني كنت أسرد الصَّوْمَ علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فشكاني أبي إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن عبد الله بن عمرو يصوم النهار ويقوم الليل. قال: «**صُمْ وأفطر، وصَلِّ ونَمْ، فإني أنا أُصلِّي وأنام، وأصوم وأفطر**». قال لي: يا عبد الله، «**أطع أباك**». فخرج يوم صفّين وخرجت معه[1].

(١) رواه البزار، قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناد رجاله رجال الصحيح، غير هشام بن البريد، وهو =

وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال النبي** ﷺ **في أبيه: «أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص»**[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وكان قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ إمرة أذربيجان، تحت يده أربعون ألف مُقاتل قد بايعوا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ الموت، فلمَّا مات عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **أَلَحَّ قيس بن سعد علىٰ الحسن في النَّفير؛ لقتال أهل الشام، فعزل قيسًا عن إمرة أذربيجان، وولَّىٰ عبيد الله بن عباس عليها، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحدًا، ولكن غلبوه علىٰ رأيه،** فاجتمعوا اجتماعًا عظيمًا لم يسمع بمثله، فأمَّر الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قيس بن سعد بن عبادة علىٰ المقدمة في اثني عشر ألفًا بين يديه، وسار هو بالجيوش في إثره قاصدًا بلاد الشام؛ ليقاتل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأهل الشام، فلما اجتاز المدائن نزلها، وقدَّم المُقَدِّمة بين يديه، فبينما هو في المدائن معسكرٌ بظاهرها، إذ صرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قد قُتل. فثار الناس فانتهب بعضهم بعضًا، حتىٰ انتهبوا سُرادق الحسن، حتىٰ نازعوه بساطًا كان جالسًا عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة، أَشْوَتْه، فكرههم الحسن كراهية شديدة، ثم ركب فدخل القصر الأبيض من المدائن، فنزله وهو جريح».

وقال ابن كثير متممًا[٣]: «ولما رأىٰ الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا تفرُّق جيشه

=

ثقة». درة السحابة في مناقب القرابة والصحابة، ص(٢٨٩).

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٥).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣١ - ١٣٢).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٣٢).

عليه، مقتهم، وكتب عند ذلك إلىٰ معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان قد ركب في أهل الشام، فنزل مسكن[1] يراوضه علىٰ الصلح».

وقال أيضًا[2]: «ثم بعث الحسن بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلىٰ أمير المُقَدِّمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع لمعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأبىٰ قيس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من قبول ذلك، وخرج عن طاعتهما جميعًا واعتزل بمن أطاعه، ثم راجع الأمر فبايع معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد أيام قريبة».



(١) أرض بالعراق.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٣).

الرافضة دينهم سب الأموات من سادات الصحابة

الرافضة ينتسبون لآل البيت وهم من أعظم الناس مفارقة لهم في الدين، خصوصًا في العقيدة والأحكام والأخلاق، من ذلك أنهم يُكفِّرون الصحابة، ويسبّون الذين حضروا الجمل، والصحابة الذين اقتتلوا مع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صفّين، ومفارقتهم لآل البيت ظاهرة من وجوه:

١ - مفارقة سيد آل البيت نبينا محمد ﷺ الذي شهد للفئتين المتقاتلين - فئة علي ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا - بالإيمان، حيث قال النبي ﷺ في الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**».

٢ - مفارقة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نفسه، فإنه بعد انتهاء معركة الجمل قال: «إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]».

٣- مفارقة علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في سيرته الفعلية؛ حيث قال بعد انتهاء صفّين: «لا تكرهوا إمارة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرءوس تندر عن كواهلها»[١].

٤ - مفارقة علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في سيرته الفعلية في معاملته من

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٥/ ٢٤٩٧).

قاتله في الجمل وصفّين؛ حيث عاملهم معاملة المسلمين.

٥- مخالفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أصحاب معاوية، قال مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إن أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سألوه عمن قتلوا من أصحاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: هم المؤمنون».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «النقل المتواتر عن الصحابة أنهم حكموا في الطائفتين بحكم الإسلام، وورَّثوا بعضهم من بعض، ولم يسبُوا ذراريهم، ولم يغنموا أموالهم التي لم يحضروا بها القتال، بل كان يُصلِّي بعضهم علىٰ بعض، وخلف بعض».

٦- مخالفة ابن عم رسول الله ﷺ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مناظرته للخوارج لمّا عابوا علىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لم يسبِ، ولم يغنم في الجمل[3]: «أتسبون أمّكم، ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟! فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أمكم، فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، وأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم».

٧- مخالفة ابن عم رسول الله ﷺ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمن قال له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه أوتر بركعة؟ قال: إنه لفقيه. رواه البخاري.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١/ ١٣١).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٥٢٩ - ٥٣٠).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٨ - ٣٢٠)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإسناد صحيح»، منهاج السنة (٨/ ٥٣٠).

فابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شهد لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالفقه والعلم وولاية أمر المؤمنين، بل وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يؤاخي معاوية في أسفاره خصوصًا للحج.

٨- مخالفة سادات آل البيت الذين أقروا لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، خصوصًا سيدي شباب الجنة الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٩- مخالفة سادات آل البيت الذين وفدوا إلىٰ معاوية وأقروا له بالخلافة، كعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

هذا ما يتعلق بمذهب آل البيت بخصوص معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي وقع بينه وبين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما وقع في صفّين، أما مخالفتهم لآل البيت في حب أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولزوم إمامتهم، والإقرار بفضلهم، وسابقتهم في الإسلام فهو أظهر وأكثر.

وسادات آل البيت المتقدمون يأخذون الدين عن الصحابة، وظهور هذا واشتهاره لا يخفىٰ علىٰ عاقل فضلًا عن مسلم، فكان آل البيت يستدلون علىٰ مشروعية الشيء بفعل الصحابة له، ويستدلون علىٰ انحراف المبتدعين بمخالفة فهم السابقين الأولين من الصحابة.

أما الاستدلال علىٰ مشروعية الشيء بفعل الصحابة له كقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لمولاه عكرمة: «إياك والسجع في الدعاء، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك»[1].

وأما الاستدلال علىٰ انحراف المبتدعين بمخالفة فهم الصحابة فمعلوم

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يُكره من السجع في الدعاء، (ص١١٠٢ - رقم ٦٣٣٧).

من مناظرة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا للخوارج في النهروان، حيث قال محاجًّا لهم: «أتيتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وهم الذين نزل عليهم القرآن، وهم أعلم بتأويله»[١].

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كذلك كانوا يشهدون لعلماء آل البيت السابقين بالعلم والفضل، قالت عائشة لسيف بن قيس بن معدي كرب: من استُعمل علىٰ الموسم؟ قالوا: ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. قالت: هو أعلم بالسنة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وكل شيعة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذين صحبوه لا يُعرف عن أحد منهم أنه قدّمه علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا في فقه ولا علم ولا غيرهما، بل كل «شيعته» الذين قاتلوا معه عدوّه كانوا مع سائر المسلمين يُقدمون أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، إلا من كان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُنكر عليه ويذمّه، مع قلّتهم في عهد علي وخمولهم، وكانوا ثلاث طوائف:

طائفة غلت فيه كالتي ادّعت فيه الإلهية، وهؤلاء حرقهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنار.

وطائفة كانت تسب أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان رأسهم عبد الله بن سبأ، فلما بلغ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذلك، طلب قتله؛ فهرب منه.

وطائفة كانت تفضله علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لا يبلغني عن أحد منكم أنه فضلني علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، إلا جلدته حد المفتري.

---

(١) المعرفة والتاريخ (٥٢٢/ ١).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٢١٠ - رقم ١٨٥١)، وإسناده صحيح.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٠٦ - ٤٠٨).

وقد رُوي عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من نحو ثمانين وجهًا وأكثر أنه قال علىٰ منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وقد ثبت في «صحيح البخاري» وغيره من رواية رجال همدان خاصة - التي يقول فيها علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

ولو كنت بوابا علىٰ باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

من رواية سفيان الثوري عن منذر الثوري، وكلاهما من همدان، رواه البخاري عن محمد بن كثير، قال: حدثنا سفيان الثوري، حدثنا جامع بن شداد، حدثنا أبو يعلىٰ منذر الثوري، عن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ. فقال: يا بني، أوما تعرف؟! فقلت: لا. فقال: أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وهذا يقوله لابنه الذي لا يتقيه، ولخاصته، ويتقدَّم بعقوبة من يفضله عليهما».

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُٱللَّهُ مبكِّتًا من ينتسب إلىٰ آل البيت، ولا يتولىٰ الصحابة خصوصًا أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[1]: «فيا من يدَّعي أنه من أتباع الإمام زيد بن علي، كيف لا تقتدي به في ذلك المنهج الجليّ؟!

ألا ترىٰ كيف رضي بمفارقة تلك الجيوش التي قامت تنصره علىٰ منابذة سلاطين الجور، ولم يسمح بالتَّبرِّي من الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؟!

بل احتجَّ علىٰ الرَّافضة بأنَّهما كانا وزيري جدِّه رسول الله ﷺ، ولا شك

(١) إرشاد الغبي إلىٰ مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ، ص(٨١).

أنَّه يؤلم الرجل ما يؤلم وزيره، ومن أهان الوزير؛ فقد أهان السلطان».

ومما قاله زيد بن علي بن الحسين بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لحكمت بمثل ما حكم به أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في فدك».

فلو أن الرافضة سلكوا سبيل زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لسلم المسلمون من أسباب الشحناء والتباغض، ولخفّ الخلاف، ولكن مع الأسف ما زالوا يزرعون الضغائن ويورثون الأمة الأحقاد وأسباب الاقتتال، قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وقد دخل أبو بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في مرض موتها، وترضاها حتىٰ رضيت عنه، فلا طائل لسخط غيرها ممن يدعي موالاة أهل البيت، ثم يطعن علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ».

وقال محمد ابن الحنفية[٣]: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قلت: ثم من؟ قال: ثمَّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤].

قال الحافظ ابن الملقن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٥]: «فيه فضل ظاهر للصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأدب من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو مثل حديث عبد الله بن مسلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ينادي علىٰ المنبر: ألا إن خير هذه الأمة أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم الله أعلم. ذكره ابن عبد البر.

---

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد ص(٤٩٧) بإسناد حسن.

(٢) الاعتقاد، ص(٤٩٥).

(٣) هو محمد بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمّه من بني حنيفة، لذلك يُقال له: ابن الحنفية.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب في سابقة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفضله (ص٦١٦ –رقم ٣٦٧١).

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠/ ٢٦٧ – ٢٦٨).

وعن عبد بن خير فيما ذكره ابن الجوزي في «مناقب عمر» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قلت لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من أول الناس دخولًا الجنة بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. قال: قلت: يدخلانها قبلك. قال: إي، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنهما ليأكلان من ثمارها ويتكئان علىٰ فرشها قبلي.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه فيما ذكره أبو سعد إسماعيل بن علي في كتاب «الموافقة بين أهل البيت والصحابة»: بينا علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالكوفة إذ قال له رجل: يا خير الناس، قال: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قال: أما إنك لو قلت: نعم. لضربت عنقك، قال: هل رأيت أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟ قال: لا. قال: أما لو قلت: نعم. لأوجعتك ضربًا».

وآل البيت المتقدمون ينقل بعضهم عن بعض الثناء علىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علنًا، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إني لواقف في قوم، فدعوا الله لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد وُضع علىٰ سريره، إذا رجلٌ من خلفي قد وضع مرفقه علىٰ منكبي، يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسولَ الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»[1].

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «في هذا الحديث فضيلة أبي بكر وعمر

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب في سابقة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفضله (ص٦١٨ - رقم ٣٦٧٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ص١٠٥٢ - رقم ٦١٨٧).

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص(١٤٦٣).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وشهادة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهما، وحسن ثنائه عليهما، وصدق ما كان يظنه بعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل وفاته، رضي الله عنهم أجمعين».

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا في وفاة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لله درُّ باكية عمر! وا عمراه! قوَّم الأَوَدَ[١]، وأبرأ العَمَد[٢]، وا عمراه! مات نقي الجيب[٣]، قليل العيب، وا عمراه! ذهب بالسُّنَّة، وأبقىٰ الفتنة»[٤].

فآل البيت المتقدمون يحبون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويتولونهم، ويأخذون الدين عنهم، ويعتقدون أن الصحابة معدن العلم والإيمان.

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٥]: «أصحاب محمد ﷺ كانوا علىٰ أحسن طريقة، وأقصد هداية، معدن العلم، وكنز الإيمان، وجند الرحمن».

وكان عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يأخذ العلم عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويوقرهم، قال الشعبي: أمسك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بركاب زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟ قال: «إنا هكذا نصنع بالعلماء»[٦].

---

(١) الاعوجاج.

(٢) العلة.

(٣) الثوب.

(٤) تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ٩٤١ - ٩٤٢)، بواسطة الرّقة والبكاء لابن قدامة.

(٥) مختصر تفسير البغوي، ص(٤٦٧).

(٦) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨٤)، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٨٨)، وصححه ابن حجر في الإصابة (١/ ٥٤٣).

وكذلك أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ كان يسأل جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن الغسل بالصاع[1].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وفي هذا دلالة علىٰ أن سادات أهل البيت كانوا يطلبون العلم من أصحاب النبي ﷺ كما يطلبه غيرهم، فدل ذلك علىٰ كذب ما تزعمه الشيعة أنهم غير محتاجين إلىٰ أخذ العلم عن غيرهم، وأنهم مختصون بعلم يحتاج الناس كلهم إليهم، ولا يحتاجون هم إلىٰ أحد، وقد كذّبهم في ذلك جعفر بن محمد وغيره من علماء أهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

والأدلة علىٰ أخذ آل البيت السنة من الصحابة، والاستدلال علىٰ مشروعية ذلك بهدي الصحابة، خصوصًا الخلفاء الراشدين؛ كثيرة، قال عروة بن عبد الله: أتيت أبا جعفر محمد بن علي، فقلت: ما قولك في حلية السيوف؟ فقال: لا بأس، قد حلّىٰ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيفه. قال: فقلت: وتقول الصدّيق!

قال: فوثبَ وثبة واستقبل القبلة، ثم قال: نَعَمِ الصدّيق، نعم الصدّيق، نعم الصدّيق. ثلاث مرات، فمن لم يقل له: الصدّيق. فلا صدّق الله له قولًا في الدنيا ولا في الآخرة[3].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «شهد عندي رجال مرضيون، وأرضاهم عندي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ نهىٰ عن الصلاة بعد الصبح حتىٰ تُشرق

(١) رواه البخاري، كتاب: الغسل، باب: الغسل بالصاع ونحوه (١/ ٣٦٥ - رقم ٢٥٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٥٢).

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٩٣ - رقم ٢٩٦)، وإسناده حسن.

الشمس، وبعد العصر حتىٰ تغرب»[1].

والصحابة الكرام كانوا يبادلون آل البيت الثناء، ويذبون عنهم، ويردون علىٰ من ينتقصهم؛ عن سعد بن عبيدة، قال: جاء رجل إلىٰ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فسأله عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فذكر عن محاسن عمله، قال: لعلَّ ذاك يسوءك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ. ثم قال: لعلَّ ذاك يسوءك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد عليَّ جهدك[2].

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «معنىٰ «أرغم الله أنفك»: أوقع الله بك سوءًا، واشتقاقه من السقوط علىٰ الوجه فيلصق بالأرض بالرغام، وهو التراب، ومعنىٰ: «بيته أوسط بيوت رسول الله ﷺ»: أحسنها بناءً».

وأبو بكر الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حاله معلوم في حب آل البيت وموالاتهم، فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» عنه أنه قال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي»[4].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة بعد الفجر حتىٰ ترتفع الشمس (ص٩٧-رقم ٥٨١) واللفظ له، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الأوقات التي نُهي عن الصلاة فيها (ص٣٣٣- رقم ١٩٢١)، ولفظ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان أحبَّهم إليَّ».

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب (ص٦٢٥ - رقم ٣٧٠٤).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠/ ٣٠٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ (ص٦٢٦ - رقم ٣٧١٢).

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُدني ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال له عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن لنا أبناءً مثله. فقال: إنه من حيث تعلم. فسأل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، فقال: أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه. قال: ما أعلم منها إلا ما تعلم[(١)].

فقرب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معلوم، فإنه كان يدنيه ويشاوره، ويذاكره التفسير في حضرة أشياخ الصحابة، وكان العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والد عبد الله يوصيه بحفظ حق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتوقيره، قال العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لابنه عبد الله: يا بنيَّ! إني أرىٰ أمير المؤمنين يُدنيك - يعني: عمر -، فاحفظ عني ثلاثًا: لا تفشين له سِرًّا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا يطَّلعَنَّ منك علىٰ كذبة[(٢)].

فثناء آل البيت علىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ متواتر معلوم لا يجهله أو يتجاهله إلا من هو قاصد لهدم الإسلام أو تزييفه.

ومن ذلك ثناء العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عم رسول الله ﷺ علىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث قال عنه[(٣)] «كنت جارًا له، فما رأيت أحدًا من الناس كان أفضل من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن ليله صلاة، وإن

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ص٦٠٨ - رقم ٣٦٢٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٦١٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣١٨).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٥٤).

نهاره صيام، وفي حاجات الناس».

وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حسن الثناء على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث قال فيه[1]: «كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين».

وكان سادات آل البيت يتبرءون ممن يسب الصحابة أو ينتقصهم، ويرون أنه ليس من المسلمين.

قال زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]: «كان أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلتهما منه بعد وفاته».

وقال زين العابدين أيضًا[3]: «جلس إليَّ قومٌ من أهل العراق، فذكروا أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فنالوا منهما، ثم ابتدءوا في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقلت لهم: أخبروني، أنتم من ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا، لسنا منهم. قلت: فأنتم من الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]؟ قالوا: لا، لسنا منهم. قال: فقلت لهم: أمَّا

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٧٢).

(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٤٨٣).

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٤٨٩).

أنتم فقد تبرأتم وأقررتم وشهدتم أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠]، قوموا عنِّي، لا بارك الله فيكم، ولا قرَّب دوركم، **أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله**».

فالصحابة وآل البيت شيء واحد، ولحمة واحدة، دينهم واحد، فلذلك نقول في آل البيت كما نقول في الصحابة، والتفريق بينهم في الحب والموالاة ما هو إلا كتفريق أهل الكتاب في إيمانهم بموسىٰ وعيسىٰ، وكفرهم بمحمد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، وكان النبي ﷺ يُجلس أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ فخذه والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ فخذه الأخرىٰ، ويقول: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**»[1].

والصحابة وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا كان يأخذ بعضهم عن بعض العلم، ولا يستنكفون عن ذلك، وعلومهم وعقائدهم متفقة؛ لأن مشكاة التلقي عندهم هو رسول الله ﷺ وما يوحيه الله إليه.

قال طاوس رَحِمَهُ اللَّهُ: جلست إلىٰ خمسين شيخًا أو سبعين شيخًا من أصحاب رسول الله ﷺ، ما منهم أحد يخالف ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فيقوم،

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٩٦٣ - رقم ١٣٥٢)، وإسناده صحيح.

حتىٰ يرجع إلىٰ قوله أو يقول بقوله[1].

وبإزاء هذا النقل المتواتر عن آل البيت في حب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والثناء عليهم، لم يجد الرافضة من حيلة لتزييف هذه الحقائق إلا الكذب علىٰ آل البيت أو نسبتهم إلىٰ التقية، والعياذ بالله.

قال حصين بن عامر[2]: «ما كُذب علىٰ أحد في هذه الأمة ما كُذب علىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وقال الحسن بن صالح: سألت جعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فقال: أبرأ من كل من ذكرهما إلا بخير. قلت: لعلك تقول ذاك تقية!!

فقال: أنا إذًا من المشركين، ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أتقرب إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ بحبهما، ولكن قومًا يتأكلون بنا الناس.

وقال أبو خالد الأحمر: سألت عبد الله بن حسن عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فقال: صلىٰ الله عليهما، ولا صلىٰ علىٰ من لم يصل عليهما.

وقال حفص بن قيس: قلت لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد! إن ناسًا يقولون: إن هذا منكم تقية!!

فقال لي ونحن بين القبر والمنبر: اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعن قول أحد بعدي. ثم قال: هذا الذي يزعم أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٢٤٦ - رقم ١٩٤٣) وإسناده صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٧).

مقهورًا، فإن رسول الله ﷺ أمره بأمره فلم ينفذه، فكفىٰ هذا إزراءً علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنقصة، أنه يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمره فلم ينفذه.

والرافضة ينتسبون لآل البيت، ويبغض الرافضة جميع خلفاء بني أمية، مع أن فيهم من كان يحبه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان في عسكره ضد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كمروان بن الحكم الأموي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جد خلفاء بني أمية الذين كانوا بعده.

قال الحافظ ابن كثير في مروان بن الحكم[1]: «صحابي عند طائفة كثيرة؛ لأنه وُلد في حياة النبي ﷺ، وروىٰ عنه في حديث صلح الحديبية، وفي «صحيح البخاري»، عن مروان، والمسور بن مخرمة، الحديث بطوله».

وقال أيضًا الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وقد كان عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْرمه ويُعظِّمه، وكان كاتب الحُكْم بين يديه، ومن تحت رأسه جَرَت قضية الدار، وبسببه حُصر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها، وألَحَّ عليه أولئك أن يُسَلِّمَه إليهم، فامتنع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشد الامتناع، وقد قاتل مروان يوم الدار قتالًا شديدًا، وقتل بعض أولئك الخوارج، وكان علىٰ الميسرة يوم الجمل، ويقال: إنه رمىٰ طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسهم في ركبته، فقتله. والله أعلم.

وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: كان عليٌّ يوم الجمل حين انهزم الناس يُكثر السؤال عن مروان، فقيل له في ذلك، فقال: إنه تعطفني

(١) البداية والنهاية (١١/ ٧٠٦).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٧٠٧).

عليه رحم ماسَّةٌ، وهو سيد من شباب قريش».

والرافضة ينتسبون لآل البيت، وآل البيت كانوا يعتقدون فضل الصحابة وأن الأخبار في فضائلهم في القرآن والسنة محكمة لم ينسخها شيء، بينما الرافضة يحملونها علىٰ الردة، والصحابة لم يرتدوا وكان إيمانهم باقيًا، وإنما ارتد المنافقون.

قال عمرو بن ميمون: كنا عند ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: أخبرنا الله في القرآن أنه قد رضي عن أصحاب الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، فهل حدثنا أنه سخط عليهم[1].

قال هارون الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: كنّا عند أبي عبد الله سنة سبع وعشرين أنا وأبو جعفر بن إبراهيم، فقال له أبو جعفر: أليس نترحم علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ كلهم معاوية وعمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وعلىٰ أبي موسىٰ الأشعري والمغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟ قال: نعم، كلهم وصفهم الله في كتابه، فقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

والرافضة فيهم من يعتقد الرجعة في علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الدنيا، وآل البيت يبرءون إلىٰ الله من ذلك؛ قال عمرو الأصم للحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إن هؤلاء الشيعة يزعمون أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مبعوث قبل يوم القيامة. قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه، ولا قسمنا ماله[3].

(١) الاعتقاد للبيهقي، ص(٤٤٩)، وإسناده حسن.

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٩٧).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٥).

فمفارقة ومخالفة الرافضة لآل البيت معلومة ظاهرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «لا نسلم أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن أهل البيت، لا الاثنا عشرية ولا غيرهم، بل هم مخالفون لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأئمة أهل البيت في جميع أصولهم التي فارقوا فيها أهل السنة والجماعة، توحيدهم وعدلهم وإمامتهم؛ فإن الثابت عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأئمة أهل البيت من إثبات الصفات لله، وإثبات القدر وإثبات خلافة الخلفاء الثلاثة، وإثبات فضيلة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وغير ذلك من المسائل، كله يناقض مذهب الرافضة، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم، بحيث إن معرفة المنقول في هذا الباب عن أئمة أهل البيت يوجب علمًا ضروريًّا بأن الرافضة مخالفون لهم لا موافقون لهم».

وجهّز علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكلّ ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وبعث معها كلّ من نجا ممّن خرج معها إلّا من أحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات، وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلمّا كان اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها عليّ فوقف لها، وحضر الناس، فخرجت وودعتهم، وقالت: يا بنيَّ، لا يعتب بعضنا علىٰ بعض، إنّه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنّه علىٰ معتبتي لمن الأخيار. وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدقت، والله ما كان بيني وبينها إلّا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة[٢].

هذا كان خلق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو بهذا قد

(١) منهاج السنة (٤/ ١٦ - ١٧).

(٢) الكامل في التاريخ، ص(٤٢١ - ٤٢٢).

لزم وصية النبي ﷺ فيها وردها إلىٰ مأمنها، عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أمر**» قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلىٰ مأمنها**»[1]. فليلزم من ينتسب إلىٰ آل البيت وصية سيدهم نبينا محمد ﷺ، وليردها إلىٰ مأمنها، فلا يذكرها إلا بالجميل، فإنها حبيبة رسول الله ﷺ.

وسُئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يومئذ عمّن قُتل من الناس منهم معها، ومنهم عليها، والناس عندها، فكُلما نُعي واحد من الجميع قالت: يرحمه الله. فقيل لها: كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال رسول الله ﷺ، فلان في الجنة، وفلان في الجنة[2].

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]: «إني لأرجو أن لا يكون أحد نقّىٰ قلبه لله من هؤلاء إلا أدخله الله الجنة».

ومعاملة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا غاية في الولاء والحب لهما، ومعرفة سابقتهما وفضل صحبتهما للنبي ﷺ، اعتقاد من يجزم أنهما بأعيانهما في الجنة، والرافضة ضد هذا تمامًا، يسبونهم ويبغضونهم ويكفرونهم، فهؤلاء من أبعد الناس عن هدي آل البيت المتقدمين الكرام.

قال الشعبي: رأىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في واد مُلقًىٰ، فنزل فمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيزٌ عليَّ أبا محمد بأن أراك مجدَّلًا في الأودية تحت

---

(١) رواه أحمد، والبزار، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «سند حسن»، فتح الباري (١٣/ ٦٠).

(٢، ٣) الكامل في التاريخ، ص(٤٢١).

نجوم السماء، إلىٰ الله أشكو عُجري وبُجَري[١].

قال الأصمعي: معناه: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

وسادات آل البيت كانوا يشهدون لأبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جهاده ونصرته لرسول الله ﷺ، قال العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لزمت أنا وأبو سفيان رسول الله ﷺ يوم حنين فلم نفارقه[٢].

وأبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، ولذلك جعله أميرًا علىٰ نجران، وبقي علىٰ إمارة نجران نائبًا عن رسول الله ﷺ حتىٰ تُوفي صلوات الله وسلامه عليه.

والطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تكذيب للقرآن الذي أخبر الله فيه بصدقهم ورضاه عنهم، وجعلهم أعلامًا علىٰ الإسلام والإيمان.

بل إن الطعن في أصحاب النبي ﷺ طعن في الله عَزَّوَجَلَّ الذي اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ ونصرة الإسلام، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]: «إن الله نظر في قلوب العباد، فلم يجد قلبًا خيرًا من قلب محمد ﷺ، فاصطفاه لنفسه، وبعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعد قلبه، فوجد أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون عن دينه، فما رآه المؤمنون حسنًا؛ فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون سيئًا؛ فهو عند الله سيئ».

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الجهاد، باب: غزوة حنين، ص(٧٨٩ - رقم ٤٦١٢).

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٧٩) وحسنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في موافقة الخُبر الخبر (٢/ ٤٣٥).

فحب النبي ﷺ وحب الصحابة متلازمان، قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أظن أحدًا يبغض أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو يحب رسول الله ﷺ»[١].

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «واعلم أن لهذه الشنعة الرافضية، والبدعة الخبيثة ذيلًا هو أشر ذيل، وويلًا هو أقبح ويل.

وهو أنهم لما علموا أن الكتاب والسنة يناديان عليهم بالخسارة والبوار بأعلىٰ صوت، عادوا السنة المطهرة، وقدحوا فيها وفي أهلها بعد قدحهم في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وجعلوا المتمسك بها من أعداء أهل البيت، ومن المخالفين للشيعة لأهل البيت.

فأبطلوا السنة المطهرة بأسرها، وتمسكوا في مقابلها، وتعوضوا عنها بأكاذيب مفتراة مشتملة علىٰ القدح المكذوب المفترىٰ في الصحابة وفي جميع الحاملين للسنة المهتدين بهديها، العاملين بما فيها، الناشرين لها في الناس من التابعين وتابعيهم إلىٰ هذه الغاية، وسموهم بالنصب والبغض لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولأولاده».

وقال العلامة الشوكاني أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ومعظم ما يقصده بهذا هو الطعن علىٰ الشريعة وإبطالها؛ لأنَّ الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم هم الذين رووا للمسلمين علم الشريعة من الكتاب والسنة، فإذا تم لهذا الزنديق باطنًا

---

(١) رواه الترمذي، تفسير ابن كثير عند قوله تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١]، مجموع كتب ورسائل العلامة عبد المحسن العباد (٨/ ١١٩).

(٢) قطر الولي علىٰ حديث الولي، ص(٣٠٥، ٣٠٦).

(٣) أدب الطلب ومنتهىٰ الأرب، ص(٧١ - ٧٢).

الرافضي ظاهرًا القدح في الصحابة، وتكفيرهم، والحكم عليهم بالردة، بطلت الشريعة بأسرها؛ لأن هؤلاء هم حملتها الراوون لها عن رسول الله ﷺ، فهذا هو العلة الغائية لهم، وجميع ما يتظاهرون به من التشيع كذب وزور، ومن لم يفهم هذا؛ فهو حقيق بأن يتهم نفسه، ويلوم تقصيره».

فهذا السب والطعن للسابقين الأولين وأمهات المؤمنين حقيقته هدم الإسلام؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين نقلوا لنا الدين، فهم يريدون إسقاط الإسلام الذي أدوه إلينا، وبهذا يتبين لك مدخل اليهودي عبد الله بن سبأ في صناعة الفرقة الرافضية.

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة».

وقال عبد الله بن مصعب: قال لي أمير المؤمنين محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي: يا أبا بكر، ما تقول في الذين يشتمون أصحاب رسول الله ﷺ؟

فقلت: زنادقة يا أمير المؤمنين.

قال: ما علمت أحدًا قال هذا غيرك، فكيف ذلك؟

قلت: إنما هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ، فلم يجدوا أحدًا من الأمة يتابعهم علىٰ ذلك فيه، فشتموا أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يا أمير المؤمنين ما أقبح

(١) الكفاية، للخطيب البغدادي، ص(٦٧).

بالرَّجل أن يصحب صحابة السوء، فكأنهم قالوا: رسولُ الله صحب صحابة السوء، فقال لي: ما أرىٰ الأمر إلا كما قلت[١].

وصدق ابن مصعب - والله -، فمن سب أصحاب النبي ﷺ؛ فقد سب النبي ﷺ، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إياك أن تتكلم في أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فإن خصمك غدًا رسول الله ﷺ».

والطعن في أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مع أنه تكذيب للقرآن؛ لأن الله أنزل براءتها في القرآن، وجعله قرآنًا يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، فهو طعن في النبي ﷺ، وإبطال لرسالته، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُولَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦]، قال الحسن بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن كانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا خبيثة، فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر».

وأهل السنة والجماعة هم شيعة عثمان، وعلي، وعائشة، ومعاوية، وطلحة، والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، نحبّهم ونتولاهم ونترضّىٰ عليهم جميعًا، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يشهد لطلحة والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بعد قتالهم له بأنهم في الجنة بأعيانهم لخبر رسول الله ﷺ في ذلك، والرافضة تنتسب إلىٰ عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتخالفه في ذلك، وتجعل ما ورد من فضائلهم منسوخًا بعد قتال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «والكلام في الناس يجب أن

(١) النهي عن سب الأصحاب للضياء المقدسي، ص(٨٦).

(٢) الصارم المسلول، ص(٥٦٥، ٥٦٦).

(٣) منهاج السنة (٤/ ٣٣٧).

يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم كحال أهل البدع، فإن الرافضة تعمد إلىٰ أقوام متقاربين في الفضيلة، تريد أن تجعل أحدهم معصومًا من الذنوب والخطايا، والآخر مأثومًا فاسقًا أو كافرًا، فيظهر جهلهم وتناقضهم، كاليهودي والنصراني إذا أراد أن يثبت نبوّة موسىٰ أو عيسىٰ، مع قدحه في نبوة محمد ﷺ».

قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]: «لا يفضلني أحدٌ علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلا وقد أنكر حقِّي وحقَّ أصحاب النبي ﷺ».

قال الحافظ أبو بكر الآجري رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «فإن قال قائل: فما تقول فيمن يزعم أنه محب لأبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ متخلف عن محبة علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعن محبة الحسن والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، غير راضٍ بخلافة علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، هل تنفعه محبة أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؟!

قيل له: معاذ الله! هذه صفة منافق، ليست بصفة مؤمن، قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق**»، وقال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «**من آذىٰ عليًّا؛ فقد آذاني**»، وشهد النبي ﷺ لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالخلافة، وشهد له بالجنة، وبأنه شهيد، وأن عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ محب لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ محبان لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجميع ما شهد له به رسول الله ﷺ من الفضائل التي تقدم ذكرنا لها، وما أخبر النبي ﷺ من محبته للحسن والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مما تقدم ذكرنا له، فمن لم يحب هؤلاء ويتولهم؛

(١) المخلصيات (٣/ ٣٦٥).

(٢) الشريعة، ص(٦٩٧، ٦٩٨).

فعليه لعنة الله في الدنيا والآخرة، وقد بريء منه أبو بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وكذا من زعم أنه يتولىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويحب أهل بيته، ويزعم أنه لا يرضىٰ بخلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يحبهم، ويتبرأ منهم ويطعن عليهم، فنشهد بالله يقينًا أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحسن، والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برآء منه، لا تنفعه محبتهم حتىٰ يحب أبا بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما وصفهم به، وذكر فضلهم، وتبرأ ممن لم يحبهم، فرضي الله عنه وعن ذريته الطيبة، هذا طريق العقلاء من المسلمين.

ونعوذ بالله ممن يقذف أهل بيت رسول الله ﷺ بالطعن علىٰ أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لقد افترىٰ علىٰ أهل البيت وقذفهم بما قد صانهم الله عَزَّ وَجَلَّ عنه.

وهل عُرفت أكثر فضائل أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا مما رواه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟!».

والصحابة وآل البيت المتقدمون كلهم يعرف لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فضلها وقدرها، ويتدينون لله بحبها، ويعلمون أنها من أحب الناس إلىٰ رسول الله ﷺ. قال مصعب بن سلام: حدثنا محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: انتهينا إلىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: خليلة رسول الله ﷺ.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «هذا حديث حسن، ومصعب فصالح لا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).

بأس به، وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع ما وقع بينهما، فرضي الله عنهما.

ولا ريب أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ندمت ندامة كُلِّية علىٰ مسيرها إلىٰ البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنَّت أن الأمر يبلغ ما بلغ».

وكذلك الحال بالنسبة لعمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من فئة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان ينتصر لأم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إذا قصد أحد انتقاصها أو النيل منها.

قال أبو إسحاق السبيعي عن عمرو بن غالب: إن رجلًا نال من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند عمّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: اغرب مقبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ[1]؟!

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «هذا حديث حسن صحيح».

ومن الأمور المعينة علىٰ الكف عن الطعن في السابقين الأولين خصوصًا طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا معرفة أنهم لم يخالفوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كراهية له ولولايته، حاشاهم من ذلك، بل كان الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أحد من اختارهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخلافة من بين ستة تنازل عن أمره إلىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ: لما فرغ من دفن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجعلوا أمركم إلىٰ ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد جعلت أمري إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد جعلت أمري

(١) رواه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ص٨٧٧، رقم ٣٨٨٨).

(٢) جامع الترمذي، ص(٨٧٧).

إلىٰ عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1].

وطلحة والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لم ينازعا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ولايته، وإنما طلبا منه أن يقتص من قتلة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأصحابه ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقع بينهم في حال الخصومة الشتم وما هو أعظم منه وهو القتال، ثم أزال الله هذا الشر، ووقع التحكيم، وندم الطرفان، والندم توبة، وكفت ألسنة الفريقين عن السب، وانطلقت بالثناء لبعض والذكر الجميل.

قال جويرية بن أسماء: كان بسر بن أبي أرطاة عند معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فنال من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وزيد بن عمر بن الخطّاب حاضر، وأمّه أمّ كلثوم بنت علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فعلاه بالعصا، وشجّه، فقال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لزيد: عمدت إلىٰ شيخ قريش، وسيّد أهل الشام، فضربته!

وأقبل علىٰ بُسْر، فقال: تشتم عليًّا، وهو جدّه، وابن الفاروق علىٰ رءوس الناس! أترىٰ أن يصبر علىٰ ذلك؟ فأرضاهما جميعًا[2].

وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد انتهاء معركة الجمل قام بإزالة آثار الشحناء من قلوب عموم المؤمنين، قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[3]: «إني لأرجو أن أكون أنا، وطلحة،

---

(١) رواه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قصة البيعة والاتفاق علىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ص٦٢٢ - رقم ٣٧٠٠).

(٢) الكامل في التاريخ، ص(٤٩٩).

(٣) فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل (٢/ ٩٣٢).

والزبير، ممن قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]».

وخاصةُ أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبطانته لا يذكرون السابقين الأولين وأمهات المؤمنين إلا بالجميل.

قال عبد الله بن زياد الأسدي: سمعت عمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: هي - عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زوجته في الدنيا والآخرة»[(١)].

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال عبد الواحد بن أبي عون: مرّ عليٌّ - وهو متكئ علىٰ الأشتر - علىٰ قتلىٰ صفّين، فإذا حابس اليماني مقتول، فقال الأشتر: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا حابس اليماني معهم يا أمير المؤمنين، عليه علامة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أما والله لقد عهدته مؤمنًا. قال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والآن هو مؤمن[(٣)].

بعد هذا النقل المتواتر عن آل البيت في حسن اعتقادهم في الصحابة، وتوليهم، وحبهم، وأخذ الدين عنهم، فحريٌّ بمن ينتسب إليهم أن يصحح عقيدته علىٰ نحو المنقول المتواتر عنهم في ذلك.

قال أبو جحيفة: كنت أرىٰ أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، قلت: يا أمير المؤمنين، إني لم أكن أرىٰ أن أحدًا من المسلمين من بعد

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ص٨٧٧، رقم ٣٨٨٩).

(٢) الجامع، ص(٨٧٧).

(٣) منهاج السنة (٥/ ٢٤٥).

رسول الله ﷺ أفضل منك، قال: أولا أحدثك يا أبا جحيفة بأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قلت: بلىٰ. قال: أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال: أفلا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟ قال: قلت: بلىٰ، فديتك! قال: عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١].

هكذا ينبغي أن ينحىٰ من ينتسب إلىٰ آل البيت منحىٰ أبي جحيفة رَحِمَهُٱللَّهُ، أما أن يتدين بخلاف الثابت عنهم أو المكذوب عليهم، فهذا دين الرافضة، لا دين آل البيت المتقدمين، وبين الفريقين فرق ظاهر لا يخفىٰ.

قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «فهم من أبعد الناس عن هدي أهل البيت والعترة، وإن تشبعوا بزخارف الانتماء والانتساب، وأظهروا تشيعًا لذلك الجناب، فإنهم في ميزان الصدق والتحقيق من تصحيح تلك الأماني بمكان سحيق».

والرافضة ينتسبون إلىٰ آل البيت زورًا، ويزعمون كذبًا أنهم اختصوا بقرآن عن عموم المسلمين، يسمّونه «مصحف فاطمة»، وآل البيت ينفون ذلك، ويبرءون أن يكونوا قد اختصوا بقرآن دون سائر الناس.

قال الشعبي: سمعت أبا جحيفة قال: سألت عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرَّة: ما ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهمًا يُعطىٰ رجلٌ في كتابه،

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٣٧٠، رقم ٤٠٤)، وإسناده حسن.

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص(٣٥).

وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر[(١)].

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «قول أبي جحيفة: سألت عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ إنما سأله؛ لأجل دعوىٰ الروافض أن عندهم كتاب الحصر، فيه علم كل شيء، وأداهم ذلك إلىٰ أن جعل بعضهم عليًّا نبيًّا وبعضهم إلهًا، نبّه عليه الداودي».

وكل يعرف كيف كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يثني علىٰ أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمعه للقرآن، حيث قال[(٣)]: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رحمة الله علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو أول من جمع ما بين اللَّوحين».

قال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «ومما يبيّن كذب الروافض في ذلك أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبيٌّ ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم مفروضة طاعته - ولي الأمر وملك، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا ظاهر الأمر، ساكنًا بالكوفة، مالكًا للدنيا، حاشا الشام ومصر والفرات، والقرآن يُقرأ في المساجد وفي كل مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأىٰ فيه تبديلًا كما تقوله الرافضة أكان يقرهم علىٰ ذلك؟».

---

(١) رواه البخاري، كتاب: القسامة، باب: العاقلة (ص ١١٩٠، رقم ٦٩٠٣).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣١/ ٤٥٤).

(٣) المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٥٤، رقم ١٧)، إسناده حسن كما في فتح الباري (٩/ ١٢)، وقال ابن كثير: «إسناد صحيح»، فضائل القرآن، ص(٥٧).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢١٦، ٢١٧).

وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ نفسه كان يتحدث أن أميره أبو بكر الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وأنه مأمور بإمرة الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، كما حصل في إرسال النبي ﷺ لأبي بكر الصدّيق في الحج السنة التاسعة، وأردفه بعد ذلك بعلي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ولم يقل علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: بل أنا الأمير. ولم يستدل بقول النبي ﷺ له في تبوك: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ**»، فلم يفهم من هذا الدليل دلالة علىٰ ما تزعمه الرافضة، وفصاحة علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وبلاغته العربية معلومة لدىٰ العام والخاص.

قال الحافظ البيهقي رَحِمَهُٱللَّهُ مبينًا عدم دلالة الحديث علىٰ خلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بعد وفاة النبي ﷺ[1]: «إنه لا يعني به استخلافه بعد وفاته، وإنما يعني به استخلافه علىٰ المدينة عند خروجه إلىٰ غزوة تبوك، كما استخلف موسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ هارون عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ عند خروجه إلىٰ الطور، وكيف يكون المراد به الخلافة بعد موته، وقد مات هارون قبل موسىٰ - عليهما السلام -؟!».

وتأمير النبي ﷺ لأبي بكر الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وعلىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في حج السنة التاسعة بعد غزوة تبوك قطعًا التي قال له فيها النبي ﷺ: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «وتأميره لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ علىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ هذا كان بعد قوله: «**أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من**

---

(١) الاعتقاد، ص(٥٠١).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٢٩٧).

موسىٰ»، ولا ريب أن هذا الرافضي ونحوه من شيوخ الرافضة من أجهل الناس بأحوال الرسول ﷺ، وسيرته، وأموره، ووقائعه، يجهلون من ذلك ما هو متواتر معلوم لمن له أدنىٰ معرفة بالسيرة، ويجيئون إلىٰ ما وقع فيقبلونه، ويزيدون فيه، وينقصون».

وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقرر خلافة أبي بكر الصدّيق، ويستدل بالأدلة المثبتة لها، حيث قال[1]: «قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصلَّىٰ بالناس، وقد رأىٰ مكاني، وما كنت غائبًا ولا مريضًا، ولو أراد أن يُقدِّمني، لقدَّمني، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا».

وفي مغازي «موسىٰ بن عقبة» أن عليًّا والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قالا**: «ما غضبنا إلا لأنا أُخرنا عن المشورة، وإنا نرىٰ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي»[2].

ولما ولي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة أمر قضاته ونوابه أن يلزموا أحكام من سبقه من الخلفاء الراشدين الثلاثة، حيث قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإني أكره الخلاف»[3].

وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائمًا مع الخلفاء الثلاثة بالخير والتواصي

(١) الشريعة (٣/ ٦٠).

(٢) أسنده من طريقه ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ٩٢، ٩٣)، وقال: «إسناد جيد».

(٣) رواه البخاري، كتاب الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٦٢٥، رقم ٣٧٠٧).

معهم علىٰ القيام بأعباء الولاية مثنيًا عليهم، قال أبو بكر العبسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت حَيْرَ الصدقةِ مع عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فجلس عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الظلِّ، فقام عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ رأسه يُمْلِي عليه ما يقول عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قائم في الشمس في يومٍ شديد الحرِّ، عليه بُردتان سوداوان، متزرٌ بواحدة، قد وضع الأخرىٰ علىٰ رأسه، وهو يتفقد إبل الصدقة، يُملِي يكتبُ ألوانها وأسنانها، فقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أما سمعت قولَ ابنةِ شعيب في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦]، وأشار عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بيده إلىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: هذا القوي الأمين[١].

ومشكلة الرافضة أنهم لا يفهمون النصوص بفهم آل البيت المتقدمين، وإنما يفهمونها بفهوم الأعاجم المتأخرين الرافضة الذين يتكسبون بآل البيت.

فبعض الرافضة يقولون: إن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أولىٰ بالخلافة من أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لقوله ﷺ: «**من كنت مولاه، فعلي مولاه**». رواه أحمد، وصححه ابن حبان.

وهذا لا دليل فيه بقول آل البيت المتقدمين أنفسهم، قال الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لو كان الأمر كما تزعمون، وأن الله ورسوله اختارا عليًّا لهذا الأمر، وللقيام علىٰ الناس بعده، أن كان أعظم الناس في ذلك خطيئة وجُرْمًا، إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره، أو يَعْذُرَ فيه

(١) المخلصيّات (٣/ ٢٠٤، ٢٠٥، رقم ٢٣٣٤).

(٢) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، ص(٧٨، ٧٩، رقم ٢٢).

إلىٰ الناس.

فقال له رافضي: ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من كنت مولاه؛ فعليٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مولاه**»؟ قال: أما والله، أن لو عني رسول الله ﷺ بذلك الإمارة، والسلطان، والقيام علىٰ الناس، لأفصح لهم بذلك، كما أفصح لهم بالصلاة، والزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، ولقال لهم: أيها الناس، إن هذا وليُّ أمركم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا. فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله ﷺ».

وزجر آل البيت المتقدمين للرافضة عن فهم النصوص بأهوائهم كثير، من ذلك أن رافضيًّا أخذ ينال من أبي بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زاعمًا خوفه في حادثة الهجرة ومستدلًا بقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فردّ عليه جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[١]: «إن الحزن غير الجزع والفزع، كان حزن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُقتل النبي ﷺ، ولا يُدان بدين الله، فكان حزنه علىٰ دين الله، وعلىٰ نبي الله ﷺ، ولم يكن حزنه علىٰ نفسه».

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وقد ثبت عنه ﷺ في «الصحيح» أنَّ: «**قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق**».

وثبت عنه في «الصحيحين» أنْ: «لَعْن المؤمن كقتله».

---

(١) مناظرة للإمام جعفر بن محمد الصادق، ص(٩٩-١٠٠).

(٢) إرشاد الغبي إلىٰ مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ، ص(٨٧ - ٩١).

وثبت في «صحيح مسلم» أنه ﷺ قال: «لا يكون اللَّعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة».

وفي «سنن أبي داود»: أنه قال ﷺ: «**إن العبد إذا لعن شيئًا، صعدت اللَّعنة إلىٰ السماء، فتُغلق أبوابها دونها، ثم تهبط إلىٰ الأرض، فتُغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإذا لم تجد مساغًا، رجعت إلىٰ الَّذي لُعِنَ، فإذا كان أهلًا لذلك، وإلا رجعت إلىٰ قائلها**».

وفي «مسند أحمد»، و«صحيح البخاري»، و«سنن النسائي»: أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلىٰ ما قدَّمُوا**».

وفي حديث آخر رواه أحمد والنسائي: «لا تسبوا أمواتنا؛ فتؤذوا أحياءنا».

وفي «صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود»، والترمذي، والنسائي: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان في أخيك ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهتَّهُ**». قال الترمذي: حديث صحيح حسن.

وفي «سنن أبي داود» والترمذي: أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذكرت صفيَّة، فقالت: إنها قصيرة. فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كلمة لو مُزجت بماء البحر، لمزجته**».

وفي «سنن أبي داود» أن النبي ﷺ قال: «لمَّا عُرج بي، مررت علىٰ أقوام لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا

جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم النَّاس، ويقعون في أعراضهم».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهي متناولة للأموات تناولًا أوليًّا، وبعضها نصٌّ في الأموات».



الخاتمة

لا يرتاب عاقل منصف ذو دين بعد معرفة حال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبشارة النبي ﷺ بولايته، والشهادة له بعينه أنه من أهل الجنة، وفضل جهاده، وشرف صحبته، ومصاهرته للنبي ﷺ؛ ما يجب له من حق النصرة والحب والذكر الجميل. ومن استزله الشيطان، وتناوله بالسب والثلب فليتب من ذلك، وليكفِّر عن سيئاته بذكره بالجميل، ولا نعرف أحدًا تناوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك إلا رافضيًا، أو من أخذ عنهم، أو من أخذ عن جهال دعاة الإسلام السياسي المنحرفين في عقيدتهِمْ ومنهجهِمْ كسيد قطب.

فليعرف هؤلاء قدرهم؛ فإنهم مهما فعلوا ما بلغوا مُدّ أحدهم ولا نصيفه، ولو أخذوا العلم من مصادر نقيّة تقيّة؛ سواء بمشافهة العلماء الأكابر من أهل السنة، أو بقراءة كتب الناصحين الصادقين كـ«السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد، و«السنة» للخلال، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، و«منهاج السنة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير رحمهم الله؛ لسلموا من اعتقاد السوء في أصحاب رسول الله ﷺ.

ومن أجل هذا كتبت هذه الرسالة مستمدًا مادتها العلمية من الكتب النقيَّة، وقد ساءني جدًّا ما كتبه بعض المعاصرين عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث

اعتمد علىٰ مصادر معاصرة، ناهيك أنه ذكر ما وقع من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من بعض الحوادث، مقطوعةً عن بيان أسبابها وبواعثها، وترتّب علىٰ ذلك استنباطات خطيرة، يستوحيها القارئ بسبب السياق الناقص والظالم للحوادث التي وقعت من خال المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا حب الصحابة ونصرتهم والذب عنهم، آمين.

والحمد لله رب العالمين.



دليل الموضوعات


لكتابة الرسائل العلمية وصف وتحقيق كتب التراث وغيرها
القاهرة – هاتف: ٠١٠٠٧٢١٩٥٤٣
البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM
EBADALRHMANSFEF@GMAIL.COM